


دكتور
عبد الهادي عبد الله عطية
كلية التربية - جامعة الإسكندرية
فرع دمنهور

ملاحج نقدية فى الادب العربى

الجزء الثانى


مكتبة بستان المعرفة
لطبوع ونشر وتوزيع الكتب
كفر الدوار - الجدايق - بجوار نقابة التطبيين
٠٤٥ / ٢٢٤٢٢٨

ملاحق نقدية
في الأدب العربي

ملاحق نقدية
فى الأدب العربى
الجزء الثانى

دكتور عبد الهادى عبد الله عوفية

كلية التربية - جامعة الإسكندرية

فرع دمنهور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى أستاذي

الدكتور أحمد هيكـل

أحد جهابذة الأدب والنقد في مصر

ووزير الثقافة السابق

الذي كان عضواً في لجنة مناقشة رسالتي
للدكتوراه، وأثنى عليّ كثيراً، فهل يكون
إهدائي له هذا العمل ردّاً لبعض جميله عليّ
واعترافاً بدمائه خلقه، وكريم طبعه، وجميل
أدبه؟

مقدمة

أحمد ربي جل في علاه، وأصلى وأسلم على محمد بن عبد الله
ويعد فهذه نظرات نقدية في الأدب العربي، تنوعت بين النظر في
الشعر، والبحث في النثر، وقد بدأتها بعرض سريع للمقامة القريضية،
وهي المقامة الأولى في مقامات بديع الزمان الهمذاني، ثم انطلقت
منها إلى النظر في شعر امرئ القيس، والنابغة الذبياني، وزهير بن
أبي سلمى، وطرفة بن العبد، وجريز بن عطية، والفرزدق، وشعر
القدماء والمحدثين، هذه القضية التي أثارت في العصر العباسي،
وكان لها ممدى واسع في كتب التراث النقد العربي، ثم عرضت المقامة
الغيلانية، وتعرضت لها بالنقد السريع، ثم تعرضت للصلتان
العبدى، والبعيث، وذى الرمة بالتأريخ الأدبي، وأخيراً لمست ألفاظ
المقامة الغيلانية ونقدها من حيث صلتها بالشعر القديم، كما فعلت
ذلك في المقامة القريضية.

وفي كل هذا العمل جعلت الشعر أساساً في عملي فذكرت من
الشعر ما يدل على كل فكرة أريد إثباتها أو معنى أريد تناوله
بالتحليل، وجمعت شعراً كثيراً في هذا العمل لعل هذا الشعر يؤكد ما

أريد تأكيده، وتأصيله فى هذا العمل، وهو أن الشعر العربى القديم كان على درجة عالية من الذوق الأدبى والفنى، وأن الشعراء القدامى كانوا بحسهم الفطرى، وإدراكهم الفنى، وسليقتهم الشعرية أعظم ما يكونون فناً وموهبة وشفافية وتعبيراً، وأن شعرهم قد عبر عن كل ما يريدون أن يعبروا عنه، فأولى بنا أن ننظر نظرة طيبة لتراثنا العربى العظيم، هذا التراث الذى إن رجعنا إليه، وفهمناه، وأدركنا أبعاده، وتذوقناه فإننا نكون قد وضعنا أيدينا على ثروة هائلة من الفكر، والفن، والتذوق الجميل، الذى أدركه العربى فى جاهليته، وسار به العربى، ومحب العربية حتى اليوم يرى التعبير الرائع فى اللغة الفصحى الجميلة، وكلما ازداد إدراكاً للغة الفصحى ازداد إحساسه بجمال التعبير فى لغة الضاد الجميلة. وأنا أزعـم أننى من عشاق لغة الضاد، ومن أنصار التراث القديم، لذا فإننى أرجع إليه دائماً خدمة للغة القرآن الكريم، وأدب العرب.

والله أسأل أن ينفعنا بهذا العمل، وأن يعيننا على أن نكمل ما بدأناه فى هذه السبيل، إنه من وراء القصد، وإنه نعم المولى ونعم النصير.

دكتور عبد الهادى عبد الله عطية

الفصل الأول

المقامة القريضية

المقامة القريضية

حدثنا عيسى بن هشام قال: طرحني النوى مطارحها حتى إذا وطئت جرجان الأقصى، فاستظهرت على الايام بضياح أجلت فيها يد العمارة، وأموال وقفها على التجارة، وحانوت جعلته مثابة، ورفقة اتخذتها صحابة، وجعلت للدار حاشيتي النهار، وللحانوت ما بينهما، فجلسنا يوماً نتذاكر القريض وأهله، وتلقأنا شاب قد جلس غير بعيد ينصت وكأنه يفهم، ويسكت وكأنه لا يعلم، حتى إذا مال الكلام بنا ميله، وجر الجدال فينا ذبله، قال: قد أصبتم عذيقه، واوفيتم جذيله، ولو شئت للفظت وأفضت، ولو قلت لأصدرت وأوردت، ولجلوت الحق في معرض بيان يسمع الصم، وينزل العصم، فقلت: يا فاضل ادن فقد منيت، وهات فقد أثنت، فدنا وقال: سلوني أجبكم، واسمعوا أعجبكم، فقلنا: ما تقول في امرئ القيس؟ قال: هو أول من وقف بالديار وعرصاتها، واغتدى والطير في وكناتها، ووصف الخيل بصفاتها، ولم يقل الشعر كاسباً، ولم يجد القول راغباً، ففضل من تفتق للحيللة لسانه، وانتجع للربة بنانه، قلنا: فما تقول في النابغة؟ قال: يثلب إذا حنق، ويمدح إذا رغب، ويعتذر إذا رهب، ولا يرمي إلا صائباً، قلنا: فما تقول في زهير؟ قال: يذيب الشعر والشعر يذيبه، ويدعو القول والسحر يجيبه، قلنا: فما تقول في طرفة؟ قال: هو ماء الأشعار وطينتها، وكنز القوافي ومدبنتها، مات ولم تظهر أسرار دفائنه، ولم تفتح أغلاق خزائنه، فقلنا:

فما تقول في جرير والفرزدق؟ وأيهما أسبق؟ فقال: جرير أرق شعراً،
وأغزر غزراً، والفرزدق أمتن صخراً، وأكثر فخراً، وجرير أوجع هجواً،
وأشرف يوماً، والفرزدق أكثر روماً، وأكرم قوماً، وجرير إذا نسب أشجى،
وإذا ثلب أردى، وإذا مدح أسنى، والفرزدق إذا افتخر أجزى، وإذا
احتقر أزرى، وإذا وصف أوفى، قلنا: فما تقول في المحدثين من الشعراء
والمتقدمين منهم؟ قال: المتقدمون أشرف لفظاً، وأكثر من المعاني حظاً،
والمتأخرون ألطف صنعاً، وأرق نسجاً، قلنا: فلو أريت من أشعارك؟
ورويت لنا أخبارك؟ قال خذهما في معرض واحد وقال:

أما تروني أتغشى طمرا

ممتطياً في الضر أمرا مرا

مضطرباً على الليالي غمرا

ملاقياً منها صروفا حمرا

أقصى أمانى طلوع الشعري

فقد عتينا بالأماني دهرنا

وكان هذا الحر أعلى قدرا

وماء هذا الوجه أغلى سعرا

ضربت للسرا قبابا خضرا

في دار دارا وإيوان كسرا

فانقلب الدهر لبطن ظهرا
وعاد عرف العيش عندي نكرا
لم يبق من وفري إلا ذكرا
ثم إلى اليوم هلم جرا
لولا عجوز لي بسر من را
وأفرخ دون جبال بصرى
قد جلب الدهر عليهم ضرا
قتلت يا سادة نفسي صبرا

قال عيسى بن هشام: فأنلته ما تاح، وأعرض عنا فراح، فجعلت
أنفيه وأثبته، وأنكره وكأنني أعرفه، ثم دلتني عليه ثنياه، فقلت:
الإسكندري والله، فقد كان فارقتا خشفاً، ووافانا جلفاً، ونهضت على
إثره، ثم قبضت على خصره، وقلت: أأست أبا الفتح؟ ألم نريك فينا
وليداً ولبثت فينا من عمرك ستين؟ فأبي عجوز لك بسر من را؟ فضحك
إلي وقال:

ويحك هذا الزمان زور فلا يغرنك الغرور
لا تلتزم حالة ولكن در بالليالي كما تدور

المعاني واللغة:

قال الأستاذ الإمام في شرح هذه المقامة: (١)

النوى: ما ينويه المسافر بسفره فهو القائد له يصرفه في المسالك،
ويطرحه المطارح، فلم يزل مقصده يرميه في مكان، ثم ينقله فيطرحه في
آخر، حتى وطئ جرجان، أي وصلها وداس أرضها، وجرجان تعد اليوم
من بلاد النتر المستقلة، استظهر على الأيام: استعان على حوادثها،
والضياح: جمع ضيعة، ما تمتلكه من أراضي الزراعة، وأجال يد العمارة:
حركها وأعملها في الضياح بإصلاح الفاسد منها وتقوية ما ضعفت
مادة إلا نبات فيه، واجتلاب المياه إليها وتنقيتها من كل ما يضر
بالزرع، لتعمر بعد ذلك بأنواع النباتات والأشجار الممدة بما تثمره جداول
الرزق، وأراد من الحانوت موضع سلعه الذي تباع فيه والثابة: المرجع
كأن الحانوت لم يكن لحاجة إليه وإنما هو مأب له يرجع إليه ليعرف به
فيجتمع إليه ما يطلبه، حاشيتا النهار طرفاه الصباح والمساء يكون
جلوسه فيهما بالدار وما بينهما من أوساط النهار يصرفها بالحانوت،
القريض: الشعر، وتلقأنا أي على موازاتنا ومقابلتنا، مال الكلام
بناميله أي: انحدر بنا في أبواب المعاني انحداره المعروف عند أهله
فإن الكلام يكون اندفاعاً بالمتكلمين يكاد يغلبهم على ما لا يقصدون
الخوض فيه وذلك معروف عند من له إلمام بالكلام، جر الذيل يكنى به

(١) مقامات أبي الفضل وشرحها ص ١ - ٥.

عن العجب والخيلاء كأنه مثل الجدال في تسلطه عليهم بمن حكم فظلم فتاه على المغلوبين له وقد يراد به الإطالة يقال جر الكلام ذيله وبذيله أي طال كأنه ثوب فاض حتى جر ذيله على الأرض، أصبتم وجدتم عذيقه تصغير عذق، بفتح العين، وهو النخلة بحملها، والتصغير للتعظيم، وهو يشير إلى قول الحباب بن المنذر «أنا عذيقها المرجب وجذيلها المحكك»، والمرجب من رجب الشجرة إذا دعمها ما يمنعها من الانكسار والسقوط لثقل حملها، والجذيل: تصغير جذل، بالكسر، وهو عود ينصب للجربى من الإبل لتحتك به يريد قائل ذلك أنه صاحب الأمر المضروب فيه المثل، وهو به زعيم لا يضعف عن احتماله والنهوض به.

أفضت: من أفاضوا في الحديث إذا اندفعوا فيه أو نحو قولك كلمته فما أفاض بكلمة أي ما أفصح بها أي لو شئت لتكلمت وأفصحت، ولو قلت لأصدرت وأوردت إصدار الإبل عن الماء بعد إبرادها مثل لانقلاب الأذهان راوية بالفهم ثم اهتداء من لم يفهم يهتدى من فهم فيرد الحوض الذي ورده فينال من الفهم حظه، وكان أيسر لو قدم أوردت على أصدرت، ينزل العصم: العصم جمع الأعصم وهو من الوعول والظباء ما في ذراعيه أو أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر، أنشاه عصماء، وهي تلزم الجبال دائماً ولا تنزل إلا إذا اضطرت وكأن هذا البيان يختطف قلوبها إلي صاحبه فيستنزلها لسماعه وهو مثل مشهور، منيت: أي جعلت لنا فيك أمنية الاستفادة منك، ويصح أن يكون من منى الرجل إذا وافى الحلم وأثنت من أثنى الرجل إذا ألقى ثنيتته وهي إحدى أسنانه

الأربع في مقدم فمه ولا يكون ذلك عادة إلا بعد بلوغ حد الكبر أي إنك بلغت ببيانك مبلغ المحنكين، وقد يكون أثنت بمعنى أنبأت عن عملك بفصاحة قولك من الثناء، هو أول من وقف بالديار وعرضاتها: أي هو أبرع الشعراء في وصف ذلك والتعبير عما يجده العشاق في مواقفهم بمواطن الأوبة، وكنة الطائر مثلثة الأول ويضمين عش الطائر أو مأواه بلا عش أو أما في العش فهو وكر، والاعتداء الذهاب وقت الغدوة مقابل الرواح وهو الرجوع وقت المساء، والطيور أسبق الحيوان تبكيراً فمن يغتدي وهي في مأويها يكون من أيقظ الناس قلباً وأشدهم دؤباً في همه أي إن امرء القيس أجود الناس ذكراً لذلك في شعره، فضل من تفتق للحيلة لسانه: أي إنه فاق في جودة شعره أولئك الذين ما فتق لسانهم بالقول إلا الإحتيال في كسب المال وما حرك أناملهم بالأقلام لتحبير الخطب والقصائد إلا انتجاعهم أي ذهابهم لارتياح الأرزاق رغبة في تحصيلها. يثلب: أي يسب ويشتم، وحنق أي اشتد غضبه، يذيب الشعر والشعر يذيبه: هذا تمثيل لسهولة الشعر في طبعه وانقياد طبعه للشعر ورقة كل منهما حتى كأن كلاً يذيب الآخر. ويدعو القول والسحر يجيبه: تمثيل لأثر قوله في القلوب بلا تعمد لذلك. فهو إذا دعا القول أي استنزله من قريحته إلى ظاهر لفظه أجابه السحر أي أخذ السحر من لسانه مكان القول فهو يريد قولاً فيكون سحراً. ماء الأشعار وطينتها تصوير لكون شعره مادة الأشعار ومنه كانت نشأتها، أي إن أجله لم يكن كافياً لإظهار ما أسر

في طبيعته من دقائق المعاني ولو عاش دهوراً طويلاً لاطلع الناس منه على ما لا يقاس إليه في الكثرة هذا الذي شاهده من أثره أي إن ما قاله ليس شيئاً إذا قيس إلى ما لم يقله، والأغلاق جمع غلق بالتحريك ما يغلق به الأبواب، أغزر: أكثر، وغزراً كثرة أي إن كان للفرزدق غزارة في معانيه فغزارة جرير أعلى من غزارة صاحبه، ثم أتى بتمثيل لتمكن قوافيه واستحكام ألفاظه في معانيه.

ثم بين أنه إذا ذكر أيام قومه ومواقع سلفه دل على شرف رفيع، الروم الطلب: أي أن مطالبه أكثر من مطالب جرير وإذا ذكر قومه ظهرت صفات كرمهم في شعره أكثر مما تظهر صفات كرم قوم جرير في شعره، نسب أي ذكر أوصاف النساء وفعال شمانلهن في قلوب الرجال وأشجى أي ألهب الأفئدة بنيران الأشواق، أردى مثل قوله أوجع هجواً أي إذا هجا أهلك مهجوه. أسنى الشيء رفعه فهو إذا مدح شخصاً رفع منزلته وأعلى مقامه بمدحه. أجزى أغنى بفخره عن غيره فلا يحتاج إلى من ينصره على من يفاخره.

أزرى بمن يحتقره أي وضع منه وألصق النقيضة به. أوفى من أوفى فلانا حقه أعطاه إياه تاماً والفرزدق إذا وصف يوفي الموصوف ما يقتضيه من الوصف.

الطمر الثوب الخلق أو الكساء البالي من غير الصوف، وتغشاه اتخذته غشاً أي غطاءً، ومعتطياً أي راكباً من امتطى الناقة إذا ركب

مطأها أي ظهرها، والمعدم في فقره كأنما يلاقي من البؤس مثل ما يلاقي راكب الصعبة من التعب والعناء وما يتذوقه من آلام المشاق أشبه بالطعام أو الشراب المر البشع الطعم لهذا وصف الأمر بالمرارة بعدما عده مطية له.

مضطرباً من اضطينه إذا حملة في ضيقه وهو ما دون الإبط، والغمر بالكسر الغل والحد أي إني حاقداً على الليالي لشدة ما أذنتني ببردها ملاقياً منها شدائد نزلت مني منزلة العدو المجتاح، وذكر الحمرة لأن العرب تصف أشد الأشياء أذى بالحمرة فتقول الموت الأحمر والهلاك الأحمر لأنهم يعدون كل من ليس بعربي من الفرس والروم وأمثالهم من جنس الأحمر وكانت الحروب بينهم وبين الحمير لا تنقطع من عهد نشأتهم فوصفوا كل خبيث بالأحمر.

الشعري كوكب يطلع في الجوزاء وظهوره في شدة الحر، والشاعر يتمنى طلوع الشعري حتى يسأله الجو فيستغنى بحرارته عن اللباس والصيف لباس الفقراء، وقد كان من قبل يعني بالأمانى الكاذبة من دوام النعيم والازدياد في الترف.

يريد من الحر نفسه ومن الوجه وجهه يريد أنه كان غنياً رفيع المقدار. السراء المسرة، والرخاء وضرب القباب الخضر في دار دارا ملك الفرس وإيوان أي قصر كسرى أنوشروان أو أزدشير كناية عن إظهار آيات الثروة وشواهد العظمة.

انقلب ظهراً لبطن بمعنى تحول من سرائه لضرائه وما كان معروفاً من العيش أصبح منكراً أي استبدل طيبه المألوف برديئه المكروه، الوفرة: الغنى يقول ذهب ثروته إلا ذكرها فهو باق في هاجس نفسه وما يغنيه شيئاً ولم يزل حاله ينجر به في الشدة اليوم.

سر من را بلدة بناها المعتصم العباسي قرب بغداد يدعى أبو الفتح أن له عجوزاً أي زوجة في تلك البلدة وأن له أقراخاً أي أولاداً صغاراً بالقرب من جبال بصرى وهي من مدن سوريا في الشرق الجنوبي من حوران. يريد من الضر الفقر وقوله قتلت جواب لولا وكل من يحبس حتى يقتل يقال فيه قتل صبراً أي لولا العجوز والأولاد لحبست نفسي على أحد أسباب الهلاك حتى قتلتها صبراً. تاح: تهيأ وقدر. ثناياه: مقدم أسنانه.

الحشف: ولد الطبي يقول فارقتاه حدثاً جميلاً ووافانا الآن جاسياً غليظاً، والجلف: الجافي الغليظ.

تعقيب:

- هذه المقامة تعد الصورة المثلى لمقامات الهمذاني، لأنها اتخذت النهج الأمثل للشكل الذي ابتدعه بديع الزمان الهمذاني لمقاماته.
- فقد بدأ المقامة بالرواية عن عيسى بن هشام، وكان الهمذاني قد اتخذ من شخصية عيسى بن هشام راوية مقاماته كلها.
- وهياً الهمذاني يتمهيد قصير لحكاية المقامة. وهو قوله:
طرحني النوى مطارحها، حتى إذا وطئت جرجان الأقصى
، فاستظهرت على الأيام بضياع أجلت فيها يد العمارة
، وأموال وقفتها على التجارة، وحانسوت جعلته مثابة
، ووقفة اتخذتها صحابة، وجعلت للدار حاشيتي النهار
، وللحانوت بينهما.

- وهذا التمهيد يمثل الجو العام الذي يحاول الهمذاني أن يصفه لنا، والذي يوضح حال الراوية، وظروفه التي يمكن أن تكون لحمة - بضم اللام - بين هذه الظروف، وبين البطل الذي يظهر في هذه الظروف، ليلتقي

بالراوي، فكأن الهمداني يبين المشاهد العامة التي تهين لقاء الراوية بالبطل.

- بداية حكاية القصة التي تشتمل عليها المقامة، وهي بداية انخراط الراوية في قصة المقامة.

وذلك قوله:

فجلسنا يوماً نتذكر القريض وأهله.

- أي إن الراوية قد التقى ورفقته في الحاتوت الذي جعله مثابة.

- ظهور البطل في حكاية المقامة ظهوراً مشفوعاً بالتستر، سواء كان هذا التستر من البطل، لأن البطل يعرف الراوية حق المعرفة، وذلك ما تؤكد المقامات، إذ عرفت أن الراوية والبطل متعاونان معاً، لكنهما قد عقداً شبه اتفاق أن لا يكشف الراوية البطل أمام الناس.

وربما اتفقا على أن يسهم الراوية في إجحاح حيلة البطل بأن يظهر نفسه مع الذين يشفقون على البطل، ويمنحونه.

- أو أراد الهمداني هذا الدور للراوي والبطل معاً، ولذلك حرص على أن لا يزيع الراوية الستار، أو يكشف النقاب، أو يميظ اللثام عن البطل أمام من أوقعهم في حباله.

أو كان هذا التستر الشديد من البطل - هكذا أراد له الهمذاني - حتى لا يعرفه الراوية نفسه، مبالغة في الحيلة من البطل، وجعل الزي، أو الهيئة مما يساعده على إخفاء شخصه الحقيقي عن الناس.

وهنا قد ظهر البطل ظهوراً مشفوعاً بالتستر، حتى إن الراوية نفسه لم يعرفه، وإنما قال:

وتلقانا شاب قد جلس غير بعيد ينصت وكأنه يفهم، ويسكت وكأنه لا يعلم.

- اقتحام البطل الحكاية، والولوج فيها بصورة تكاد تكون أشبه بانجاس الماء، وذلك حتى يلتفت أنظار المشاهدين إليه، ويفجأ عقولهم إلى التنبيه له، والإنصات الشديد إلى ما يقوله، أو بالأحرى: استراق عقولهم وأفهامهم وأذانهم له وحده، دون غيره.

وذلك في قوله:

حتى إذا مال الكلام بناميله، وجر الجدال فينا ذيله، قال: قد أصبتم عذيقه، ووافيتم جذيله.

- بدأ أولاً بإظهار رأيه فيهم، وفي تذاكرهم القريض وأهله، حتى يستثير أذهانهم، ويخطب ودهم.

وتكون المفاجأة للمشاهدين عندما يعلن لهم ما غاب من فصاحته، وما خفي من بيانه، وما لم يعلموه من علمه بالأدب، والنقد، في المجال الذي يتسابقون فيه.

وذلك قوله:

ولو شئت للفظت وأقضت، ولو قلت لأصدرت وأوردت، ولجلوت الحق في معرض بيان يسمع الصم، ويتزل العصم.

أنئذ يكون رد الفعل لدى المشاهدين، إذ يرغبهم فيما عنده، مظهرًا لهم قدره فيما أفاضوا فيه، وكأنه صاحب السبق في هذا المضمار، وله فيه القدح المعلى.

فينبرى الراوية متعرضًا للبطل.

وذلك قوله:

فقلت: يا فاضل، ادن، فقد منيت، وهات فقد أثنيت.

أنئذ يكون الجو مهينًا للبطل، فقد أنصت المشاهدون، ومنحوه آذانًا صاغية، وها هي ذي عيونهم قد وقفت عليه، فليقل، وليحدث، وليثر الأذهان، وليتلاعب بالعقول كما شاء.

وذلك قوله:

قَدْنَا، وَقَالَ: سلوني إيجبكم، واسمعوا أعجبكم أي عالم هذا الذي
جعل نفسه في موقف التصدي لما يخطر على بال هؤلاء المشاهدين من
أسئلة؟

هنا أقول: هذا معرض من معارض حديث الهمذاني، يضمنه بعض
ما يريد أن يقرره في مجال الأدب ونقده.

وكان لابد لهم أن يسألوا - وحالهم هذه، وحاله أيضا - فسألوه.
وذلك قوله:

قلنا: ما تقول في امرئ القيس؟

وأجاب:

قال: هو أول من وقف بالديار وعرصاتها.

وسألوه: قلنا ما تقول في النابغة؟

وأجاب: قال: يثلب إذا خنق.

وسألوه: قلنا: فما تقول في جرير والفرزدق؟

أبهم السبق؟

وأجاب: فقال: جرير أرق شعرا، والفرزدق أمتن صخرا.

وسأله: قلنا: فما تقول في المحدثين من الشعراء، والمتقدمين منهم؟

وأجاب: قال: المتقدمون أشرف لفظا، والمتأخرون ألطف صنعا.

ثم طلبوا منه أن يرى من أشعاره، ويروي من أخباره، وهنا حان الوقت لتنفيذ حيلته، وإلقاء حبائله، لينال.

وأنا أرى أن هذه المقامة تنم عن شخصية الهمذاني، إذ كيف عرف الراوية أن البطل من حاكة الشعر، وصناع القريض؟ إنهما معا- الراوية والبطل -من نسج خيال أديب واحد ثم يقول البطل: خذهما في معرض واحد.

وقال شعرا:

أما تروني أتغشى طمرا

وقيه حيلته، فهو يتغشى الأطمار، يركب العسرة، ويحمل الحقد على الليالي، من شدة ما يلقي منها من الصروف الحمر، لا يجد كساء حتى إنه يتمنى طلوع الشعري، ليجلب الدفء إلى جسده، وهي أمنيته الذي يلبس الأطمار، وقد كان قبلا في نعيم، وقد غرق في الأمانى الكاذبة بدوام هذا النعيم، إذ كان غنيا، وكان أيضا مع غناه رفيع القدر، عظيم

المقدار، قد حقن ماء وجهه بعزه، ضاربا القباب الخضر في السراء في أعظم الأماكن مثل دار دارا ملك الفرس، وإيوان كسرى الذي يضرب به المثل، فلما انقلب الدهر به وله ظهر البطن، وتحول عن الغنى إلى الفقر، واستبدل طيبه المعروف إلى الردى المنكر، فلم يبق من وفره إلى ذكره، أو ذكره، وصار كذلك إلى اليوم، وها هو ذا يتأهب لزيادة ما ينزله الدهر به، ولولا زوجة العجوز بسر من رأى، وأولاده الصغار الذي يحول بينه وبينهم جبال، وقد جلب الدهر عليهم العسرة، والضر، لولا ذلك لحبس نفسه في مكانه حتى يموت.

عندئذ يتقدم الراوية أولا لينيل البطل ما تاح في ذلك الوقت.
ولم يخبرنا الهمذاني عن المشاهدين أمتحوه أو لا؟
ثم ينتهي الموقف الذي جمع البطل بالمشاهدين، ويغيب البطل عن أبصارهم.

ونلمح بعد ذلك إصرارا شديدا من الراوية على معرفة شخص البطل، وهو يقدح زند أفكاره، أيعرفه؟ أم لا؟ فيثبته، وينفيه، وينكره، ويعرفه أخيرا، فيقول: الإسكندري والله، فقد فارقنا صغيرا، ووافانا كبيرا، ثم ينهض الراوية على إثر البطل، ويمسك به قائلا: ألسنت أبا الفتح؟ فأبي عجوز لك بسر من را؟

وهنا يضحك البطل للراوية، وكأنه يعلمه أنه يعرفه، ثم ينشده شعرا:

ويحك هذا الزمان زور فلا يغرنك الغرور

لا تلتزم حالة ولكن در بالليالي كما تدور

أي الزمان زور، وليس حقيقة، أو مموه أو أكاذيب، فلا يخدعك الشيطان،
ولا تلتزم حالة واحدة، ولكن كما تدور الليالي در بها ومعها، أو كن
كالليالي لا تسير في خط واحد، وإنما في خطوط كثيرة ومتعرجة.

قال محمد بن سلام الجمحي: سألت يونس النحوي عن أشعر الناس،
فقال: لا أومئ إلى رجل بعينه، ولكني أقول: امرؤ القيس إذا غضب،
والنايعة إذا رهب، وزهير إذا رغب^(١).

(١) تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان ٨٧/١، إرشاد الأريب ٣١٠/٧.

الفصل الثاني

امرؤ القيس

أما آراؤه النقدية التي وردت في المقامة فهي قوله في امرئ القيس:
هو أول من وقف بالديار وعرصاتها، واغتدي والطير في وكناتها،
ووصف الخيل بصفاتها، ولم يقل الشعر كاسبا، ولم يجد القول راغبا،
ففضل من تفتق للجيله لسانه، وانتجع للرغبة بنانه.

وامرؤ القيس هو حندج، أو عدي، أو مليكة^(١) -بصيغة التصغير -
بن حجر بن الحارث الكندي، الملك الضليل، أبو الحارث، من ملوك
كندة.

وأمه فاطمة بنت ربيعة أخت مهلهل، وكليب من بني تغلب. وكان
أبوه آخر ملك على بني أسد من المضربة الخاضعين للملوك كندة.

وجده قرين الملوك من لحم وغسان، وجده حجر أكل المرار^(٢) وهو من
قبيلة كندة، ومن بيت السيادة والشرف فيها.

وفي نجد نشأ كما ينشأ أبناء الملوك مولعا بالصيد، ونال حظه من

(١) تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان ٩٧/١، المزه ٢٦٥/٢، شرح شواهد المغنى

ص ٦.

(٢) المرار: بضم الميم، وتخفيف الراء، شجر مر، وسمى حجر أكل المرار لأن ابنة له سبهاها
ملك من ملوك سليح، فقالت له ابنة حجر: كأنك بأبي قد جاء كأنه جمل أكل المرار، يعني
كاشرا عن أنيابه، فسمي بذلك، وقيل: إنه كان في نفر من أصحابه في سفر، فأصابهم الجوع،
فأما هو فأكل من المرار حتى شبع ونجا، وأما أصحابه فلم يطبقوا ذلك حتى هلك أكثرهم.

اللهو والمجانة والفتون، والتف حوله رفاقه في الصيد، والطرْد، والغزل، والشراب، فعكف معهم على اللهو، وانقاد للملذات.

وجرى الشعر على لسانه، فقال فطرة ووراثة عن عمومته، وأخواله، فشَبب به حتى بنساء أبيه، فطرده أبوه لذلك، وآلى ألا يقيم معه أنفة من قول الشعر، وكانت الملوك تأنف من ذلك، فيما يقول الرواة، فكان يسير في أحياء العرب، ومعه أخلاط من شذاذ القبائل، فإذا صادف غديرا، أو روضة، أو موضع صيد أقام وتصيد، حتى ينفد ماء الغدير، ثم ينتقل إلى غيره، وهو في خلال ذلك يشدو بالشعر، فتتناقله الأسواق، والمجامع، ويتسامع به الناس في البوادي والخواضر، ويتفرق على الألسنة في كل مكان.

وفي هذه الفترة كان شعره تشبيبا، ونسيبا، ووصفا للخيل، والسحاب، ومجالس اللهو والشراب، وفي شعره فصاحة البداوة، وترف الملك، ونضارة النعيم، وبه فتح كنوز الشعر لمن جاء بعده، وهداهم إلى أغراضه، وفنونه، فترسموه، وساروا على طريقته عصورا، وأجيالا، ينتحلون أسلوبه، ويطبعون على غراره، ولكنهم لا يدركون له شأوا.

قال لبيد بن ربيعة: أشعر الناس ذو القروح، يعني امرأ القيس^(١).

(١) الشعر والشعراء، ١٠٥/١ - ١٣٦.

- وكان امرؤ القيس طرده أبوه لما صنع فى بفاطمة ما صنع، وكان لها عاشقاً، فطلبها زماناً فلم يصل إليها، وكان يطلب منها غرة، حتى كان منها يوم الغدير بدارة جلبجل ما كان، فقال:

قفسا نيك من ذكرى حبيب ومنزل

. بسقط اللوى بين الدخول فحومل^(١)

فلما بلغ ذلك حجباً أباه دعا مولى له يقال له ربيعة، فقال له: اقتل امرأ القيس وأتني بعينه، فذبح جوذرا فأتاه بعينه، فندم حبر على ذلك، فقال: أبيت اللعن! إني لم أقتله، قال: فأتني به، فانطلق فإذا هو قد قال شعراً في رأس جبل^(٢)، وهو قوله:

فلا تتركني يا ربيع لهذه وكنت أراني قبلها بك واثقاً

فرده إلي أبيه، فنهاه عن قول الشعر، ثم إنه قال:

ألا انعم صباحاً أيها الطلل البالي

فبلغ ذلك أباه فطرده، فبلغه مقتل أبيه وهو بدمون، فقال:

تطاول الليل علينا دمون

(١) صدر المعلقة.

(٢) تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان ٩٨/١.

دمون إنا معشر يمانون

وإننا لأهلنا محبون^(١)

ثم قال: ضيعني صغيراً، وحملني دمه كبيراً، لا صحو اليوم، ولا
سكر غداً، اليوم خمر، وغداً أمر، ثم قال:

خليلي ما في اليوم مصحى لشارب

ولا في غد إذ كان ما كان مشرب

ثم آلى لا يأكل لحماً ولا يشرب خمرأ حتى يثأر بأبيه، فلما كان
الليل لاح له برق فقال:

. أرقت لبرق بليل أهل يضى سناه بأعلى الجبل

بقتل بني أسد ربهم ألا كل شئ سواه جلل^(٢)

ثم استجاش بكر بن وائل، فسار إليهم وقد لجؤوا إلى كنانة، فأوقع
بهم، ونجى بنو كاهل من بني أسد، فقال:

يا لهف نفس إذ خطئن كاهلا

القاتلين الملك الحلاحلا

تالله لا يذهب شيخي باطلا^(٣)

(١) الشعر والشعراء ١٠٧/١.

(٢) الشعر والشعراء ١٠٨/١.

(٣) الحلاحل: بضم الحاء الأولى، الشجاع الركين في مجلسه، السيد في عشيرته.

ويلغ بني أسد ما بيته لهم امرؤ القيس، فأرسلوا إليه وفدا من
رجالاتهم فيهم عبيد بن الأبرص الشاعر، وقبيصة بن نعيم، وخيروه
بين قتل أشرف بني أسد بيتا، وأعلاها في المكرمات صوتا، وتستل
سخيمته بتمكينه من الانتقام، أو الفداء، أو الحرب، فاختار امرؤ
القيس الحرب.

وفي ذلك يقول عبيد بن الأبرص: (١)

يا ذا المخوفنا بقتـ	ل أبيه إذلالا ومينا
أزعمت أنك قد قتلـ	ت سراتنا كذبا ومينا
هلا على حجر بن أـ	م قطام تبكي لا علينا
هلا سألت جموع كنـ	دة يوم ولوا أين أيننا
نحن الألى فاجمع جموـ	عك ثم وجههم إلينا

(١) قصيدة في ديوانه في خمسة وعشرين بيتا، مختارات ابن الشجري ٣٩/٢، خزائن
الأدب ١٦١/١، ٣٢٢/١، الشعر والشعراء ١٠٨/١، ١٤٣/١ - ١٤٤.
ديوان عبيد ص ٢٧ - ٢٩، مختارات ابن الشجري ٣٩/٢.
سراتنا: أشرافنا، جمع سري، مينا: كذبا، حجر بن قطام: أبو امرئ القيس، جموع كندة:
قبيلة امرئ القيس، يريد الجموع التي غزا بها بني أسد، أين أين: أين أين الفرار، الألى:
الذين، آلين لا يقضين ديننا: أخذت على نفسها عهدا أن تكون هي البائدة بالإغارة، فلا=

واعلم بأن جيادنا آلين لا يقضين ديننا
ولقد أبحننا ما حميت ت ولا مبيع لما حمينا
هذا ولو قدرت عليـ ك رماح قومي ما انتهينا
كم من رئيس قد قتلـ ناه وضميم قد أبينا
إنا لعمر ك ما يضا م حليفنا أبدا لدينا

فأغار على الكنانيين، وقتل منهم، وهو يظن أنهم بنو أسد، ثم تبين أنهم ليسوا هم، فقال:

ألا يالهف نفسي إثر قوم هم كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدهم بني أبيهم وبالأشقين ما كان العقاب
وأفلتهن علياء حريضا ولو أدركته صفر الوطاب^(١)

=تنتظر حتى يغار عليها، أبحننا ما حميت: اعتدينا عليه، ولم نبال بحمايتك له، لا مبيع لما حمينا: لا يجرؤ أحد أن يقتحم لنا حمى، أو يعتدي على ما منعنا الناس منه، لو قدرت عليك رماح قومي. ما انتهينا: لو أمكنتنا الفرصة لقتلناك كما قتلنا أباك من قبل، الضميم: الذل، لعمر ك: لفظ للقسمة، أي أقسم بحياتك، الحليف: الناصر والصديق.

(١) الشعر والشعراء ١١٦/١، ١١٢، ديوان امرئ القيس ص ١٣٨ - ١٣٩.

كانوا الشفاء: يعني أن الذي يشفيه مما يجد بقتل أبيه قتل بني أسد، فوضع السلاح في كنانة، وهو يرى أنهم بنو أسد، فتلهف ألا يكون أدرك بني أسد، أي إن بني أسد كانوا شفاء نفسه لو أصابهم، إذ هم قتلة أبيه، الجذ: الحظ واليخت، يقول: وقى بني أسد جدهم، ويختهم بقتل بني عمهم كنانة، بني أبيهم: يريد بني كنانة الذي حاربهم يحسبهم بني أسد، ثم كف عنهم حين تبين خطأه، وأسد وكنانة أخوان هما ابنا خزيمة، وهذا البيت وما بعده اشتمل كل واحد منهما على مثلين، وكان الأصمعي يعجب من جودة هذه الأبيات، ويفضلها، أفلتهن: =

ثم تبع بني أسد، فأدركهم، وقتل فيهم قتلا ذريعا، وقال:

قولا لدودان عبيد العصا	ما غركم بالأسد الباسل
قد قرت العينان من وائل	ومن بني عمرو ومن كاهل
ومن بني غنم بن دودان إذ	نقذف أعلاهم على السافل
نظعنهم سلكى ومخلوجة	كرك لأمين على نابـل
إذ هن أقساط كرجل الديبي	أو كقطى كاظمة الناهل
حتى تركناهم لدى معرك	أرجلهم كالخشب الشائل
حلت لي الخمر، وكنت امرءا	عن شريها في شغل شاغل
فاليوم أسقى غير مستحقب	إثما من الله ولا واغل ^(١)

=يعني الخيل التي كانت تطلبه، فلم تدركه، الجريض: الذي يغص بريقه عند الموت، أي غصص الموت، يريد: أفلتهن مجهودا يكاد يقضي، صفر الوطاب: أي هلك فخلا جسمه من روحه، كما يخلو الوطاب من اللبن، وقيل: المعنى أنه يقتل، فتصفر وطابه، أي تخلو ويذهب لبنها، فلا يكون له لبن، لأنه إذا مات فلا شئ له من ماله، صفر: خلا، الوطاب: جمع وطب، وهو سقاء اللبن.

(١) دودان: قبيلة من بني أسد، عبيد العصا: أي لا يتقادون إلا على الضرب والهوان، وأراد بالأسد الباسل أباه، مالك وعمرو وكاهل: أحياء من بني أسد، بنو غنم بن دودان: من بني أسد، سلكى: طعنة مستقيمة أمام الوجه، مخلوجة: مائلة إلى يمين أو شمال، كرك: عطفك وردك، اللأمان: السهمان، النابل: الذي يرمي بالنبل، هن: الخيل، وهي مفهومة من مقام الحرب، أقساط: جمع قسط، أي فرق وقطع، الرجل: بكسر الراء، القطعة من الجراد، كاظمة: بلد على الخليج العربي قرب مصب شط العرب، الناهل: الطالب للمتهل لعطشه، المعرك: موضع القتال، الخشب الشائل: الذي ألقى بعضه على بعض في غير نظام، المستحقب: الذي يجعل الشئ في الحقيبة خلفه إذا ركب الإبل، استعارة لمكتسب الإثم، الواغل: الذي يدخل على القوم يشربون الخمر ليشرب معهم دون أن يدعوه.

ولكن المنذر ملك الحيرة ألح في طلب امرئ القيس، لعداء قديم،
ووجه إليه الجيوش، فتفرق عنه أصحابه خوفاً من بطش المنذر وسطوته.

وتحولت حياة امرئ القيس وشعره، فيها هو ذا يقول:

أرانا موضعين لأمر غيب	ونسحر بالطعام وبالشراب
عصافير وذبان ودود	وأجراً من مجلحة الذئباب
فبعض اللوم عاذلتي فإني	ستكفيني التجارب وانتسابي
إلى عرق الثرى وشجت عروقي	وهذا الموت يسلبني شبابي
ونفسي سوف يسلبها وجرمي	فيلحقني وشيكا بالتراب
ألم أنض المطي بكل خرق	أما الطول لساع السراب
وأركب في اللهام المجر حتى	أنال مآكل القحم الرغاب
وكل مكارم الأخلاق صارت	إليه همتي وبه اكتسابي
وقد طوفت في الآفاق حتى	رضيت من الغنيمة بالإياب
أبعد الحارث الملك بن عمرو	وبعد الخير حجر ذي القباب
أرجى من صروف الدهر لنا	ولم تغفل عن الصم الهضاب

وأعلم أنني عما قريب سأنشب في شبا ظفر وناب
كما لاقى أبي حجر وجدي ولا أنسى قتيلًا بالكلاب^(١)

يقول الرواة: إنه أتى السموءل بن عاديا، استودعه أهله وماله،
وسلحه، ثم سار ومعه عمرو بن قميئة أحد بني قيس بن ثعلبة، فبكى
ابن قميئة، وقال له: لقد غررت بنا، يقول امرؤ القيس:

بكى صاحبي لما رأي الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكا أو نموت فعدرا
إذا قلت هذا صاحب قد رضىته وقرت به العينان بدات آخرا
كذلك جدي ما أصاحب صاحبا من الناس إلا خانني وتغيرا

(١) موضعين: مسرعين، لأمر غيب: يريد الموت، أو المستقبل المجهول، تسحر: نلهى،
أو تغذى، العصافير: ضعاف الطير، المجلح: الجري، والأنثى مجلحة، فبعض اللوم: كفى
بعض لومك، انتسابي: كوني ذا نسب في الهالكين، عرق الثرى: قيل: هو آدم، وشجت:
اتصلت واشتبتكت، الجرم: الجسد، الوشيك: السريع، أنضيت الدابة: هزلتها، الخرق: المفازة
الواسعة تنخرق فيها الرياح وتشتد، أمق الطول: شديده، اللهام: الجيش الكثير يلتهم كل ما
يمر به، المجر: الثقيل، القحم: جمع قحمة، وهي الدفعة، الرغاب: الواسعة، المآكل: المغانم
وغيرها مما يظفر به، الحارث بن عمرو: جده، حجر بن الحارث بن عمرو: أبوه، وهما من ملوك
كندة، القباب: أبنية من آدم لا تكون إلا للملوك، الصم: المصمتة، الهضبة: الصخرة الراسية
الضخمة، شبه أباءه وأجداده بالهضاب والجبال، أنشب: أعلق، شبا كل شئ: حده، الكلاب:
واد لبني عامر، قتيل الكلاب: عمه شرحبيل بن الحارث.
ولكنه لم ييأس، فسعى إلى قيصر ملك الروم، وكان عدوا للفرس واللخمين.

وأكرمه ملك الروم، وناداه، واستمده فوعده ذلك، ويقول:

ونادمت قيصر في ملكه فأوجهني وركبت البريداً

إذا ما ازدحمنا على سكة سبقت الفرانق سبقاً بعيداً

ولكنه - كما قيل - بعث إليه مع رجل من العرب، يقال له الطماح
بحلة منسوجة بالذهب مسمومة، فلما لبسها أسرع فيه السم، وتنفط
جلده، والعرب تدعوه ذا القروح لذلك ولقوله:

وبدلت قرحاً دامياً بعد صحة فيالك من نعمى تحولن أبؤساً

فلو أنها نفس تموت جميعاً ولكنها نفس تساقط أنفساً

وقال الفرزدق:

وهب القصائد لي النوايغ إذ مضوا وأبو يزيد وذو القروح وجرول

قيل: أبو اليزيد هو المخبل السعدي، وذو القروح امرؤ القيس،
وجرول الخطيئة^(١)

- ولما صار إلى مدينة بالروم تدعى أنقرة ثقل، فأقام بها حتى

(١) الشعر والشعراء ١٠٥/١.

مات، وقبر هناك، وقال قبل موته:

رب خطبة مسحفره وطعنة مشعنجره

وجعبة متحيره تدفن غدا بأنقره

ورأى قبراً لامرأة من بنات ملوك الروم هلكت بأنقرة، فسأل عن
صاحبه فخير يخبرها، فقال:

أجارتنا إن المزار قريب وإني مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا إنا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب^(١)

وعسيب: جبل هناك.

ولما بلغ السموأل موت امرئ القيس دفع ما خلف عنده من السلاح
وغيره إلى عصبته.

* * *

- وكان يعد من عشاق العرب. وكان يشبب بنساء: منهن فاطمة
بنت العبيد بن ثعلبة بن عامر العذرية، وهي التي يقول لها:

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل^(٢)

(١) الشعر والشعراء ١٢١/١.

(٢) من المعلقة.

ويقول لها: (١)

لا وأبيك ابنة العامر ي لا يدعى القوم أني أفر

ومنهن أم الحرث الكلبية، وهي التي يقول فيها: (٢)

كدأبك من أم الحورث قبلها وجارتها أم الرساب بمأسل

ومنهن عنيزة، وهي صاحبة يوم دارة جلجل. (٣)

حدث راوية للفرزدق أنه لم ير رجلاً كان أروى لأحاديث امرئ القيس وأشعاره من الفرزدق، هو وأبو شققل، لأن امرأ القيس كان صاحب عمه شرحبيل، وكان شرحبيل بن الحرث مسترضعاً في بني دارم رهط الفرزدق، وكان امرؤ القيس رأي من أبيه جفوة، فلاحق بعمه، فأقام في بني دارم حيناً (٤).

وقال الشعر في جميع أطوار حياته. (٥)

وقد أجمع مؤرخو الأدب على أن امرأ القيس أسبق شعراء العربية

(١) من قصيدة في الديوان.

(٢) من المعلقة، مأسل: اسم ماء.

(٣) من المعلقة.

(٤) الشعر والشعراء ١/ ١٢٢.

(٥) نصوص، أحمد الشعراوي، عبد المقصود السعداوي ص ٥ - ٣٣.

إلى ابتداء المعاني، والتعبير عنها، وأنه افتتح أبواباً من الشعر، ووفق إلى تشبيهات ابتكرها، فكان أول من وقف على الطلول، واستوقف، وبكى، واستبكى، وأول من قيد الأوابد، وشبه النساء بالطباء، والبيض، والمها، والخيّل بالعقبان والعصى، وأجاد في التشبيه، وأرق النسب، وفصل بينه وبين المعنى^(١)، وأول من لطف المعاني، وفرق بين النسب، وما سواه من القصيد، وقرب مأخذ الكلام^(٢).

وقد ردد الفرزدق لقبه، وهو ذو القروح^(٣)

ويرى النقاد العرب أن امرأ القيس أول من استعمل النسب وغيره من معاني الشعر في أسلوب القصائد^(٤).

ومن الخصائص العروضية في شعره كثرة استعمال الضرب المقبوض في الطويل، وكثرة الإقواء في القافية، وكثرة التصريح في غير أول القصيدة^(٥).

ويرجع الفضل في رواية أشعار امرئ القيس الكثيرة الاضطراب إلى حماد الراوية على وجه الخصوص. كما يرجع بعض ذلك إلى أبي عمرو بن العلاء^(٦).

(١) مقدمة ديوانه تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ص ٦ - ٧.

(٢) العمدة ٧٧/١.

(٣) المزهر ٢٧٦/٢.

(٤) المزهر ٢٩٧/٢، تاريخ الأدب العربي، بروكلمان ٩٩/١.

(٥) نقد الشعر، ص ١٤ وما بعدها، تاريخ الأدب العربي، بروكلمان ٩٩/١.

(٦) المزهر ٢٥٣/٢، تاريخ الأدب العربي، بروكلمان ٩٩/١.

وزعم الرياشي أن كثيراً من الشعر المدون في ديوان امرئ القيس منحول عليه، وهو لفتيان من أصحابه، مثل عمرو بن قميئة^(١).

وكان امرؤ القيس ممن يتعهر في شعره^(٢) وذلك قوله:

فمثلك جبلى قد طرقت ومرضع

سموت إليها بعد ما نام أهلها

- وقد سبق امرؤ القيس إلى أشياء ابتدعها، واستحسنها العرب، واتبعته عليها الشعراء، من استيقافه صحبه في الديار، ورقة النسيب، وقرب المأخذ.

* * *

- ويستجاد من تشبيهه قوله:

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً

لدى وكرها العناب والحشف البالي

وقوله:

كأن عيون الوحش حول قبابنا وأرحلنا الجزع الذي لم يشقب^(٣)

(١) الموشح ص ٣٤، تاريخ الأدب العربي، بروكلمان ٩٩/١.

(٢) الجمحي ١٤، الشعر والشعراء ١١٠/١.

(٣) الجزع: خرز فيه بياض وسواد، تشبه به الأعين. وهو بفتح الجيم، وحكى فيه كسرهما أيضاً، والبيت في اللسان ٩ - ٣٩٨.

وقوله: (١)

كأنني غداة البين لما تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل
وقد أجاد في صفة الفرس:

مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل
له أيتلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفلس (٢)
- ومما يعاب عليه من شعره قوله:

إذا ما الشريا في السماء تعرضت تعرض أنشاء الوشاح المفصل
وقالوا: الشريا لا تعرض لها، وإنما أراه أراد الجوزاء، فذكر الشريا
على الغلط، كما قال الآخر، كأحمر عاد، وإنما هو كأحمر شمود، وهو
عافر الناقة (٣).

* * *

- قال يونس النحوي: قدم علينا ذو الرمة في سفر، وكان أحسن

(١) من المعلقة.

(٢) الأيتلا: الحاصرة، يريد أن خاصرتيه لضمورهما كخاصرتي الظبي. السرحان: الذئب، وإرخاؤه: سرعته، وليس دابة أحسن إرخاء من الذئب. التقريب: أن يرفع يديه معاً ويضعهما معاً. التفلس: ولد الثعلب، وهو أحسن الدواب تقرباً، وهو بتاءين مشناتين.

(٣) الذي قال: كأحمر عاد، هو زهير في معلقته، وقد اعتذر عنه المبرد بأن شمود يقال لها «عاد الأخيرة» وفوم هود هم «عاد الأولى»، شرح ديوان زهير طبعة دار الكتب ٢٠ وشرح التبريزي على القصائد العشر ١١٣ والخزانة ١ - ١٦٢ والأصمعية ٥٥ - ١٥.

الناس وصفاً للمطر، فذكرنا له قول عبيد وأوس وعبد بني الحسحاس
في المطر، فاختر قول امرئ القيس^(١):

ديمة هطلاء فيها وطف طبق الأرض تحرى وتدر^(٢)

- أقبل قوم من اليمن يريدون النبي صلى الله عليه وسلم، فضلوا
الطريق ومكثوا ثلاثاً لا يقدرّون على الماء، إذ أقبل راكب على بعير،
وأنشد بعض القوم^(٣):

لما رأت أن الشريعة همها وأن البياض من فرائضها دامي
تيممت العين التي عند ضارج

يفئ عليها الظل عرمضها طامي^(٤)

(١) الديوان ٨٩ - ٩٠ والبيت في اللسان ١٤ - ٧٩ - ٢٢٣.

(٢) الديمة: المطر الدائم في سكون. الهطلاء: الدائمة أيضاً فوق الديمة أو نحوها. الوطف:
الغزارة مع الاسترخاء. طبق الأرض: غشاء لها، تطبق الأرض وتعمها، تحرى: تنحري أي
تتوخى وتعمد. تدر: تصب الماء. والبيت في اللسان ١٨ - ١٨٩.

(٣) الديوان ١٨٢، الشعر والشعراء ١١١/٨.

(٤) الشريعة: مشرعة الماء، وهي مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها
ويستقون. والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء عدا لا انقطاع له ويكون ظاهراً معيناً
لا يسقى بالرشاء. الفرائض: جمع فريضة، وهي لحمة عند نغض الكتف في وسط الجنب عند
منبض القلب، وهما فريستان، ترتعدان عند الفزع.

ضارج: جبل، كتاب صفة جزيرة العرب ص ١٧٨. وذهب صاحب اللسان إلى أنه موضع
ببلاد عيس. العرمض، بفتح العين والميم: الطحلب قال في اللسان ٣ - ١٣٩: «همها:
طلبها، والضمير في رأيت للحمر، يريد أن الحمر لما أرادت ربعة الماء خافت على أنفسها من
الرماة وأن تدمي فرائضها من سهامهم عدلت إلى ضارج لعدم الرماة على العين فيه...
وطامي: مرتفع». لسان العرب ٩ - ٥٠.

فقال الراكب: من يقول هذا؟ قالوا: امرؤ القيس، فقال: والله ما كذب، هذا ضارج عندكم، وأشار إليه، فمشوا على الركب، فإذا ماء غدق، وإذا عليه العرمض والظل يفئ عليه، فشربوا وحملوا، ولولا ذلك لهلكوا^(١).

* * *

- وما يتمثل به من شعره قوله^(٢):

وقاهم جدهم ببني أبيهم وبالأشقين ما كان العقاب^(٣)

وقوله:

صبت عليه ولم تنصب من كذب

إن الشقاء على الأشقين مصبوب^(٤)

وقوله:

وقد طوفت في الأفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

(١) القصة في اللسان ٣ - ١٣٩ ونقلها ياقوت في البلدان ٥ - ٤٢١ - ٤٢٢.

(٢) البيت من أبيات ثلاثة في ديوانه ٥٠ - ٥١ وهي الأصمعية ٤١.

(٣) جدهم: حظهم. ببني أبيهم: يريد بني كنانة الذين حاربهم يحسبهم بنى أسد، ثم كف عنهم حين تبين خطأه، وأسد وكنانة أخوان، هما ابنا خزيمه.

(٤) الكشب: القرب. وفي الديوان ٥٣ «وما تنصب من أمم»، الشعر والشعراء ١١٢/١.

- وما يتغنى به من شعره: قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل^(١)

وقوله:

تقول وقد مال الغبيط بنا معاً

عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل^(٢)

وقال أبو النجم يصف قينة:

تغنى، فإن اليوم يوم من الصبي،

ببعض الذي غنى امرؤ القيس أو عمرو

فظلت تغنى بالغبيط وميله

وترفع صوتاً في أواخره كسر

وقوله: ^(٣)

كأن المدام وصوب الغمام وريخ الخزامى ونشر القطر

يعل به برد أنيابها إذا طرب الطائر المستحضر

وكل ما قيل في هذا المعنى فمنه أخذ.

(١) يعني المعلقة.

(٢) الغبيط: هودج يقبب بشجار، يكون للحرائر.

(٣) من قصيدة في ديوانه ٧٧ - ٨٣.

صوب الغمام: ماء السحاب. الخزامى: قال أبو حنيفة: عشبة طويلة العيدان صغيرة الورق حمراء الزهرة طيبة الريح لها نور كنور البنفسج، قال: ولم نجد من الزهرة زهرة أطيب نفحة من نفحة الخزامى. القطر، بضم الطاء ويسكونها: العود الذي يتبخر به. قال في اللسان: =

- واجتمع عند عبد الملك أشراف من الناس والشعراء، فسألهم عن
أرق بيت قالته العرب، فاجتمعوا على بيت امرئ القيس:
وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلبٍ مقتل^(١)
وقال: (٢)

والله أنجح ما طلبت به والبر خير حقيبة الرحل
وقال: (٣)

من آل ليلى وأين ليلى وخير ما رمت ما ينال
وجده حجر لقب بأكل المار^(٤)

=«شبه ماء فيها في طيبه عند السحر بالمدام وهي الخمر وصوب الغمام الذي يمزج به الخمر
وريح الخزامى ونشر القطر وهو راتحة العود. والظائر المستحر وهو المصوت عند السحر».
لسان العرب ١٤/٦، ٤١٩، ٦١/٧، ٦٦/٢٥ الشعر والشعراء ١١٣/١.

(١) من المعلقة. الأعشار: أعشار الجزور، تقسم في الميسر إلى عشرة أنصبا، ثم يجال
عليها بالسهام، وهذا مثل. قال ثعلب: أراد بقوله يسهميك هنا سهمى قداح الميسر، وهما
المعلى والرقيب، فللمعلى سبعة أنصبا وللرقيب ثلاثة، فإذا فاز الرجل بهما غلب على جزور
الميسر كلها، ولم يطمع غيره في شيء منها، وهي تقسم على عشرة أجزاء. فالمعنى أنها ضريت
بسهامها على قلبه فخرج لها السهمان فقلبت على قلبه كله وفتنته فملكته. قال في اللسان:
«وجعل السهم الذي له ثلاثة أنصبا الضريب، وهو الذي سماه ثعلب الرقيب. وقال اللحياني:
بعض العرب يسميه الضريب وبعضهم يسميه الرقيب. لسان العرب ٦ - ٢٤٩ وشرح
التبريزي ٢٣ - ٢٤، الشعر والشعراء ١١٤/١.

(٢) من قصيدة في الديوان ١٤٦ - ١٤٩.

(٣) من قصيدة في الديوان ١٦١ - ١٦٣.

(٤) المار، بضم الميم وتخفيف الراء، والمرار: شجر مر، قال في اللسان: أن حجراً إنما
سمى أكل المار أن ابنة كانت له سبها ملك من ملوك سليح يقال له ابن هبولة، فقالت له ابنة
حجر: كأنك بأبي قد جاء كأنه جمل أكل المار، يعني كاشراً عن أبيه، فسمى بذلك. وقيل
أنه كان في نفر من أصحابه في سفر فأصابهم الجوع، فأبى هو فأكل من المار حتى شبع ونجا،
وأما أصحابه فلم يطيقوا ذلك حتى هلك أكثرهم، ففضل عليهم بصره على أكله المار».

وتدور أغراضه على حوادثه وأخباره من غزله، وذكر مغامراته،
وصيده، وفرسه، وطوافه على القبائل، يمدح أنصاره، ويهجو خاذليه
وأعداءه، وسفره إلى القسطنطينية، وهذه الأغراض تقوم عنده على
الوصف والقصص.

وهو معدود من شعراء الطبقة الأولى، وأبعدهم شهرة، ويمتاز شعره
بالجزالة والروعة، والإيجاز، وقد اتفق الراء على تفضيله، وقد أورث
الأدب العربي ثروة ضخمة كانت مادة خصبة للغويين، والنحاة،
والأدباء، وسبق إلى معان أخذها من جاء بعده من الشعراء.

قال ابن رشيق في المختار: وهو ما لم يسبق إليه قائله، ولا عمل
أحد من الشعراء قبله نظيره، أو ما يقرب منه، كقول امرئ القيس:
كأن قلوب الطير رطبا وبابسا

لدى وكرها العناب والحشف البالي^(١)

وله اختراعات كثيرة، وهو أول الشعراء اختراعا في الشعر،
وأكثرهم توليدا.

(١) الشعر والشعراء ١١٠/١.

هذا البيت في وصف العقاب، كأن قلوب الطير رطبا العناب، وبابسا الحشف البالي،
وخص القلوب، لأن فرخ العقاب - فيما يقال - يأكل لحم الطائر ما خلا قلبه، فلذلك كثرت
قلوب الطير عندها.

وكان بشار بن برد يقول: لم أزل أحسد امرئ القيس على قوله هذا
حتى قال بيتا مقاربا.

وقوله:

وقد اغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكلا^(١)
فابتدع قيد الأوابد.

وقوله في باب التمثيل:

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي يسهميك في أعشار قلب مقتل^(٢)
وقال في الإيغال: وليس بين الناس اختلاف في أن امرأ القيس أول
من ابتكر هذ المعنى:

كأن عيون الوحش حول خباتنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب^(٣)
قال البكري:

وهذا التشبيه من التشبيهات العقم التي لم يسبقه أحد إليها، ولا
تعاطاها أحد بعده.

(١) قيد الأوابد: عنى بذلك أنه إذا أرسله على الصيد صار قيذا له من شدة عدوه، وقد
اقتدى به الشعراء والكتاب فيه، فقالوا: قيد النواظر، وقيد الكلام.

(٢) مثل عينيها-بسهمي الميسر، يعنى المعلى، وله سبعة أنصبا، والرقيب وله ثلاثة
أنصبا، ومثل قلبه بأعشار الجزور.

(٣) قال البكري: الظباء والبقير عيونها سود في حالة الحياة، فإذا ماتت بدا بياضها،
فلذلك شبهها بالجزع الذي فيه سواد وبياض بعدما ماتت، والجزع هو الخرز اليماني فيه سواد
وبياض، الشعر والشعراء ١١٠/١.

وله في تشبيهاته طرائق بديعة هو أول من ابتكرها، كتشبيه
الإضافة في قوله:

له أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل
وقد زعم الفرزدق أنه أكمل بيت، أو قال أجمع بيت، وهو أول من
فتح هذا الباب.

وزعم بعض الرواة أن أول استعارة وقعت في الكلام قول امرئ
القيس:

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهمسوم ليبتلي
فقلست له لما قطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل
قال الرافعي في هذين البيتين: ليس بخفي أن العربي الذي يجيء
بالاستعارة المتمكنة، إنما كان ينظر فيها، ويديرها إدارة بحيث لا تتفق
اتفاقا، ولا تجيء عفوا إلا في النادر، ولذلك قل الجيد منها في كلامهم
حتى نزل القرآن، فتكون من هذه الجهة اختراعا يدل على قوة غير قوة
الفطرة، وهي في امرئ القيس أكثر منها في المأثور من شعر غيره من
الجاهلية، وأصفى ماء، وأعذب رواء، وحسب ذلك أن يكون دليلا على

تفضله، وأشهر الاستعارات التي اتفقت له هذا البيتان، فاستعار الليل سدولا يرخيها، وصلبا يتمطى به، وأعجازا يردفها، وكلكلا ينوء به، وقد تنازعها الأدباء حتى جرى مجرى المثل، وقلما نجد كتابا في البيان خاليا منهما.

كما علل الرافعي أسباب شهرة امرئ القيس في العرب، وبقاء شعره على ألسنتهم، فقال: إنهم يجدون في بعض كلامه رقة المنادمة، وطرب الخمر، وفنون الغزل، وغير ذلك مما هو من حظ القلب، ثم هم يرونه إذا أخذ في غير هذه المعاني يطبع ألفاظه على قلبها من الاستعارة والتشبيه، فإذا قابلوا ذلك بخشونة غيره، وانصرفه إلى أوصاف البداوة وجدوا في شعره كالظل الذي يفنى، والماء الذي يجري، والحسن الذي يمتدح، والنسيم الذي يترنح، فكان ولا جرم، وكأنه يستهويهم استهواء، وكان مجموع شعره في البدو حضارة، وفي الحضار بدواة.

وقال أحد النقاد المحدثين: فضل امرئ القيس في سبقه الشعراء إلى أبواب كثيرة، وتعرفه بمعانيها العديدة، فسن للشعراء طرقا وأساليب تبعوها عن قرب، ولم يزالوا مأخوذين بتلك المطالع الجميلة، من أمثال:

ألا انعم صباحا أيها الطلل البالي

وقوله:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

فكان أول من وقف واستوقف على الأطلال، ويكى من ذكر الأحبة،
وأدخل في الشعر مواضيع الغزل الرقيقة، مع إطالة الوصف، واستبقاء
جميع صورته.

وكان فضله في ابتكار التعبير فضله في ابتكار المعنى، كقوله:

وقد طوقت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

وقوله:

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال

ولكنما أسعى لمجد مؤثّل وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالي

وقد سبق إلى معان أخذها من جاء بعده من الشعراء، ومن ذلك
قوله:

كميت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل

أخذه أوس بن حجر، فقال:

يزل قتود الرجل عن دأياتها

كما زل عن عظم الشجيج المحارف^(١)

وقال:

فعن لنا سرب كأن نعاجه عذارى دوار في ملاء مذيّل
عكس الصورة في التشبيه المقلوب، ففتح بابه لمن بعده من
الشعراء.

وكان له فضل السبق إلى ما يدعونه التشبيه المألوف

مثل قوله:

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي
وقال أبو عبيدة: هو أول من قيد الأوابد فتبعه الناس.

وكان امرؤ القيس لا يتكسب بشعره، ولكنه مدح بني تيم رهط
المعلّى:

أقر حشا امرئ القيس بن حجر بنو تيم مصابيح الظلام

(١) الدايات: أضلاع الكتف، الشجيج: المشقوق الرأس، المحارف - جمع المحرف - وهو
الميل الذي تسير به الجراحات.

لأن المعلى أحسن إليه، وأجاره حين طلبه المنذر بن ماء السماء لقتله
بني أبيه.

وقال أيضا لسعد بن الضباب:

سأجزيك الذي دافعت عني وما يجزيك عني غير شكري
فأخبره بأن شكره هو الغاية في مجازاته. (١)

وقال ابن رشيقي: فضل على رضي الله عنه امرأ القيس بأن قال:
رأيت أحسن نادرة، وأسبقهم بادرة، وأنه لم يقل لرغبة، ولا لرهبة.
وقدم دعبيل امرء القيس بقوله في وصف عقاب:
ويلمها من هواء الجسو طالبة ولا كهذا الذي في الأرض مطلوب
وهذا عنده أشعر بيت قالت العرب.

وسئل لبيد: من أشعر الناس؟ قال الملك الضليل، قيل: ثم من؟ قال:
الشاب القتيل، يعني طرفة.

وسئل الفرزدق: من أشعر الناس؟ قال: ذو القروح، قيل: حين يقول
ماذا؟ قال: حين يقول:

وقلهم جد هم ببني أبيهم وبالأشقين ما كان العقاب (٢)

(١) العمدة ٦٤/١.

(٢) العمدة ٧٧/١.

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: يقول من فضله: إنه أول من فتح الشعر واستوقف، وبكى في الدمن، ووصف ما فيها. ثم قال: دع ذا رغبة عن النسبة، فتبعوا أثره. وهو أول من شبه الخيل بالعصا واللقوة والسباع والظباء والطير، فتبعه الشعراء على تشبيهها بهذه الأوصاف.

أول من بكى في الديار امرؤ القيس بن حارثة بن الحمام بن معاوية^(١)، وإياه عني امرؤ القيس بقوله:

يا صاحبي قفا النواعج ساعة نبكي الديار كما بكى ابن حمام^(٢)

وقال أبو عبيدة: هو ابن خدام، وأنشد:

عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن خدام^(٣)

(١) جمهرة الانساب لابن خزم ص ٤٢٥ - ٤٢٦.

ونسبه في المؤلف للأمدي ١٠ هكذا «امرؤ القيس بن حمام ثم أعاده في ٩٢ وقال في شأنه: ص ١١ «والذي أدركه الرواة من شعره قليل جداً» وقال في ص ٩٢: «درس شعره وذهب إلا اليسير».

(٢) من المعلقة، وفي رواية البيت خلاف كثير. النواعج والناعجات من الإبل: البيض الكريمة.

(٣) المحيل: الذي أتت عليه أحوال وغيرته. وقد اختلف في ابن حمام هذا، فقليل أيضاً «ابن خدام» بالخاء المعجمة والدال المهملة، وقيل غير ذلك. الخزانة ٢: ٢٣٤ - ٢٣٥.

- قال: وهو القائل: (١)

كأنني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الدار ناقف حنظل

أراد أنه بكى في الدار عند تحملهم، فكأنه ناقف حنظل، وناقف
الحنظلة ينقفها بظفره، فإن صوتت علم أنها مدركة فاجتناها، فعينه
تدمع لحدة الحنظل وشدة رائحته، كما تدمع عيناً من يدوف الخردل،
فشبه نفسه حين بكى بناقف الحنظل.

* * *

- فمما أخذه الشعراء من شعر امرئ القيس (٢):

قال امرؤ القيس:

وقوفاً بها صبحي على مطيهم يقولون: لا تهلك أسي وتجمل

أخذه طرفة فقال:

وقوفاً بها صبحي على مطيهم يقولون: لا تهلك أسي وتجلد

(١) يريد أن أبا عبيدة يذهب إلى أن البيت الآتي، وهو من المعلقة، أصله لامرئ القيس
بن خدام، فأخذه امرؤ القيس بن حجر. وقد صرح بذلك صاحب الخزائنة، الشعر والشعراء،
١٢٨/١.

(٢) من المعلقة.

- وقال امرؤ القيس يصف فرساً:

ويخطو على صم صلاب كأنها حجارة غيل وارسات بطحلب^(١)

أخذه النابغة الجعدي فقال:

كأن حواميه^(٢) مديراً خضبن وإن كان لم يخضب

حجارة غيل برضراضة كسين طلاء من الطحلب

- وقال امرؤ القيس يصف الناقة:

كأن الحصى من خلفها وأمامها إذا نجلته رجلها حذف أعسرا^(٣)

أخذ الشماخ فقال:

لها منسم مثل المحارة خفة كأن الحصى من خلفه حذف أعسرا^(٤)

(١) من قصيدة في الديوان ٣١ - ٤١. الصم الصلاب: حوافر الفرس، شبهها بالصخور الصم. الغيل: الماء الجاري. الوارسات: المصفرات من الطحلب، لونها كلون الورد. اللسان ١٤١: ٨، ٢٥: ١٤.

(٢) الحوامي: حروف الحوافر من عن يمين وشمال.

(٣) من قصيدة في الديوان ٦٦ - ٧٦. نجلته: رمته بمناسمها. الحذف: رمي الحصى بالأصابع. الأعسر: الذي يعمل ببسراه، فإذا حذف بها فقلما أصاب. اللسان ١٠: ٧ - ٤.

(٤) المحارة: الصدفة، شبه بها منسم الناقة. وفي اللسان عن أبي العميشل الأعرابي: «المحارة منسم البعير» فهذا على التشبيه، أخذه كأنه معنى وضعي، ولم يشيروا إلى أصل التشبيه وأنه استعمال شاعر كالشماخ.

وقال امرؤ القيس يصف فرساً:

كميت يزول اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل^(١)

أخذه أوس بن حجر فقال:

يزول قتلود الرجل عن دأياتها

كما زل عن عظم الشجيج المحارف^(٢)

ـ وقال امرؤ القيس يصف فرساً:

سليم الشظا عبل الشوى شنج النسا

له حجبات مشرفات على الفال^(٣)

(١) من المعلقة. يزول اللبد عن وسط ظهره. الصفواء: الصخرة الملساء. اللسان ١٩: ١٩٧، الشعر والشعراء ١/ ١٣٠.

(٢) قتلود: جمع قتد، وهو من خشب الرجل. الدأيات: فقار الكاهل في مجتمع ما بين الكتفين من كاهل البعير. الشجيج: المشجوج. المحارف: جمع محراف، وهو الميل الذي تسير به الجراحات. اللسان ١٠: ٣٩٠.

(٣) من قصيدة في الديوان ١٣٨ - ١٥٦. الشظى: عظيم ملزق بالذراع. عبل الشوى: غليظ القوائم. النسا: قال الأصمعي: «عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعروق حتى يبلغ الحافر» والشنج: المتقبض، وهو مدح له، لأنه إذا تقبض نساء وشنج لم تسترخ رجلاه. الحجبات: رؤوس عظام الوركين. الفال: عرق في الفخذين يكون في خربة الورك ينحدر في الرجل، وأصله «فائل» فأتى به على القلب، أو هما لفتان فيه. اللسان ١٤: ٥٢، ١٩: ١٦٢، ١: ٢٩١.

فأخذه كعب بن زهير^(١) فقال:

سليم الشظا عبل الشوى شنج النسا

كأن مكان الردف من ظهره قصر

وأخذه النجاشي فقال:

أمين الشظا عاري الشوى شنج النسا

أقب الحشا مستذرع التدفان^(٢)

- وقال امرؤ القيس:

فلأيا بلاي ما حملنا غلامنا على ظهر محبوبك السراة محنب^(٣)

فأخذه زهير فقال:

فلأيا بلأى ما حملنا غلامنا على ظهر محبوبك ظماء مفاصله^(٤)

(١) وأخذه أيضاً دريد بن الصمة في الأصمعية ٢٨: ٢٥.

(٢) التدفان: سرعة وجل اليمين. الأغاني ١٢: ٧٣، الشعر والشعراء ١٣١/١.

(٣) من قصيدة في الديوان ٣١ - ٤١. لأيا بلأى: أي جهداً بعد جهد حملنا غلامنا على الفرس. محبوبك السراة: مجدول الظهر. محنب: من التحنيط، وهو أحديداب في وظيفي يدي الفرس، وليس ذلك بالاعوجاج الشديد، وهو مما يوصف صاحبه بالشدة. والبيت في اللسان ١: ٣٢٤، ٢٠: ١٠٣.

(٤) البيت من قصيدة في ديوانه بشرح ثعلب طبعة دار الكتب المصرية ١٣٣. ظماء مفاصله: ليست برهلة، وإذا كان المفصل ظمآن كان أبيض له.

- وقال امرؤ القيس:

وعنس كألواح الإران نسأتها على لاحبٍ كالبرد ذي الحبرات^(١)
أخذه طرفة فقال:

أمون كألواح الإران نسأتها على لاحبٍ كأنه ظهر برجد^(٢)
- وقال امرؤ القيس يصف امرأة:

نظرت إليك بعين جازئة حوراء حانية على طفل^(٣)
أخذه المسيب فقال:

نظرت إليك بعين جازئة في ظل باردة من السدر
- وقال امرؤ القيس يصف الفرس:

يجم على الساقين بعد كلاله جموم عيون الحسى بعد المخيض^(٤)

(١) من قصيدة في الديوان ٥٧ - ٥٩. العش: الناقة القوية، شبهت بالصخرة لصلابتها. الإران: خشب صلب يشد بعضه إلى بعض. نسأتها: زجرتها وسقتها بالنسأة، وهي العصا. اللاحب: الطريق الواضح. البرد ذو الحبرات: من ثياب اليمن الموشاة. وصدر هذا البيت أخذه أيضاً شاعر آخر. في اللسان ١: ١٦٤.

(٢) ناقة أمون: أمينة وثيقة الخلق قد أمنت أن تكون ضعيفة، وهي التي أمنت العشار والإعيا. البرجد: كساء مخطط ضخم. اللسان ١٦: ١٥٣.

(٣) من قصيدة في الديوان ١٤٦ - ١٤٩. جازئة: من «جزأ بالشئ» قنع واكتفى به، كاجتزأ. ويقوة جازئة: مكتفية بالكلا عن الماء.

(٤) من قصيدة في الديوان ١٠٨ - ١١١. يجم عن الساقين: يستريح عليهما بعد تعبهما فيذهب إعياءهما. الحسى: حفيرة قريبة القعر في الرمل ينبط مأواه بارداً عذبا. بعد المخيض: بعد أن مخض بالدلاء، أي أكثر الناس النزح بها منه. اللسان ١٤: ٣٧٢.

أخذه زيد الخيل فقال:

يجم على الساقين بعد كلاله كما جم جفر بالكلاب نقيب^(١)

- قال أبو عبيدة: هو أول من قيد الأوابد، يعني في قوله وصف
الفرس «قيد الأوابد»^(٢) فتبعه الناس على ذلك.

- وقال غيره: هو أول من شبه الثغر في لونه بشوك السيال فقال:

منابته مثل السدوس ولونه كشوك السيال وهو عذب يفيض^(٣)

فاتبعه الناس. وأول من قال «فعادى عدا» فاتبعه الناس^(٤). وأول
من شبه الحمار «بمقلاء الوليد»، وهو عود القلة^(٥). و«بكر الأندري»

(١) نقيب: منقوب، الشعر والشعرا ١٣٢/١.

(٢) الأوابد: الوحوش. يريد أن هذا الفرس من سرعته يخلق الأوابد فيصير لها بمنزلة
القيد. وهذا الوصف في المعلقة، الخزانة ١: ٥٠٧ - ٥٠٨.

(٣) في الديوان ١٠٤. السدوس، بضم السين: النيلج الأسود، الذي تسميه العامة
«النيلة». السيال: شجر سبط الأغصان عليه شوك أبيض، أصوله أمثال ثنايا العذارى.
يفيض: يقطر ويسيل، وقيل يبرق، اللسان ٧: ٤١٠ و ٨: ٣٣٥.

(٤) البيت من المعلقة:

فعادى عدا بين ثور ونعجة دراكا ولم يتضح بما فينسل
اللسان ١٩: ٢٦٧، ١٩: ٢٦٦ وهو في قصيدة علقمة الفحل، والبيت فيها ٤٧. وكذلك
هو مشيت في ديوان علقمة الذي في (مجموع خمسة دواوين من أشعار العرب) ص ١٣٤.
عادي: والي. يقال «عادي بين صيدين وبين رجلين» إذ طعنهما طعنتين متواليتين.
(٥) المقلاء، والقلة، بضم القاف وفتح اللام مخففة: عودان يلعب بهما الصبيان،
فالمقلاء: العود الكبير الذي يضرب به، والقلة: الحشبة الصغيرة التي تنصب، وهي قدر
ذراع. وهذا التشبيه في بيت في الديوان ١٠٧ واللسان ٢٠: ٦١.

والكر: الحبل^(١). وشبه الطلل «بوحى الزبور فى العسيب^(٢)». والفرس
«بتيس الحلب^(٣)».

- وما انفرد به قوله فى العقاب^(٤):

كأن قلوب الطير رطباً وباساً

لدى وكرها العناب والحشف البالى

شبه شيئين بشيئين فى بيت واحد: وأحسن التشبيه.

- وقوله:

له أبطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل^(٥)

وقد تبعه الناس فى هذا الوصف وأخذه، ولم يجتمع لهم ما اجتمع
له فى بيت واحد. وكان أشدهم إخفاء لسرقة القاتل. وهو المعذل: ^(٦)

(١) الأندري: الحبل الغليظ. اللسان ٥٤:٧ فى شطر من شعر لبيد.

(٢) الزبور: الكتاب المزبور. العسيب: سعف النخل الذى جرد عنه خوصه. وهذه إشارة
إلى مطلع قصيدة فى الديوان ١٨٦.

(٣) فى بيت فى الديوان ٤١ واللسان ٣٢١:١ وقال: «شبه الفرس بالتيس الذى تحلب
عليه صائك المطر من الشجر، والصائك الذى تغير لونه وريحه».

(٤) فى الديوان ١٤٦.

(٥) من المعلقة. التتفل: بتاءين مثنائين.

(٦) القصري: الضلع التى تلي الشاكلة بين الجنب والبطن. الرثم: الطيى الأبيض الخالص
البياض. السالفة: أعلى العنق. الهيئ: الظليم، وهو ذكر النعام. ظليم أريد ونعامة ريداء
ورمداً: لونها كلون الرماد، وقيل سرداء، والجمع ريد.

له قصر يا رثم وشدقا حمامة وسالفتا هيق من الريد أريدا
- ويستجاد من قوله^(١):

فإنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

ويعاب في قوله:

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذي ثائم محول^(٢)
إذا ما بكى من خلفها انحرفت له بشق وتحتي شقها لم يحول
قال أبو محمد: وليس هذا عندي عيباً. لأن المرضع والحبلى لا
تريدان الرجال. فإذا أصباهما وألهاهما كان لغيرهما أشد إصباة
والهاء.

- ويعاب من قوله^(٣):

أغرك مني أن حبك قاتلي وأنك مهما تأمري القلب يفعل
وقالوا: إذا كان هذا لا يغرقما الذي يغرق؟ إنما هذا كأسير قال
لأسره: أغرك مني أني في يديك وفي إيسارك وأنك ملكت سفك دمي!

(١) في الديوان ٣٣، الشعر والشعراء ١٣٤/١.

(٢) من المعلقة. الثنائيم: التعاويذ. محول: أتى عليه حول.

(٣) من المعلقة، الشعر والشعراء ١٣٥/١.

قال أبو محمد: ولا أرى هذا عيباً، ولا المثل المضروب له شكلاً،
لأنه لم يرد بقوله «حبك قاتلي» القتل بعينه، وإنما أراد به: أنه قد برح
بي فكأنه قد قتلني. وهذا كما يقول القاتل: قتلتنني المرأة بدلها
وهينها. وقتلني فلان بكلامه. فأراد: أغرك مني أن حبك قد برح بي
وأنتك مهما تأمرني قلبك به من هجري والسلو عني يطعك، أي فلا
تفتري بهذا، فإني أملك نفسي وأصبرها عنك وأصرف هواي.

- وعباب عليه تصريحه بالزنا والديب إلى حرم الناس. والشعراء
تتوقى ذلك في الشعر وإن فعلته، قال:

سموت إليها بعد ما نام أهلها

سمو حباب الماء حالاً على حال

فقلت: سباك الله إنك فاضحي

ألست ترى السمار والناس أحوالي

فقلت: يمين الله أبرح قاعداً

ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

حلفت لها بالله حلفة فاجر:

لناموا وما إن من حديث ولا صالي

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت

هصرت بغصن ذي شماريخ مبال

وصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا

ورضت، فذلت، صعبة، أي إذلال

فأصبحت معشوقاً، وأصبح بعلمها

عليه القتام سئ الظن والبال^(١)

ويرى النقاد العرب أن امرأ القيس أول من استعمل النسيب وغيره من معاني الشعر في أسلوب القصائد، ومن الخصائص العروضية في شعره كثرة استعمال الضرب المقبوض في الطويل، وكثرة الإقواء في القافية. وكثرة التصريح في غير أول القصيدة^(٢).

ولا يعرف الأدب العربي في العصر الجاهلي أحدا من قالة الشعر، ورواض القريض سبق امرأ القيس فيما أتى به من مقلدات الشعر، وغرر القصائد، وما تصرف فيه من فنون البيان، وابتكره من المعاني والأساليب، واتخذ من مذاهب الكلام.

(١) سموت: نهضت، حباب: نقاخات وفقايق تطفو على الماء، أحوالي: جمع حول، الصالي: المستدفئ بالنار، القتام: الغبار، الشعر والشعراء ١٣٦/١.
(٢) تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان ٩٩/١.

وهو عند النقاد من القدماء أول من فتح أبواب الشعر، وجلا أبقار المعاني، وقرب المآخذ ونوع الأغراض، وافتن في المقاصد، ووصف الخيل، وبكى النوى والديار، وهو أيضاً صاحب مذهب اخترعه، وجوده، وانفرد به، وأتى في التشبيه المصيب، والاستعارة القريبة بأشياء تابعت فيها الشعراء، وعد العلماء شعره في ذلك مثل يقاس عليه، ويحتكم في السبق والتخلف إليه.

وعند أصحاب اللغة، وعلماء العربية صاحب مذهب لغوي، اختار لشعره اللفظ المحبر، والأسلوب المتنخل، وأفرغ كلامه في قالب اختص به وأصبح دليلاً عليه، فجاء شعره على الأسماع منسجماً منغوماً رائعاً، وجرى على الألسنة عذبا سائغاً سلسالاً.

وفي جميع أطوار حياته، منذ حدوثه وطراءة سنة، إلى آخر أيامه، قال الشعر، وصاغ القريض، وتناقلته الأسواق والمجامع، وتسومع به في البوادي والخواضر، وتفرق على ألسنة الناس في كل مكان^(١).

* * *

وبعد امرؤ القيس رأس فحول الجاهلية، والمقدم في الطبقة الأولى من شعرائهم المعروفة أخبارهم، وهو - وإن كان راوية أبي دؤاد الإيادي، وخاله مهلهل - لم يسبقه على مبلغ علمنا إلى طرق كثير من أبواب

(١) تصدير ديوان امرؤ القيس ص ٥ - ٧.

الشعر، والإفاضة أحد، فهو أول من أجاد القول في استيقاف
الصبح، ويكاء الديار، وتشبيه النساء بالطباء، والمها والبيض، وفي
وصف الخيل بقاء الأوبد، وترقيق النسيب، وتقريب مأخذ الكلام،
وتجويد الاستعارة وتنويع التشبيه، حتى ليظن أنه المبتكر لذلك،
ويغلب على شعره التشبيب، والوصف أيام صبوته، واث الشكوى،
وتنكر الخلان زمن محنته، وقد يفحش في تشبيهه بالنساء، وفي
حديثه عنهن ويشم من شعره رائحة النبل، وتلمح فيه شارات اليسار،
والسيادة، والملك، ومن ذلك قوله:

فطل العذارى يرمين بلحمها وشحم كهذاب الدمقس المقتل

وقوله:

وظل طهارة اللحم ما بين منضج صفيف شواء أو قدير معجل

وقوله:

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من الماء
ولكنما أسعى لمجد مؤثّل وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالي

وشعره - وإن اشتمل بشملة البداوة في جفاء العبارة، وخشونة
الألفاظ، وتجهّم المعاني - تراه يخطر أحياناً في حلل من حسن

الديباجة، وبديع المعاني، ودقة النسيب، ومقاربة الوصف، وسهولة
المأخذ، مما كان منه لخلفه أجمل مثل حاكوه في ترقيق شعرهم، وحسن
تأنيهم في تصوير معانيه.

فمن النوع الأول قوله في وصف محبوبته:

وإن هي تمشي كمشي النرب ف يصرعه بالكثيب البهر

برهرهة رودة رخصة كخرعوبة البانة المنفطر

وقوله في معلقته:

وُفِرْع يغشى المثن أسود فاحم أتيت كقنو النخلة المتعشك

غداثه مستشزرات إلى العلا تضل العقاص في مثنى ومرسل

وكشع لطيف كالجديل مخصر وساق كأنبوب السقي المذل

ويعطو برخص غير ششن كأنه أساريع ظبي أو مساويك إسحل

ومن النوع الثاني:

كَأَنَّ عَيونَ الوحشِ حولَ خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يشقب

وقوله:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطيرِ رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والخشف البالي

وقوله:

أغررك مني أن حبك قاتلي وأنك مهما تأمرني القلب يفعل

وفي شعره السائر مسير الأمثال قوله:

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان

وقوله:

فإتاك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

وقوله:

وقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب^(١)

وقد ذكره - النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: هو قائد الشعراء إلى النار، أو ومعه لواء الشعراء إلى النار.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً فيه: ذاك رجل مذكور في

(١) شرح مقامات بديع الزمان ص ٢٥٥ - ٢٥٧.

الدنيا شريف فيها، منسي في الآخرة خامل فيها، يجيء يوم القيامة
ومعه لواء الشعراء إلى النار.

وذكره عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: سابق الشعراء،
خسف لهم عين الشعر^(١).

* * *

أما قول الهمذاني على لسان البطل عن امرئ القيس:
هو أول من وقف بالديار وعرصاتها، واغتدى والطير في وكناتها،
ووصف الخيل بصفاتها. فهأنذا أوضح ذلك بأمثلة من شعر امرئ
القيس.

أولاً: أول من وقف بالديار وعرصاتها:

* * *

قال امرؤ القيس في الوقوف بالديار:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول وحومل
فتوضّح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال

(١) الشعر والشعراء ١٢٦/١، عيون الأخبار ١٤٣/١ - ١٤٤ الإصابة ٢٤٩/٤،
الأغاني ١٢٣/٧، معجم البلدان ٤٢١/٥، تاريخ ابن الأثير ٢١٨/٢، تاريخ بغداد ٣٧/٩.

ترى بحر الأرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل
كأنني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل
وقوفاً بها صحيبي على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتحمل
وإن شفائي عبرة إن سفحتها وهل عند رسم دارس من معول
كدينك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الريباب بمأسل
ففاضت دموع العين مني صباصة

على النحر حتى بل دمعي محملي^(١)

(١) ديوان امرئ القيس ص ٨ - ٩.

السقط: منقطع الرمل، والموى: حيث يلتوي ويرق، وإنما خص منقطع الرمل وملتواه، لأنهم كانوا لا ينزلون إلا في صلابة من الأرض ليكون ذلك أثبت لأوتاد الأبنية، وأمكن لحفر النوى، وإنما تكون الصلابة حيث ينقطع الرمل يلتوي ويرق. والدخول وحومل: بلدان. توضح والمقراة: موضعان، «يعف» يدرس، الرسم: الأثر، الجنوب: الريح القبيلة، الشمال: الجوفية، «نسجتها» تعاقبت عليها فمحت آثارها، «لم يعف رسمها»: تغير لتقدم عهده، وبقيت منه آثار تدل عليه، منعها من أن تذهب ألبنة اختلاف الريحين عليه؛ فكلما رسمته هذه ودفتته - بما هالت عليه من الرمل - سرت عنه الأخرى وأظهرته، فهو - وإن تغير أثره - باق، فنحن ننظر إليه ونحزن، ولو ذهب كل الذهاب لاسترحنا ولم ننظر إلى ما يحزننا، وأنت ضمير المنزل في قوله: «رسمها»، لأنه في معنى الدار والمنزلة. الأرام: الظباء البيض، يعني أن الدار أقفرت من أهلها وصارت مألفاً للوحش فبعرها فيها. السمر: شجر أم غيلان؛ وهي شجر الصمغ العربي. والناقف: المستخرج حب الحنظل، والحنظل له حرارة تدمع منها العين؛ فشبه ما جرى من دمعه لفقد أهل الدار بما يسيل من عين ناقف الحنظل، وإنما خص ناقف الحنظل، لأنه لا يملك سيلان دمعه كما لا يملكه من اشتد شوقه وحزنه.

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت آياته منذ أزمان
أت حجاج بعدي عليها فأصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان
ذكرت بها الحي الجميع فهيجت عقابيل سقم من ضمير وأشجان
فسحت دموعي في الرداء كأنها كلي من شعيب ذات سح وتهتان
إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شئ سواه بخزان^(١)

= المطي: الإبل؛ وقفت الدابة، أي حبستها.

«عند رسم دارس»، وقد قال: «لم يعف رسمها»، فإنما يريد أنه قد درس ولم يذهب كله، والمعول هنا: من العويل والبكاء، وأنه يقول: واعولاء! ويحتمل أن يكون من التعويل على الشئ، أي أن البكاء على الرسوم لا يجدي شيئاً، فلا ينبغي أن يعول عليه. الدين: الدأب؛ وهو العادة؛ أي لقيت من هذه ما كنت تلقى من أم الحويرث، وهي هر أخت الحارث بن حصين بن ضمضم. ومأسل: موضع. الصباية: رقة الشوق. والحمل: سير يحمل به السيف؛ وأراد أنه بكى بكاء شديداً حتى بل دمه محمل سيفه.

(١) ديوان امرؤ القيس ص ٨٩ - ٩٠

«وعرفان» أي ما عرف من علامات الدار، فدعا، إلى الوقوف والبكاء. «عفت آياته» أي تغيرت ودرست علامته. «أت حجاج» يصف قدم الدار ويعد أهلها بالأنيس حتى تغيرت رسومها، ودرست آثارها، فأصبحت كالكتاب في الخفاء والدقة، والزبور: اسم للكتاب؛ وإنما يشبهون الرسوم بالكتاب، لأنها تدل على مواضع الديار وتبينها كما يدل الكتاب على المعنى المراد، ويعبر عنه مع دقته بحقرة حروفه.

وقال امرؤ القيس أيا في الوقوف بالديار:

لمن الديار عفون الحبس درست وتحسب عهدها أمس
كيف الوقوف بيل خلق أم ما سؤال جنادل خرس
دار لفاطمة الا تبلت قلبي وتيم حبها نفسي
إن تغد في دوني نناع فقد أصبى فتاة الحبي بالأنس (١)

= «الجميع» المجتمع من مرتبهم. والعقابيل: البقايا، ولا واحد لها، ويقال: هي وجع في الفؤاد، يقول: ذكر بذه الرسوم اجتماع الحبي، فهبج ذلك بقايا سقمي وقواها. وقوله: «من ضمير» أي كنت نبي على ما بقى من سقمي لفراقهم إلى أن هيجته الدار فأظهرته ولم أستطع إخفا».

«فسححت دموعي أي سألت وصبت كما يسح المطر، وشبه ذلك بما يسيل من كلش الشعيب: وهي المزاود كلها: رقع تكون في أصول عراها، وأكثر ما يسيل الماء منها. والتهتان: السيلان؛ وأيضاً مطر ضعيف. إذا كان المرء لا يبط سره فهو أخرى ألا يحفظ سر غيره. «يخزن» يستتر ويحفظ، وكفى باللسان عن الذي يحفظه ويذمه».

(١) ديوان امرؤ القيس ص ٢٤٣.

عفون، أي درس الحبس: مكان، عهدها، أي عهدك بها.

الجنادل: الحجار والواحدة جندلة؛ والكثير الجنادل.

«تبلت» أي كآطالته بتبل؛ وهو الشار والثرة والطائلة؛ وكله واحد، «وتيم»، أي وذلل حبها نفسي. تغد وترسلي وتسبلي واحد.

وقال امرؤ القيس أيضا في الوقوف بالديار:

ديار بها الظلمان والعين تعكف وقفت بها تبكي ودمعك يذرف
يهيج حزنا من ضميرك داخلا تذكر ليلى بعد غرب يكفكف
لقد راعني ظبي تعرض مطلق أغن عليه حليه يتشوف^(١)

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي

وهل يعمن من كان في العصر الخالي

(١) ديوان امرؤ القيس ص ٣٢٣.

الظلمان: جمع ظليم، وهو ذكر النعام. والعين: بقر الوحش، والذكر أعين، والأنثى عيتاء؛ «تعكف» أي تلزم هذه الديار فلا ترحها، «يذرف»، يسيل ويجري. الغرب: الدلو الكبيرة، والجمع غروب، «يكفكف»، أي يكف. راعني، أي أفزعني، والروع: الفزع. وقوله: «مطلق»، يعني معه ولده. وهو طفله؛ وأكثر ما يقال «مطلق» للأنثى من الظباء، وإنما يريد ها هنا مطلقاً، أي شبيب بها، فذكر ولدها، أغن: يريد في صوته غنة، وهي شبيهة بالبحّة، يتشوف: يكون يجلو نفسه في حليه، وفي معنى يتقرب ويتشوق.

وهل يعمن إلا سعيد مخلد قليل الهموم ما يببت بأوجال
وهل يعمن من كان أدث عهده ثلاثين شهراً في ثلاثة أحوال
ديار لسلمى عافيات بذي خال ألح عليها كل أسحم هطال^(١)

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

غشيت ديار الحي بالبكرات فعارمة فبرقة العيرات
فغول فحليت فنفء فمنعج إلى عاقل فالجب ذي الأمرات
ظلمت ردائي فوق رأسي قاعداً أعد الحصى ما تنقضي عبراتي
أعني على التهام والذكرات يبتن على ذي الهم معتكرات

(١) ديوان امرؤ القيس ص ٢٧.

دعا، للطلل بالنعيم، وأن يكون سالماً من الآفات - وهذا من عاداتهم - كأنهم يعنون بذلك أهل الطلل. «وهل يعمن»، يقول: قد تفرق أهلك وذعبروا فتغيرت بعدهم عما كنت عليه، فكيف تنعم بعدهم! وكأنه يعني بذلك نفسه، فضرب المثل بوصف الطلل، ويقال: وعم يعمن في معنى نعيم يتعم.

«سعيد مخلد» يريد الخلد في الدنيا بسعادة الجدد والأوجال: جمع وجل، وهو الفزع. الأحوال: الأعوام، يقول: كيف يتعم من كان أقرب عهده بالنعيم ثلاثين شهراً في ثلاثة أحوال! أي من ثلاثة أحوال. وتكون: «في» أيضاً بمعنى «مع» ها هنا الأسحم: السحاب الأسود. والهطال: المطر الدائم، يصف أن هذه الديار قد تعفت ودرست لإلحاح المطر عليها ولزومه إياها.

بليل التمام أو وصلن بمثله مقايسة أيامها نكرات
أرن على حقب حيال طروقة كذود الأجير الأربع الأشرات (١)

وقال امرؤ القيس أيضا في الوقوف بالديار:

لن طلل أبصرته فشجاني كخط زبور في عسيب يمان
ديار لهند والرباب وفرتني ليالينا بالنعف من بدلان
ليالي يدعوني الهوى فأجيبه وأعين من أهوى إلى روان (٢)

(١) ديوان امرؤ القيس ص ٧٨ - ٧٩.

البكرات: جيالات بطريق مكة، كأنها شبهت بالبكرات من الإبل. والبرقة: أرض فيها حجارة ورمل. والعيريات هنا: مواضع الأعيار جمع عير وهو حمار الوحش، وعارمة: موضع. وغول وحليت ونف، ومنعج كلها مواضع. وعاقل: جيل. والأمرات: الأعلام، واحداها أمرة، وهي الجبيل الصغير؛ وهي مثل الصوى. وصف أن الديار التي غشها مستقرة بين هذه المواضع. «ظللن ردائي فوق رأسي»، أي لما غشيت الديار فوجدتها مقفرة متغيرة قعدت متذكراً باكياً ما تنقضي دموعي، «أعد الحصى» يصف أنه كان يعبث بالحصى ويقلبه بين يديه، وهو من فعل المحزون المتحير.

«أعني على التهام»، أي ساعدني على مقاساة همومي. والذكرات: أي ما يتذكره من أحبه فيبهج حزنه وهمه. «معتكرات»، أي دائمات متتابعات.

«بليل التمام»، أي تببت الذكريات والهموم متتابعات على في ليل التمام، وهو أطول الليل. «أو وصلن بمثله» يريد: أو وصلت الهموم والذكرات بليل التمام في الطول. «مقايسة أيامهم» أي قد قيس أيام همومي بلياليها في الشدة والإتكار، وهو كقوله: «وما الإصباح فيك بأمثل». وقوله: «نكرات» أي شديداً منكرات، ونصبها على الحال من الأيام. (٢) ديوان امرؤ القيس ص ٨٥.

يقول نظرت إلى هذا الطلل فشجاني، أي أحزنتني «كخط زبور»، أي قد درس وخفيت=

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

ألمأ على الربيع القديم بعسعسا كأنني أنادي أو أكلم أخرسا
فلو أن أهل الدار فيها كعهدنا وجدت مقبلاً عندهم ومعرسا
فلا تنكروني إنني أنا ذاكم ليالي حل الحي غولا فآلعسا
فإما تريني لا أغمض ساعة من الليل إلا أن أكب فأنعسا
تأويني دائي القديم فغللسا أحاذر أن يرتد دائي فأنكسا^(١)

= آثاره فلا يرى منه إلا مثل الكتاب في الحفاء. والزبور: الكتاب. «في عسيب يمان» كان أهل اليمن يكتبون في عسيب النخلة عهودهم وصكاكهم. ويروي: «في عسيب يمان» على الإضافة، أي في عسيب رجل يمان.

«ديار لهند»، ذكر أن الطلل، كانت هند وصواحبها مقيمات فيه زمن المرتبع، «ليالينا بالنعف»، أي كانت هذه الديار لهند وصواحبها في أيام وليال كانت تجتمعن مع امرئ القيس يلهو بهن. والنعف: ما انحدر من الجبل وارتفع عن الوادي. وبدلان: اسم موضع؛ وصف أن منازلهم كانت له.

«يدعوني الهوى فأجيبه»، أي أسرع إليه وأتابعه، وقوله: «روان» دامت النظر في سكون؛ وإنما يريد أنهن كلفات به، مائلات إليه، لا يرمين أبصارهن إلى غيره.

(١) ديوان امرئ القيس ص ١٠٥.

يقول لصاحبه: ألمأ على الربيع، أي انزلا عليه مساعدة لي حتى أسأله عن أهله، ثم أخبر أنه ناداه فلم يجبه فقال: كأنني أنادي أو أكلم أخرس، والأخرس: الذي لا ينطق. وعسعس: اسم موضع.

ثم بين أن هذه الدار خالية لا أنيس بها يستقر عندها فقال: لو أن أهل الدار فيها كعهدنا، أي كما عهدنا زمن المرتبع وجدت مقبلاً، أي نزولاً في القائلة ومعرساً، ~~وهو المأزول~~ =

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

وقال أيضاً وكان بينه وبين سبيع بن عوف بن مالك بن حنظلة
قراية، فأتى امرؤ القيس يسأله فلم يعطه شيئاً، فقال سبيع أبياتاً يعرض
بامرؤ القيس فيها ويذمه، فقال امرؤ القيس مجيباً له على ذلك:

لمن الديار غشيتها بسحام فعمائتين فهضب ذي أقدام
فصفا الأطيّط فصاحتين فغاضر تمشي النعاج بها مع الآرام
دار لهند والرباب وفترتنى وليس قبل حوادث الأيام
عوجا على الطلل المحيل لأننا نبكي الديار كما بكى ابن خدام
أو ما ترى أظعانهن بواكرا كالنخل من شوكان حين صرام

= في أول الليل أو في آخره للاستراحة.

« فلا تنكروني » كأنه يخاطب أهل الدار فلما أتاها فلم يجد بها ما يوافقه ويسره، « إنني
أنا ذاكم » أي الذي عرفتم وصحبتم زمن المرتبج إذ كان الحي يحل غولاً فألعس، وهما
موضعان ارتبعا فيهما.

« فإما تريني لا أغمض ساعة »، يصف أن فيه منها داء يمنعه النوم، فلا ينام منه شيئاً إلا
أن يكب فينعس. والإكباب ملازمة الشيء مع انعطاف عليه وانحناء.

تأويني دائني: جاءني مع الليل، يعني أنه كان سلا، ثم تذكر قعاود وجده وأسفه، وإنما خص
الليل بذلك لأن الانسان ينفرده فيه بنفسه، ويتفرغ لذكره وهمومه، فغلسا: أتاها ليلاً في الغلس،
وهو الظلمة، فأنكسا من نكس المرض، وهو الرجوع إليه بعد البرء، يرتد: يعود على برء.

حور تعلل بالعبير جلودها بيض الوجوه نواعم الأجسام
فظللت من دمن الديار كأنني نشوان باكره صبوح مدام
أنف كلون دم الغزال معتق من خمر عانة أو كروم شبام
وكان شاربها أصاب لسانه موم يخالط جسمه بسقام^(١)

(١) ديوان امرئ القيس ص ١١٤ - ١١٥.

«لن الديار»، كأنه لما ألم بها قرأها متغيرة عن حاله تنكرت عليه، فمال عنها، ثم تبين له بعد استثباته أنها دار لهند وصواحيها. وسحاح اسم موضع أو جبل، وعمایتان: جبلان. والهضب: جمع هضبة؛ وهي قطعة من الجبل مرتفعة؛ وذو أقدام: جبل؛ وصف أن هذه الديار بين هذه المواضع.

صفا الأطلط وصاحتان وغاضر: كلها مواضع؛ وصف أن هذه الديار قديمة العهد بالأنيس، والنعاج تمشي مع الآرام. يقول: هذه الديار لهند وصواحيها؛ إذ نحن جيرة قبل أن تحدث الأيام الفراق.

«عوجا» أي اعطفا رواحلكما، وعوجا على الطلل المحيل؛ يعني الذي أتى عليه حول فتغير. «لأنا» بمعنى «لعلنا». وابن خدام: رجل ذكر الديار قبل امرئ القيس ويكي عليها. ويروي: «ابن خدام»، و«ابن حمام».

«كالنخل من شو كان» شبه الأظعان في ارتفاع هوادجهن واختلاف ألوانها بالنخل الذي حان صرامه. وشو كان: موضع كثير النخل ناعمه.

«حور تعلل بالعبير»، أي يطيبن بالزعفران مرة بعد مرة. والعبير: الزعفران عند أكثر العرب؛ وهو أيضاً اختلاط من الطيب فيها زعفران، والخور: جمع حواء؛ وهي الشديدة بياض الحدقة والشديدة سوادها.

«فظللت في دمن الديار» يصف أنه أقام في تلك الديار حيران أسفاً لما رأى من تغيرها، فشبه نفسه بالنشوان لذلك.

«أنف»، أي مستأنفة أول ما فتقت وأخرجت من الدن، وشبهها بدم الغزال في شدة حمرة، وخص الغزال لأن دمه - فيما يذكر - أشد حمرة من غيره. وعانة: قرية بالجزيرة. وشبام: اسم قرية.

«أصاب لسانه موم»، يريد أن شارب الخمر إذا سكر يذهب عقله ويخلط في كلامه ولا ينطق لسانه؛ فكان به موماً، وهو البرسام والبلسام أيضاً، وهي علة يهذي بها.

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

يا دار ماوية بالحائل فالسهب فالخبتين من عاقل
صم صداها وعفا رسمها واستعجمت من منطق السائل^(١)

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

ألا انعم صباحا أيها الربع وانطق

وحدث حديث الركب إن شئت واصدق

وحدث بأن زالت بليل حملهم

كنخل من الأعراض غير منبق

(١) ديوان امرؤ القيس ص ١١٩.

الحائل: موضع. والخبتان: أرض فيها لبن. والسهب: المستوى من الأرض. وعاقل: جبل باليمامة.

«صم صداها»، هذا مثل ضربه للدار؛ ويقال: أصم الله صداه؛ أي سمعه؛ وإنما يريد أنها مقفرة لا أنيس بها فيسمع صوته. ويحتمل أن يكون الصدى هنا: الصوت الذي يجيبك بمثل الذي تتكلم به؛ وهو الذي يسمى بآنية الجبل؛ فيكون المعنى أنه لا أحد بها؛ يجيبه الصدى. وقوله: «واستعجمت» أي لم تتكلم ولم تخرج جواباً؛ وإنما يريد أن من ألم بها فسأل عن حال أهلها لا يجد جواباً.

جعلن حوايا ، واقتعدن قعائدا وحففن من حوك العراق المنمق
فوق الحوايا غزلة وجآذر تضمخن من مسك ذكي وزنبق
فأتبعتهم طرفي وقد حال دونهم غوارب رمل ذي إلاء وشبرق
على إثر حي عامدين لنية فحلوا العقيق أو ثنية مطرق^(١)

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

يا دار سلمى دارساً نؤيها بالرمل فالحبتين من عاقل

(١) ديوان امرؤ القيس ص ٢٥٤ - ٢٥٥.

«انعم صباحا»، كانت تحية أهل الحاهلية، وقالوا: الدعاء هو للربع والمعنى لأهله؛ ومثل هذا في أشعارهم كثير.

الحمول: الإبل التي يحتمل عليها. والأعراض: أودية، واحدها عرض. «غير منبثق» يعني غير مزه؛ يقال منه: نبت النخل إذا أزهي، وإزهاؤه: خروج ثمره ويسره إذا لون قبل أن يربط. وقالوا: المنبثق الفاسد الثمر، الصغار كالنبت.

الحوايا: جمع حوية، وهي مركب من مراكب النساء. وقوله: «من حوك العراق»، يعني ما يحاك بالعراق. والمنمق: المزين.

«غزلة» أي جماعة غزال. والجآذر: جمع جؤذر، ويقال: جؤذر، قال: وهي أولاد البقر. وتضمخن: تلطخن وتطين، ويروي: «في مسك».

طرفي: عيني. وقوله: «غوارب رمل» يعني أوائله. والألاء: شجر، واحده ألاءة. والشبرق: شجر أيضاً، وأكثر ما يكون في الرمل.

«عامدين لنية» أي قاصدين الوجه الذي يريدونه. ويروي: «سائرين لنية». وحلوا: أي نزلوا. ومطرق: واد. قال: وثنية: عقبة منه فيها فرجة. والعقيق: مكان.

صم صداها وعفا رسمها واستعجمت عن منطق السائل
يا سلم هل عندكم نائل للمرء ذي الأكرومة الفاضل
الحافظ السر الأمين الذي لا ترهين ، القائل الفاعل
لم أر شبهاً لسلمي التي علقت غير الظبية الحائل^(١)

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

لمن الدار تعفت مذحقب فجنوب الفرد أقوت فالخرب
دار حي بدلت من بعدهم ساكن الوحش ، وللدهر عقب
قد أرى ساكنها من معشر حي صدق ذي بهاء ولجب
إذ هم أهل قباب وقرى ولهم صحراء محلال مرب

(١) ديوان امرؤ القيس ص ٢٥٥.

التنؤى: التراب الذي حول الخيمة من الحفيرة المستديرة. والرمل: موضع معروف.
والخبثان: أرض فيها لين. وعماقل: جبل باليمامة. وتروى: «دارساً رسمها»؛ وهو آثار الدار
من المطر.

«صم صداها»؛ هذا مثل ضربه للدار؛ يقال أصم الله صداه يريد سمعه؛ وقوله:
«واستعجمت» أي لم تتكلم.

يا سلم، مرخم. والنائل: العطاء. والأكرومة: الأفعولة؛ من الكرم.
وبروى «إلا ظبيبه الحابل»، يعنى أنها في حباله، والحابل هو الصائد.

عفت الدار بهم فانتجعوا أكل الدهر عليهم وشرب
قالت الخنساء لما جئتها: شاب بعدي رأس هذا واشتهب^(١)

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

أشاقك من آل ليلى الطلل فقلبك من ذكرها مختبل
فلا هي تعطف من ودها ولا أنت تعقل فيمن عقل
وصادتك غراء وهنانة ثقال فما خالطت من عجل
رقود الضحا ساجياً طرفها يميلها حين تمشي الكسل
عظيمة حلم إذا استنطقت تطيل السكوت إذا لم تسل
ويلها من غير وعي بها يرى ليها ظاهراً من عقل
ألا حي نعماً على نأيها ألا حي نعماً وعنهما فصل^(٢)

(١) ديوان امرئ القيس ص ٢٩٣.

«تعفت» أي درست. والحقب: الدهور، والواحدة حقبة، يقال أريعون عاماً، ويقال ثمانون عاماً، وأقوت، أي خلت. وجنوب الفرد والحرب: موضعان.

عقب الدهر: صروفه؛ مرة خير، ومرة شر، اللجب: الضجة والصياح.
القباب: الخيام. والقرى: المدن. وقوله: «محلال» يريد: لا يزال يحله الناس، أي ينزلونه. والمرب: التي لا يزال بها ثرى ومطر.

عفت، أي درست. وقوله: «فانتجعوا»، أي طلبوا الكلاً والخصب. «أكل الدهر عليهم وشربهم» ضربه مثلاً لهم.

(٢) ديوان امرئ القيس ص ٢٩٦.

الطلل: ما ارتفع لك من أعلام الدار. ومختبل: «مفتعل»، من الجبال وهو القساد. =

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

أهاجك الريح القواء المقفر
غيره مر دروج صرصر
يروح في آياته ويبكر
بل هاج عينيك السوام المدبر
غذاة ولوا ظعنأ فبكروا
والبين للناس قديماً عنصر
إذا أقول إن قلبي مقصر
ثناء أن يوليئك المقفر
وانهلت العين بدمع تهمر
بل أم عمرو لك شجو مضمّر

= الغراء: البيضاء، والوهانة: ذات الوقار. والثقال: التي أثقلها ردفها. يقول: ليست وثابة. يريد برقود الضحا، أي أن لها من يكفيها؛ ولا تكلف الخدمة، فهي تنام. والساجي: الساكن؛ أي لا تنظر شزراً، اللب: الخالص من كل شيء، قوله: «على نأيتها» يريد على بعدها.

هي الجوى والسقم المقدر

يخفي بخافي حبها ويظهر^(١)

وقال وهو بأنقرة يذكر علته، وبدأ يذكر الديار:

لن طلل دائر آيه تقادم في سالف الأحرس

فإما تريني بي عرة كأني نكيب من النقرس

وصيرني القرح في جبة تخال لبيساً ولم تلبس

ترى أثر القرح في جلده كنقش الخواتم في الجرجس^(٢)

(١) ديوان امرئ القيس ص ٣١٢ - ٣١٣.

الربيع: المنزل؛ وأصله من الربيع حيث كانوا يرتبعون فيه، فكثرت لفظهم به حتى سماوا المنزل الربيع. القواء: الخالي. والمقفر: القحط، دروج: ريح. وصرصر: باردة، آياته: علاماته؛ وبذلك سميت آيات القرآن، السوام: الإبل الراعية، وليس ها هنا رعي، ولكنه سماه به إذ كان قد عهده يرعى، ولوا، أي رحلوا. وقوله: «ظعنا» أي ظاعتين، أي راحلين، البين: الانقطاع، وعنصر، أي هو أصل قديم في الناس، المقصر: التارك للشئ؛ النازع عنه، ثناه، أي عطفه، وقوله: «يوليكه» أي يلبيك، أو يضعه عندك. والمقفر: الذي يقفر الأثر، انهلت، أي سالت: وتهمر: تسيل ولا تنقطع، الشجو: الحزن، الجوى: الحزن يأخذ الإنسان في جوفه من الحب، الخافي: الظاهر، ويكون المستتر.

(٢) ديوان امرئ القيس ص ٣٣٩.

الأحرس: جمع حرس، (يسكون الراء)؛ وهو الدهر، العرة: القرحة في الجسم. والنقرس: مرض يصيب المفاصل، اللبیس هنا: الشوب الخلق الملبوس، الجرجس: الصحيفة؛ كذا فسره صاحب اللسان، وأورد البيت.

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

ما هاج هذا الشوق غير منازل دوارس بين يذبل فذقان
أمن ذكر نيهانية حل أهلها جنوب الملا عيناك تبتدران
كأنهما مزادتا متعجل فريان لما تدهنا بدهان
وغرب علي مقطورة بكرت به غدت في سواد الليل قبل السواني
يصرفها شثن يرى بلبانه ولحيته نضح من النفیان
تمتع من الدنيا فإنك فان من النشوات والنساء الحسان
من البيض كالآرام والأدم كالدمى حواصنها والمبرقات الرواني^(١)

(١) يوان امرؤ القيس، ص ٣٤٥.

ذقان ويذبل: جبلان لبني عمرو بن كلاب (معجم ما استعجم).

فريان: محزوزان. لما تدهنا: لما تدلكا؛ وإنما قال «لما تدهنا» لأنه يكون أوسع للحزوز وأكثر لخروج الماء. (شرح ابن النحاس).

غرب: دلو ضخم. مقطورة: ناقة مهنوءة بالقطران. والسواني: جمع سانية؛ وهي الناقة التي يستقى عليها. (شرح ابن النحاس).

يصرفها: يقلبها. شثن: غليظ الكفين. ليبانه: صدره. والنفیان: ما تطاير عليه من الماء إذا استقى من الرشاء. (شرح ابن النحاس).

أما قول الهمذاني على لسان البطل عن امرئ القيس: واغتدى
والطير في وكناتها، فهذه هي الأمثلة من شعر امرئ القيس:

قال امرؤ القيس في الاغتداء ووصف الفرس:

وقد أغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

مكر مفر مقبل مدبر معا

كجلمود صخر حطه السيل من عل^(١)

كميت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت العصفواء بالمتنزل

(١) ديوان امرئ القيس ص ١٩ - ٢٣.

الوكنات: المواضع التي تأوى إليها الطير، المنجرد: الفرس القصير الشعر؛ وبذلك توصف العتاق؛ ويقال: المنجرد الماضي المنسلخ من الخيل عند السباق. والأوابد الوحش؛ وجعله قيداً لها لأنه يسيقها فيمنعها من القوت. والهيكل: الفرس الضخم شبهه ببيت النصرى والمجوس، يقال له الهيكل، «والطير في وكناتها»، أى أنه يبكر قبل خروج الطير؛ على أنها مما يبكر في الخروج.

إذا أردت الكر على العدو وأنا عليه وجدت ذلك عنده، وكذلك إذا أردت الفرار منهم «مقبل مدبر» فالمقبل هو المكر، والمدبر هو المفر، يعني أن هذه الأشياء عنده. وشبه صلابته وصلابة حافره بالجلمود، وجعل الجلمود منحطاً من فوق الجبل؛ لأن ذلك أصلب له، وأسرع لوقوعه؛ وكأنه شبه سرعة الفرس وصلابته به.

«كميت ينزل اللبد» أي أنه أملس المتن سهله. والخال: موضع اللبد من ظهره. والعصفواء: الصخرة الملساء. والمتنزل: النازل عليها؛ شبه اللبد إذا زل عن ظهر الفرس بالذي يزل عن الصخرة الملساء، وإنما أراد تشبيه الظهر بالصخرة الملساء؛ والتقدير: كما أزلت العصفواء المتنزل.

مسح إذا ما السابحات على الونى أثرن غباراً بالكديد المركل
على العقب جياش كأن اهتزاه إذا جاش فيه حمية غلى مرجل
يطير الغلام الخف عن صهواته ويلوي بأثواب العنيف المثقل
درير كخذروف الوليد أمره تقلب كفيه بخيط موصل
له أبطالا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل^(١)

(١) «مسح» أي يسح العدو سحاً مثل سح المطر؛ وهو انصبابه. والسابحات: التي تبسط يديها إذا عدت فكأنها تسبح. والونى: الفتور. والكديد: ما غلظ من الأرض. والمركل: الذي ركلتها الخيل بحوافرها؛ فأنارت الغبار لصلابتها وشدة وقعها؛ والمعنى أن هذا المسح بمنزلة السابحات.

«على العقب جياش» أي يجيش، في جزيه كما تجيش القدر على النار. والعقب: جري بعد جري؛ وقيل: هو تحريك الفرس بالعقب؛ أي لا يحوجك إلى السوط لنشاطه وسرعته. واهتزاه: صوت جوفه عند الجري. والحمى: الغلي. والمرجل: القدر.

يسقط الغلام الخف عن ظهره من سرعة عدوه وشدة دفعته. والخف: الخفيف. والصهوات: جمع صهوة؛ وهي موضع اللبد من ظهره، وجمعها بما حولها، «ويلوي بأثواب العنيف» يعني يهب بها ويستقطها من شدة عدوه. والعنيف: الأخرق. والمثقل الثقيل الذي لا يحسن الركوب؛ فهو يخاف أن يصرعه، فيثبت على ظهره ولا تثبت أثوابه عليه.

«درير» يعني هو درير في عدوه، أي سريع خفيف. والخذروف: الحرارة التي يلعب بها الصبيان، تسمع لها صوتاً، وهي سريعة المر، وجعل خيط الخذروف موصلاً؛ لأنه قد لعب به كثيراً حتى خف وأخلق وتقطع خيطه فوصل، فذلك أسرع لدورانته.

شبه خاصرتي الفرس بخاصرتي الظبي؛ وشبه ساقيه بساقي النعامة؛ لأنها قصيرة الساقين صلبتهما طويلة الفخذين، ويستحب ذلك من الفرس. وشبه إرخاءه - هو سير ليس بالشديد - بإرخاء الذئب، وليس دابة بأحسن إرخاء منه؛ وشبه تقربه في الجري بتقريب الثعلب، وهو حسن التقريب. والتتفل: ولد الثعلب؛ وإفا أراد الثعلب بعينه.

كأن على الكتفين منه إذا انتحى مذاك عروس أو صراية حنظل
وبات عليه سرجه ولجامه وبات بعيني قائما غير مرسل
فعن لنا سرب كأن نعاجه عذارى دوار في الملاء المذيل
فأدبرن كالجزع المفصل بينه بجيد معم في العشيرة مخول
فألحقنا بالهاديات ودونه جواحرها في صرة لم تزيل
فعادى عداً بين ثور ونعجة دراكا ولم ينضح بماء فيغسل^(١)

(١) «مذاك عروس» أي هو يبرق كما يبرق الحجر الذي يسحق عليه الطيب؛ وخص العروس لأنها قريبة العهد بسحق الطيب؛ فمذاكها براق. والصراية: الحنظلة الصفراء البراقة؛ وإذا لم تصفر فهي مغبرة. شبه حارك الفرس إذا اعترض ونظرت إليه صخرة الطيب، أو صراية الحنظل في ملاستها وبريقها.
يعني أنه كان مرتقباً للصباح ليصيد فلم يحط عنه سرجه ولجامه. «وبات بعيني قائما» أي حيث أراه لكرامته على. وقوله «غير مرسل» أي لم أهمله لأنني مستعد لركوبه.
«فعن لنا سرب» أي عرض لنا قطيع بقر؛ وشبه إنائه بجوار أبكار يطفن بدوار، وهو صنم لأهل الجاهلية يدورون حوله. والملاء: الملاحف. والمذيل: الطويل المهذب، شبه البقر في مشيته وطول أذنا بهن وبياضهن بالعذارى في الملاء المذيل.
شبه بقر الوحش في بريقهن وما فيهن من البياض والسواد بالجزع؛ وهو الخرز. والمفصل: الذي فصل بينه باللؤلؤ؛ وهو أصلح للخرز. وقوله: «بجيد معم في العشيرة مخول» أي بعنق صبي كريم العم والخال؛ وخص الخرز بأن يكون بجيد هذا المعنى لأنه لا يكون إلا نفيساً منتخباً.
«فألحقنا بالهاديات» أي ألحقنا الفرس بالمتقدّمات من البقر. والجواحر: ما تخلف منها. والصرة: الجماعة. «لم تزيل»: لم تفرق، أي جمع الفرس بين أواخرها وأوائلها فلم يفت منها شيء. العدا: الموالاة في الجري. «لم ينضح بماء» أي لم يعرق؛ وأراد بالماء هنا العرق؛ والمعنى أنه صاد قبل أن يجهد ويعرق فيكون كأنه قد غسل.

وظل طهارة اللحم من بين منضج صفيق شواء أو قدير معجل
ورحنا وراح الطرف ينفض رأسه متى ما ترق العين فيه تسهل
كأن دماء الهاديات بنحره عصارة حناء بشيب مرجل
وأنت إذا استدبرته سد فرجه بضاف فوق الأرض ليس بأعزل^(١)

الطهارة: الطباخون. والصفيف: المرقق. والقدير المعجل: المطبوخ في القدر، وجعله معجلاً، لأنهم كانوا يستحسنون تعجيل ما كان من الصيد ويستطرفونه ويصفونه في أشعارهم. وحمل قوله: «أو قدير معجل» على معنى: من بين صفيق شواء أو طابخ قدير. الطرف: الفرس السريع، وقيل: هو الكريم الطرفين. «متى ما ترق العين»، يقول: هو حسن الأعلى والأسفل، فالناظر إليه يصعد فيه النظر ويصوره عجباً به. ويحتمل أن يريد: أنه لعنته وقام خلقه إذا ارتفعت عين الناظر إليه بالنظر راعه منظره، فخشي إصابته بعينه، فصوب رأسه وكف عنه نظره.

«كأن دماء الهاديات بنحره»، شبه دم الوحش بصدر هذا الفرس بعصارة الحناء على الشيب، وإنما أراد: بشيب قد غسل عنه الحناء، مرجل. وعصارتها: ما عصر منه؛ وإنما أراد أن حمرة الدم بصدرة كحمرة الخضاب في الشيب، ولا يريد أنه أشهب؛ لأنه قد وصفه بالكمته، ومن زعم أن العرق قد يبس بنحره فابيض فقد خلط أيضاً؛ لأنه نفى عنه العرق بقوله: «لم ينتضج بما فيغسل».

الفرج: ما بين رجليه. والضافي: الذنب الطويل. وقوله: «فوق الأرض» أي ليس بالطويل فيطأ عليه، ولا بالقصير فيبعد عن الأرض. والأعزل: الذي يكون ذنبه في ناحية، وهو مكروه.

وقال امرؤ القيس أيضاً في الاغتداء ووصف الفرس:

ولم أشهد الخيل المغيرة بالضحا

على هيكل نهـد الجزارة جوال

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا

له حجيات مشرقات على الفال

وصم صلاب ما يقين من الوجى

كأن مكان الردف منه على رال^(١)

(١) ديوان امرؤ القيس ص ٣٦ - ٣٨.

«ولم أشهد الخيل»، أراد أصحاب الخيل. «بالضحا» خص الضحا لأن الغارة إنما تكون في وجه الصباح والقوم غارون. والجزارة: القوائم. والجوال: النشيط السريع في إقباله وإدباره؛ وذكر هذا كله متأسفاً على ما فاتته منه لذهاب شبابه وتغير حاله.

«سليم الشظى»، هو عظم صغير في يد الفرس فإذا تحرك قيل: شظى الفرس. والشوى: القوائم. والنسا عرق، ووصفه بالشنج لأنه أصلب له. والحجيات: رموس الأوراك. وقوله: «على الفال»: يريد على الفائل؛ وهو عرق عن يمين عجب الذنب ويساره. والمعنى أنه مشرف الكفل، فحجياته مشرفة لاتصالها بالكفل.

أراد بالصم حوافره. «ما يقين من الوجى»، أي لا يهين المشى من حقاً، لصلايتهن. والرال: فرخ النعام؛ وهو مشرف المؤخر؛ فشبه قطاة الفرس لإشرافها بمؤخر الرال.

وقد أغتدى والطير في وكناتها

لغيث من الوسمى رائده خال

تحاماه أطراف الرماح تحاميا

وجاد عليه كل أسحم هطال

بعجلزة قد أترز الجرى لحمها

كميت كأنها هراوة منوال

ذعرت بها سربا نقياً جلوده

وأكرعه وشى البرود من الخال^(١)

(١) «لغيث من الوسمى» الغيث هنا: البقل والنبت، أو ما أنبتته المطر. والوسمى: أول المطر. ورائده: الرجل الذي يرتاده، أي يطلبه لأهله. وخال: من الخلوة؛ أي ليس فيه غيره؛ أي هو ما بين حيين متعادين، فهذا يحميه، وهذا يحميه؛ فهو خال لا يقربه أحد؛ وذلك أخصب لمن حل به.

«تحاماه أطراف الرماح» أي تمنع منه الرماح؛ ولكني أتيت له لعزى ولما أنا فيه من الملك؛ وخص أطراف الرماح لأنها هي العاملة. «وجاد عليه» من المطر الجود؛ وهو الغزير. والمعنى أن هذا الموضع تتابعت عليه الأمطار ومتعت منه الرماح؛ فهو كامل الخصب وافر النبت. «بعجلزة» أي بفرس صلبة اللحم، «أترز» أييس، يعني أنها ضامرة شديدة؛ شبهها الهراوة لأنها لا تتخذ إلا من أصلب العود وأشدّه؛ وخص الكميت لأنه أصلب حافراً، وأشدّ لثقلاً. والهراوة: العصا؛ وهي ها هنا من آلات الخائف، وأضافها إلى المنوال. «ذعرت بها سرباً» أي تصيدت بها الفرس فذعرت بها قطيع يقر نقياً جلوده، أي يبض الجلود. وأكرعه موشية، أي فيها سواد وبياض. والخال ضرب من برود اليمى.

كأن الصوار إذ تجهد عدوه
على جمزى خيل تجول بأجلال
فجال الصوار واتقين بقر هب
طويل القرا والروق أخنس ذيال
فعادى عداً بين ثور ونعجة
وكان عداً الوحش مني على بال
كأنني بفتخاء الجناحين لقوة
صيود من العقبان طأطأت شمالاً^(١)

(١) الصوار: قطع بقر الوحش. يقول: لما ذعرتها بفرسي أجهدت العدو وقوته، فكانها من شدة العدو خيل تجول عليها أجلال بيض. وجمزى هنا: اسم موضع.
القرهب: فحل من البقر مسن. والأخنس: القصير الأنف، وإنما اتقين به لأنه أشدهن مما يلي الصائد ليذب عنهن. والقرا: الظهر. والروق: القرن.
«فعادى عداً»، أي وإلى وصرع واحداً بعد واحد. وقوله: «على بال»، أي على حال اهتمام مني.

الفتخاء: اللينة الجناحين. واللقوة: السريعة من العقبان. ومعنى «طأطأت» دانيت وخفضت، ويقال: أسرع. والشمال: الحقيبة السريعة، يقول: كأنني بطأطأتي هذه الفرس طأطأت عقاباً لينة الجناحين منتفختها عند الطيران في سهولة وتأت، وجعل العقاب صيوداً لأنها ذات فراخ، فهي تكثر الصيد من أجلها. وقال بعضهم: الشمال الشمال، أي كأنني طأطأت شمالي وأملتها من هذه الفرس يعقاب فتخاء الجناحين.

تخطف خزان الشربة بالضحى

وقد حجرت منها ثعالب أورال

كأن قلوب الطير رطباً ويابسا

لدى وكرها العناب والحشف البال^(١)

وقال أيضاً امرؤ القيس في الأغتداء ووصف الفرس:

وقد أغتدى والطير في وكناتها وماء الندى يجري على كل مذنب^(٢)

(١) «تخطف خزان الشربة» أي تأخذها بسرعة، وواحد الخزان خزز؛ وهو ذكر الأرنب. وقوله: «وقد حجرت منا ثعالب أورال»، أي اختفت ثعالب هذا الموضع ولم تسرح خوفاً من هذه العقاب. والشربة وأورال: موضعان.

كأن الرطب من قلوب الطير وما جاءت به العقاب حديثاً العناب، وهو الزفيزف، وكأن ما يبس منها وقدم الحشف؛ وهو البالي من التمر وردينه؛ وتقدير البيت: كأن قلوب الطير رطبة العناب؛ وكأنها يابسة الحشف البالي؛ وإنما خص قلوب الطير لأنها أطيب لحوماً، فإذا صادت العقاب الطير جاءت بقلوبها إلى أفراخها. وأشار بقوله: «رطباً ويابساً» إلى كثرة ما تأتي به من القلوب حتى تفضل عن الفراخ. وقد قيل: إن الجوارح لا تأكل قلوب الطير ولا سائر حشوة بطونها.

(٢) ديوان امرؤ القيس ص ٤٦ - ٥٥.

المذنب: مسيل الماء إلى الروضة، يقول: غلست قبل خروج الطير من أوكارها في ليل كثير المطر تسيل منه المذائب. وأراد بالندى ها هنا المطر، يصف نفسه بالجلد وحمل النفس على المشقة فيما يكسبه المجد والشرف، فلا يشق عليه البكور في طلب ذلك؛ على إثر المطر وتعذر السفر في إثره، ويحتمل أن يريد أنه يبكر للصيد غب المطر. وذلك مما يستحب ويستعمل.

بمنجرد قيد الأوابد لآحه طراد الهوادي كل شأومغرب
على الأين جياش كأن سراته على الضمر والتعداء سرحة مرقب
يبالي الخنوف المستقل زماعه ترى شخصه كأنه عود مشجب
له أبطلا ظبي وساقا نعامة وصهوة غير قائم فوق مرقب
ويخطو على صم صلاب كأنها حجارة غيل وارسات بطحلب^(١)

(١) الهوادي: المتقدمة السابقة. والشأو: الطلق. والمغرب: البعيد. يقول: أضر هذا
الفرس كثرة الوحش واتباعه لها كل طلق بعيد. وقد تقدم القول في قيد الأوابد.
«على الأين جياش» أي هو سريع بعد فتوره. وسراته: أعلاه. والتعداء: كثرة العدو.
والسرحة: ما عظم من الشجر وطال. والمراقب: كل ما أشرف من الأرض. وسمى بذلك لأن
الرائي يرقب فيه العدو. وبه أعلى الفرس على ضميره وكثرة عدوه بأعظم الشجر في أعلى
الأماكن، وإنما أراد أشرف الفرس وارتفاعه وعظم خلقه.
الخنوف: الذي يخنف بيديه؛ أي يرمى بهما في السير؛ وهو من وصف الحمار الوحشي.
والزماح لذوات الظلف؛ واستعارها هنا لشعر الرسخ؛ وجعلها مستقلة؛ لأن ذلك أسرع له
وأكمش؛ وإذا كانت تمس الأرض كان ذلك عيباً، فيقول: هذا الفرس يباري بسرعته ونشاطه
الخنوف. وقوله: «تري شخصه» وصف الفرس بالصلاية والاملاس والضمير؛ فشبّهه بالمشجب
لذلك.

«وصهوة غير قائم»، شبه ظهر الفرس بظهر العير في اعتداله واستوائه؛ وجعله قائماً
لأنه إذا قام تمدد واستوى، وإذا عدا اضطرب، وجعله فوق مرقب، لأن ذلك ما يبين استوائه،
ويزيد في تمام خلقه وحسن منظره.
الصم: الحوافر التي ليست بجوف؛ وذلك أصلب لها. والغيل: الماء الجاري على الأرض.
والوارسات: المصفرات؛ يقال: أورس النبت فهو وارس؛ وشبه حوافر الفرس في صلابتها
وملاستها بحجارة ماء قد علاها الطحلب فاصفرت واملاست وصلبت.

به كفل كالدعص لبدته الندى إلى حارك مثل الغبيط المذاب
وعين كمرآة الصنّاع تديرها لمحجرها من النصف المنقب
له أذنان تعرف العتق فيهما كسامعتي مذعورة وسط ريرب
ومستفلك الذفري كأن عنانه ومثناته في رأس جذع مشذب
وأسحم ريان العسيب كأنه عشا كيل قنر من سميحة مرطب^(١)

(١) « كالدعص » هو الكتيب الصغير من الرمل. وقوله: « لبدته الندى »، أي يشره الندى فتلبد واشتد ولم يتساقط؛ فشبه الكفل به على هذه الحال. والغبيط: قتب الهودج وهو مشرف. والمذاب: الموسع؛ شبه الحارك به لارتفاعه وسعته. و « إلى » هنا بمعنى « مع ». الصنّاع: الحاذقة بالعمل، الصانعة بيديها، التي لا تتكل على غيرها؛ فمرأتها أبداً مجلوة نظيفة؛ فإذا تنقبت بالنصيف - أي تقنعت به - أدارت مرأتها لتنظر إلى محجرها، فتعلم: هل استوى النقاب عليه أو لا؟ « تعرف العتق فيهما » يعني أن أذنيه دقيقتان مؤللتان، فإذا نظرت إليه تبينت عتقه وكرمه فيهما؛ وشبه الأذنين بسامعتي بقرة ذعرت فنصبت أذنيها وحددتها. والريرب: القطيع من البقر؛ وإنما قال: « وسط ريرب » ليجين المذعورة ما هي؛ ولو كانت منفردة لكان أذعر لها وأشد لجزعها.

المستفلك: المستدير كالفلكة. والذفري: عظم ناتئ خلف الأذن، وإذا استدار كان أعتق له. والمثناة والثناية: الحبل المشدود في رأسه؛ وسمى بذلك لأن الفرس يشئى، أي يعطف. والمشذب: الذي نزع شوكة وسعفه؛ يقول: كأن عنان هذا الفرس في رأس جذع لطول عنقه وإشرافه؛ وخص المشذب، إشارة إلى أن الفرس قصير الشعر منجرد؛ وبذلك توصف العتاق؛ مع أن الجذع إذا شذب تبين طوله؛ ولذلك قيل: مشذب، للرجل الطويل. « أسحم » يعني ذيل أسود. والريان: المتلى الناعم. والعسيب: عظم الذنب، ويحمد في الفرس يبس العسيب ومن الناقة امتلاؤه ونعمته وقد غلظ امرؤ القيس في هذا. والقنر: عذق النخلة. وسميحة: اسم بئر؛ يريد أن ذيل هذا الفرس كامل غزير كشماريخ نخل مرطب، من نخل هذا الموضع المجاور لهذه البئر.

إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه تقول هزير الريح مرت بأثاب
يدير قطاة كالمحالة أشرفت إلى سند مثل الغبيط المذاب
ويخضد في الأرى حتى كأنما به عرة من طائف غير معقب
فيوماً على سرب نقي جلوده ويوماً على بيدانة أم تولب
فبيننا نعاج يرتعين خميلة كمشى العذارى في الملاء المهذب
فكان تناديننا وعقد عذاره وقال صحابي قد شأونك فاطلب^(١)

(١) إذا جرى هذا الفرس طلقين وابتل جانبه من العرق سمعت له خفقاً كخفق الريح إذا
مرت بأثاب، وهو شجر يشبه الأثل، يشتد صوت الريح فيه - وهزير الريح: صوته.
«يدير قطاة كالمحالة» أي يصرف قطاة فقرتها مستديرة كالبكرة. والقطاة: مقعد الرديف.
وقوله: «إلى سند» أي أشرفت هذه القطاة إلى كفل مشرف كالسند؛ وهو سفح الجبل؛ ولذلك
شبهه بالغبيط، وهو قتب الهودج. والمذاب: الموسع الأسفل.
«يخضد» أي يشد المضغ، وأصل الخضد القطع. والعرّة: الجنون. والطائف: من طائف
الشیطان، «غير معقب» أي هو ملازم له؛ ليس يأخذه مرة ويدعه أخرى؛ يصفه بالنشاط
وكثرة الحركة.

«فيوماً على سرب» أي يطارد هذا الفرس يوماً بقرة وحشية. ويوماً على بيدانة، أي
أتاناً في البيد لا تقرب الناس، فهو أذعر لها، وأسرع لجريها. والتولب: الولد الصغير، «نقى
جلوده» أي أبيض الجلود؛ وكذا بقر الوحش، إلا سواداً في قوائمها وخطودها.
النعاج: إناث بقر الوحش. والخميلة: رملة فيها شجر قد صار لها كالحمل. والملاء: الملاحف
البيضاء؛ شبه النعاج في بياضهن وسكون مشيتهن بالعذارى الماشيات في الملاحف البيضاء.
والمهذب: ذو الهدب، شبه شعر أذنابهن به.
«فكان تناديننا» أي كان نداء بعضنا بالخروج إلى مطاردة الوحش وعقد عذار الفرس من
العجلة، ومعنى: «شأونك» سبقناك.

فلأيا بلأى ما حملنا وليدنا على ظهر محبوبك السراة محنّب
وولى كشؤبوب العشى بوابل ويخرجن من جعد ثراه منصّب
فللساق ألهورب وللوسط درة وللزجر منه وقع أهوج منعّب
فأدرك لم يجهد ولم يثن شأوه يمر كخذروف الوليد المثقّب
ترى الفأرقى مستنقع القاع لاحقاً

على جدد الصحراء من شد ملهّب^(١)

(١) «فلأيا بلأى» أي جهداً بعد جهداً حمل غلامنا على ظهر هذا الفرس لنشاطه وامتناعه. والمحبوك: القوي المجدول. والسراة: الظهر. والمحنّب: الذي في يديه وصلبه انحنا؛ ويستحب ذلك؛ وهو من خلقة الجياد. «وولى كشؤبوب العشى» شبه شدة دفعه في الجري، وخص شؤبوب العشى لأنه أغرز من غيره وأشد. والجعد: الشديد النداءة. والمنصب: المرتفع المنتصب؛ وصفه بذلك لشدة وقع حوافره فيثرن ما لا يكاد يثور. وقيل: الجعد المتراكب بعضه على بعض؛ وهو من صفة الغبار؛ والتقدير يخرجن من غبار جعد ثراه، والمعنى: ويخرجن من مكان مخصب ند قد تجعد ثراه لندوته، وريت أرضه وتنصبت لريها وثراها. والمعنى أن هذه التعاج كانت في خصب، فهو أسرع لها وأقوى على العدو، والفرس مع ذلك لاحق بهن.

يقول: إذا حركه بساقه ألهب الجري؛ أي أتى بجري شديد كالتهاب النار؛ وإذا ضربه بالسوط در بالجري، وإذا زجره وقع منه موقعه من الأهوج الذي لا عقل معه؛ أي كأن هذا الفرس مجنون أهوج لما يبدو من شدة حركته ونشاطه عند الزجر. والمنعّب: الذي يستعين بعنقه في الجري ويمده.

«فأدرك لم يجهد»، أي أدرك لم يجهد، أي أدرك الفرس الوحش دون مشقة وتعّب. لم يثن شأوه، أي أدركها في طلق واحد دون أن تثنيه لسرعته؛ وشبهه لخطته وسرعته بالخذروف المثقّب إذا أداره الوليد.

خفاهن من أنفاقهن كأنما خفاهن ودق من عشي مجلب
فعادى عداً بين ثور ونعجة وبين شوب كالقزيمة قرهب
وظل لشيران الصريم غماغم يداعسها بالسهمري المقلب
فكأب على حرا الجبين ومتق بمدرية كأنها ذلق مشعب
نمش بأعراف الجياد أكفنا إذا نحن قمنا عن شواء مضهب^(١)

(١) مر الفرس له حقيق لشدة جريه، فخرجت الفترة من جحرتها ظننه مطراً؛ فخشين أن يسيل الأرض فيخرقهن، فيبرزن من القاع - وهو بطن الأرض - إلى الجدد؛ وما استوى من الأرض وصلب. والمهلب: الشديد العدو الملتهب في الجري. «خفاهن»، أي أظهرهن، أي استخرجهن. والأنفاق: أسراب تحت الأرض. والودق: المطر؛ وخص مطر العشي لأنه أغزر. والمجلب: الذي تسمع له جلبة لشدة وقعته. ويروى: «مجلب» بالخاء؛ وهو الذي يتحلب بالمطر. وصف العشي به على معنى النسب. أي ودق من عشي فيه جلبة للمطر أو تحلب.

تابع هذا الفرس وإلى صيد الوحش؛ من بين ثور ونعجة، وثور مسن وهو الشوب؛ وإنما خصه بالذكر بعد أن قال: «بين ثور ونعجة» لفضله على الشيران والنعاج لسنه وقوته؛ وأنه فحلها الذاب عنها؛ وشبهه لبياضه بالقزيمة، وهي الصنفية البيضاء. والقرب: المسن أيضاً. الصريم: المنقطع من معظم الرمل. والغماغم: الأصوات. ومعنى: يداعسها، يطاعنها. والمقلب: المشدود بالعليا؛ وهي عصبية في القفا؛ وكانوا يشدون بها الرماح وهي رطبة طرية؛ ثم تيبس عليها؛ فيؤمن تعطفها عند المطاعنة. والسهمري: الرمح الشديد؛ يقال: أسهر الأمر إذا اشتد؛ يقول: جعل الغلام يطاعن الشيران فيسمع لها غماغم؛ أي أصوات مرردة. الكابي: الساقط على وجهه. والمدرية: القرن. وذلق كل شئ: حده. والمشعب: مخرز يشعب به؛ فيقول: من الشيران ما قد صرع، ومنها ما يتقي بقرن حديد كحد الإشفى. «نمش بأعراف الجياد أكفنا» نسمح؛ ومنه سمي المتديل مشوشاً. والمضهب: الذي لم يدرك نضجه. يصف أنهم شواء من صيدهم ولم يبلغوا به النضج لما كانوا فيه من العجلة. وقيل: إن ذلك مستحب عندهم في لحم الصيد.

ورحنا كأننا من جؤاثي عشية نعالى النعاج بين عدل ومحقب
وراح كتييس الريل ينفض رأسه أذاة به من صائك متحلب
كأن دماء الهاديات بنحره عصارة حناء بشيب مخضب
وأنت إذا استدبرته سد فرجه بضاف فوق الأرض ليس بأصهب^(١)

وقال امرؤ القيس في الاغتداء ووصف الفرس:

فظلت وظل الجون عندي بلبده كأنني أعدى عن جناح مهيض^(١)

(١) «ورحنا كأننا من جؤاثي» أي كأننا - لما معنا من الصيد الكثير - رحنا من جؤاثي؛ وكأننا قد اشترينا قمرًا، فمنه ما جعلناه بين عدلين ثم ركبنا عليه؛ ومنه ما قد احتقنناه، أي جعلناه في الحقيبة. وجؤاثي: قرية بالبحرين يتار منها التمر.
الريل: نبت ينبت في آخر الصيف واستقبال الشتاء في أصول الببيس؛ وإنما ينبت ببرد الهواء لا بالمطر. والتيس: الذكر من الظباء؛ وسمى بذلك كما تسمى الظبية ماعزة. والصائك: العرق الثقيل الريح، وأصله بالعبرانية؛ يقول: هذا الفرس راح عشياً كتييس الريل في قوته ونشاطه ينفض رأسه من العرق وهو يتأذى بريح عرقه؛ وإنما خص تيس الريل، لأنه قد أكل الربيع والببيس، ثم صار إلى رعي الريل؛ فهو مخضب أبداً، نشيط قوي.
هذا الفرس معتاد للصيد، فهو يزاحم الوحش ويلصق بها، فإذا طعنت صار الدم إلى نحره؛ ويقال: إنه أراد أن الفرس يلمطخ بدم الصيد ليعرف ذلك منه، وإنما خص الشيب لأن الشيب لبياضه أثبت أثراً وأشد حمرة من غيره.
«ليس بأصهب»، أي هو أسود لا تشوبه حمرة؛ وذلك أتم لوصفه.

(١) ديوان امرئ القيس ص ٧٤ - ٧٦.

فظلت وظل الجون عندي؛ يعنى أنه لم يحط عنه سرجه؛ لأنه متأهب لركوبه، كأنني أعدى أي أتكى عليه كما يتكى ذو الجناح الكسير على جناحه؛ وإنما قال هذا لفرط حدة الفرس=

فلما أجن الشمس عني غيارها نزلت إليه قائما بالحضيض
يباري شبة الرمح خد مذلق كصفح السنان الصلبي النحيض
أخفضه بالنقر لما علوته ويرفع طرفاً غير جاف غضيض
وقد أغتدى والطير في وكراتها بمنجرد عبل اليدين قبيض
له قصرها غير وساقا نعامه كفحل الهجان ينتحي للعضيض^(١)

=ونشاطه؛ وكأنه يداريه ويسكنه، والجون هنا: الفرس الأدهم، ويكون الأبيض، وهو من الأضداد، أعدى: أصرف وأمنع.

(١) كنت فوق المرقبة أرقب لأصحابي نهاري كله؛ فلما غابت الشمس، وسترها عني غيوبها نزلت إلى فرسي، وهو قائم بالحضيض، فركبته ورجعت إلى أهلي، والحضيض: المستوى من الأرض، وأسفل الجبل.

يباري شبة الرمح؛ أي يعارض هذا الفرس في رفته وطوله وقلة لحمه شبة الرمح، أي حدته وبريقه، والمذلق: المرقق الطويل، وصفح السنان: أحد جانبيه، والسنان: سنان الرمح؛ وقيل: هو المسن هنا، والصلبي: الذي جلى وصقل بحجارة الصلب، وهو الصلب من الحجارة، والنحيض: الرقيق، وأصله الذي أذهب نحضه، والنحض: اللحم، واستعاره للشبابة. لما نزلت إليه فركبته أبدى شدة الحركة والنشاط؛ فجعلت أخفضه بالنقر، أي أسكته، والنقر: صوت يسكن به الفرس، «ويرفع طرفاً غير جاف غضيض، أي لا يجفو نظره عن شخص ولا يفرضه عنه.

بمنجرد عبل اليدين، أي أغتدى بفرس قصير الشعر، وذلك من نعت العناق، والعبل: الضخم في صلابة، والقبيض: الشديد؛ وقيل: هو سريع.

القصريان؛ واحدهما قصري، وهي آخر الضلوع مما يلي الخصر؛ شبه كشح الفرس بكشع العير في الطي والاستواء؛ وشبه ساقبه في قصرهما مع طول فخذه بساقي النعام، كفحل الهجان، هي البيض الكرام من الإبل، ولا يكون فحلها إلا كرياً مثلها، ينتحي للعضيض، أي يعترض ويعتمد للعض، نشاطاً وغيره؛ شبه الفرس به في نشاطه وقوته.

يجم على الساقين بعد كلاله جموم عيون الحسى بعد المخيض
ذعرت به سرباً نقياً جلوده كما ذعر السرحان جنب الربيض
ووالى ثلاثاً واثنتين وأربعاً وغادر أخرى في قناة رفيض
فآب إياباً غير نكد مواكل وأخلف ماء بعد ماء فضيض
وسن كسنيق سناء وسنماً ذعرت بمدلاج الهجير نهوض^(١)

(١) يجم على الساقين: أي إذا حرك بالساقين واستحث بهما كثر جريه، والجيم: الكثير من كل شيء، بعد كلاله، أي يكثر جريه بعد إعيائه، فكيف به قبل ذلك، جموم عيون الحسى، إذا استخرج ماؤه، والحسى: موضع قريب الماء يدرك باليد، وكلما استخرج ماؤه جم، والمخيض: أي يمحض ويستخرج ماؤه، فضيره مثلاً للفرس.
ذعرت بهذا الفرس قطيع بقر بيض الجلود، كما ذعر الذئب ناحية الربيض، وهي ضرب من الغنم، وإنما سماها ربيضاً لأنها تبيض.
«ووالى ثلاثاً»، أي تابع هذا الفرس وصاد من السرب ثلاثاً واثنتين وأربعاً، وغادر أخرى والرمح متكسر فيها، والرفيض: المكسورة، وجعل الفعل للفرس في اللفظ وهو يريد راكبه، وجاز ذلك لأنه السبب والوصلة إلى عقر الوحش والإحاطة به.
المواكل: الذي ليس بجاد في أمره ويتكل على غيره، وأخلف ماء أي عرقاً بعد عرق، أي جهد مرة بعد مرة، والفضيض: المصوب.
وسن كسنيق أراد: ورب سن ذعرت، والسن: الثور الوحشي، والسنيق: الصخرة الصلبة؛ وقيل: هو جبل، شبه الثور به لصلابته وشدته وارتفاعه، والسناء: الارتفاع، وكذلك السنم، «مدلاج الهجير»، أي بفرس يسير في الهجير وينهض فيه لنشاطه وقوته، على أنه وقت تسكن فيه الدواب وتستقر؛ وجعله مدلاجاً في الهجرة على الاستعارة؛ والدليج: سير الليل كله، والإدلاج: السير من آخره.

وقال امرؤ القيس أيضاً في الاغتداء ووصف الفرس وكلب الصيد:
وقد أغتدى ومعى القانصان وكل برأة مقتفر
فيدركنا فغم داجن سميع بصير طلبوب نكر
ألص الضروس جنى الضلوع تبوع طلبوب نشيط أشر
وأركب في الروع خيفانة كسا وجهها سعف منتشر
لها حافر مثل قعب الولب مدركب فيه وظيف عجر
لها ثنن كخوافي العقاب سود يفتن إذا تزئير
وساقان كعباهما أصمعا ن لحم حمايتهما منبت^(١)

(١) ديوان امرئ القيس ص ١٦٠ - ١٦٧.

القانصان: الصائدان، والمرأة: مكان يربأ فيه، وهو شئ شبيه بالجبل أو نحو ذلك، وإنما أشرف لينظر إلى الوحش، ومفتقر: أى يتبع آثار الوحش، والفغم: المولع بالشئ الحريص عليه، يريد ها هنا كلباً، وداجن: آلف قد عاود الصيد غير مرة، ونكر، أي منكر، سميع: إذا سمع حساً لا يكذبه سمعه، وبصير، إذا أبصر لم يرتب ببصره، وطلوب: إذا هو طلب أدرك، ونكر، أي منكسر عالم بصيده.

ألص الضروس: أي ملتصقة بعضها إلى بعض، يريد ضروس الكلب، حتى الضلوع: أي ضلوعه محنية معطوفة، وحبى: منتفخ بالعرض، والضروس: الأضراس، والحنى: المأطور المعوج الضلوع، المحنيا.

الروع: الفزع، والخيفانة ها هنا: الفرس السريعة الخفيفة، والخيفانة الجرادة، شبهها بها =

لها عجز كصفاة المسيد مل أبرز عنها جحاف مضر
لها ذنب مثل ذيل العروس تسد به فرجها من دبوس
لها متنتان خطاتا كما أكب على ساعديه النمر
لها عذر كقرون النسا ركب في يوم ريح وصر^(١)

=في خفتها، «كسا وجهها سعف منتشر»: أراد الناصية، شبهها بسعف النخلة، والمنتشر: المتفرق.

القعب: القذح الصغير، الوليد: الصبي، فيقول: حافرها في صغر قذح الصبي، ويستحبه ذلك في الفرس؛ لأنه أثبت له، ولأن الكبير ثقیل مضطرب؛ وإنما يكون ذلك في البراذين، والوظيف في اليد، والوظيف في الرجل: ما بين الرسغ إلى الركبة، أو ما بين الرسغ إلى العرقوب، والعجز: الذي كان فيه عقداً، وذلك لصلابته.

الشعرات التي خلف الرسغ يقال لها الثن، والواحدة ثنة، والخوافي من ريش الجناح: ما بعد القوادم؛ يلين أصل الجناح، وإنما شبهها بها لرققتها، يقثن بالهمز، يعني يرجعن بعد ازبشارها إلى مواضعهن، وازبشارها، أي اقشعرارها.

جمع الكعب كعوب وكعاب، وهي المفاصل، أصمعان: يعني صغيرين، وإنما أراد لصوقهما، ويريد أنها ليست برهلة، وكذلك الخيل العتاق، والحمان: اللحمتان الغليظتان اللتان فوق الكعبين، منبت: يقول هو لصلابته كأنه باتن متفرق.

(١) الصفاة: الصخرة، المسيل: أراد أن السيل جرى عليها وأذهب عنها ما كان عليها من الغبار، والجحاف: السيل الذي يجرف ويجحف كل شيء، أي يجمعه «مضر» أي يضر بكل شيء يمر به، أي يقلعه.

إنما قال مثل ذيل العروس؛ لأنه طويل سابغ، خطاتان، يعني مكتنزتين قليلاً، وذهب إلى الصلابة في وصفه لا إلى كثرة اللحم، كما أكب على ساعديه النمر، أراد كساعدي النمر البارك في غلظتهما.

العذر: الشعرات قدام القربوس، وهو آخر العرف. وقرون النساء: ذوائبها، «ركب في يوم ريح وصر»، ضربه مثلاً، وإنما أراد انتشار الشعر وكثرته، فلذلك قال: «في يوم ريح»، والصر: شدة البرد.

وسالفة كسحوق اللبا ن أضرم فيه الغوى السعر
لها جبهة كسراة المجن حذقه الصانع المقتدر
لها منخر كوجار السباع فمنه تريح إذا تنبهر
وعين لها حدرة بدرة شقت مآقيها من آخر
إذا أقبلت قلت دباءة من الخضر مغموسة في الغدر
وإن أدبرت قلت أثفية ململمة ليس فيها أثر
وإن أعرضت قلت سر عوفة لها ذنب خلفها مسبطر^(١)

(١) السالفة ها هنا، يريد بها العنق، كسحوق اللبان، يعني كالشجرة في الطول. واللبان: شجرة اللبان، وهو الكندر، والسحوق: الطويلة أضرم، يعني أشعل وألهب وأوقد، والغوى: الغاوي، والسعر: جمع سعيير، وهو شدة الوقود، وإنما أراد أنها شقراء، فلذلك ذكر الوقود. كسراة المجن، يعني كظهر الترس، والصانع: العامل، والمقتدر: الحاذق، وإنما أراد اتساع الجبهة.

الوجار: جحر الضب، وإنما أراد سعة المنخر، فمنه تريح، أي تتنفس فتخرج الريح، وقال بعضهم تريح: أي تستريح، وإذا سهل مخرج النفس لم يضق في جوف الفرس، ولم يشق عليه. حدرة بدرة، يعني مكتنزة صلبة ضخمة، بدرة يعني تبدر بالنظر، والمآقي: جمع مآق وموق، شقت مآقيها، أي تفتحت فكانت انشقت، من آخر، أي من مآخير العين. مغموسة في الغدر، أراد أنها ناعمة رطبة، والدبابة: القرعة؛ وإنما شبهها بها للطفافة مقدمها ورقته، ولأنها ملساء لينة مستديرة المؤخرة. الأثفية: الصخرة المدورة المجتمعة، شبه استدارة مؤخرها بالأنثبة الملساء التي ليس فيها أثر، والململمة: المجتمعة، وقالوا: المدورة الصلبة. وإن أعرضت، أي إن أمكنتك من النظر إليها، والسر عوفة: الجرادة. والجمع السرا عيف، ولم يرد ها هنا الخفة، وإنما أراد الاستواء في الخلق، والمسيطر: الممتد الطويل، والسر عوفة: القليلة اللحم، وبذلك توصف الخيل العتاق.

وللسوط فيها مجال كما تنزل ذو برود منهمر
لها وثبات كوثب الظباء فواد خطاء وواد مطر
وتعدو كعدو نجاة الظباء أخطأها الحاذق المقتدر^(١)

وقال امرؤ القيس أيضاً في الاغتداء ووصف الفرس:
وقد أغتدى قبل العطاس بهيكل شديد مشك الجنب فعم المنطق
بعثنا ربيئاً قبل ذلك مخملاً كذئب الغضى يمشي الضراء ويتقي
فقال ألا هذا صوار وعانة وخيط نعام يرتعي متفرق^(١)

(١) مجال، أي جولان، وإنما يريد أن السوط إذا وقع بها حالت، وذلك من حدة نفسها،
ذو برود منهمر، أي من الاتهام وهو الصب الراسع الكثير، وقالوا: أراد شدة جريها كشدة وقع
هذا السحاب ذي البرد في سرعة وقعه، الخطاء: جمع خطوة، وأراد وادياً تخطو، ووادياً تطر
فيه العدو، فيقول: مرة تخطو فتكف عن العدو، ومرة تعدو عدواً يشبه المطر، كعدو نجاة
الظباء يقال: فرس نجاة وناقة نجاة، إذا كانت ناجية سريعة العدو.
(١) ديوان امرؤ القيس ص ١٧٢ - ١٧٦.

قبل العطاس: يعني قبل أن يقوم الناس فيسمع صوت أو عطاس، والهيكل: الفرس الضخم
المرتفع، شبهه بهيكل النصرى، وهو أكبر بيت لهم، ويروى: «بسايج» أي كأنه يسبح في
عدوه، شديد مشك الجنب: يعني شديد معزز الجنب في الصلب، فعم المنطق، ممتلى الجوف.
الربى والربيثة: الذي يربأ للقوم، أي ينظر الصيد من مكان مرتفع، مخملاً: يعني يخمل
نفسه، أي يستترها ويخفيها، كذئب الغضى، والغضى شجر، وأحيث الذئاب ما كان منشؤه
ومأواه الغضى، يمشي الضراء: هي مشية فيها اختيال وتبخر، وإنما قال ذلك استتاراً من
الصيد. ويتقي أن يراه.
الصوار: القطيع من البقر، والعانة من الحمر: الجماعة، وكذلك الخيط من النعام.

فقمنا بأشلاء اللجام ولم نقد إلى غصن بان ناضر لم يحرق
نزاوله حتى حملنا غلامنا على ظهر ساط كالصليف المعرق
كأن غلامي إذ علا حال متنه على ظهر باز في السماء محلّق
رأي أرنباً فانقض يهوى أمامه إليها ، وجلاها بطرف منقلق
فقلت له صوب ولا تجهده فيذكرك من أعلى القطة فتزلق
وأدبرن كالجزع المفصل بينه بجيد الغلام ذي القميص المطوق^(١)

(١) أشلاء اللجام: حدائده؛ وإنما يريد: قمنا إليه فألجمناه ولم نقده إلى اللجام قوداً، إلى غصن بان، يعني إلى فرس كأنه في حسنه وصفاء لونه غصن بان، ويري: ولم نكد، يعني ولم يكد نطيق إلجامه من كثرة مرجه ونشاطه.
نزاوله، يعني تحاول منه ركوب الغلام، ولم يكد الغلام يركبه إلا بعد معالجة، والساطي: الذي يسطو بنفسه فلا يتوقى ما ركب وما ضرب بحافره، والصليف ها هنا: عود من أعواد الرجل؛ وهما صليفتان فيه من جانبيه، «المعرق» يعني أنه قد يرى برياً؛ وإنما وصف ضمور الفرس؛ وبه توصف الخيل العتاق.
حال متنه، حال الفرس: موضع الراكب؛ يقول: كأن غلامي إذا ركب فرسي فمر مسرعاً جاداً في عدوه مثل باز قد حلق في السماء يطير طيراناً شديداً.
رأي أرنباً، يعني البازي، فانقض إليها، إلى الأرنب، أي انحط، ويهري: يدنو إليها، وجلاها، يعني نظر إليها. والطرف: طرف العين، والمقلق: المبادر بالنظر، الذي لا يفتر.
يعني فقلت للغلام: صوب الفرس ولا تجهده، أي خذ عفوه ولا تحمله على العدو فيصرعك، يقال: أذراه عن فرسه يذريه إذرا. إذا صرعه وألقاه، والقطة من الفرس: موضع الردف.
الجزع: الخرز، وأدبرن: يعني بقر الوحش، شبههن في صفائهن وبريقهن واختلاف ألوانهن بالخرز، بجيد الغلام: أي عليه طوق.

وأدركهـن ثانياً من عنانه كغيث العشي الأتهب المتودق
فصاد لنا ثوراً وعيراً وخاضباً عداءً ، ولم ينضح بماء فيعرق
وظل غلامي يضجع الرمح حوله لكل مهاة أو لأحقب سهوق
وقام طوال الشخص إذ يخضبونه قيام العزيز الفارسي المنطق
فقلنا ألا قد كان صيد لقانص فخبوا علينا كل ثوب مروق
وظل صحابي يشتون بنعمة يصفون غاراً باللكيك الموشق^(١)

(١) وأدركهـن: يعني الغلام أدرك الحمير، ثانياً من عنانه، يقول: لم يخرج ما عنده من الجري، ولكنه أدركهـن قبل أن يجهد، والغيث: السحاب، والغيث: المطر، والغيث أيضاً: النبت والعشب، والأتهب: ما كان لونه إلى الكدرة من البياض، المتودق من الودق، وهو الشديد من المطر.

الثور من بقر الوحش، والعير: الحمار، والخاضب: الظليم، عداء: يعني موالاة واحداً بعد واحد، يقول: فصاد لنا هذا كله قبل أن يعرق، وإنما قيل للظليم: خاضب، لأنه إذا أكل الربيع خضب قوائمه وأطراف ريشه من الزهر.

يضجع الرمح حوله، يعني قد لحقه؛ فهو يطعنه كيف شاء. مهاة، أى بقرة وحشية، والأحقب: حمار الوحش، وإنما سمي الذكر أحقب والأنثى حقبا، لأن في موضع الحقيبة منها بياضاً، والسهوق: الطويل.

وقام، يعني الفرس، إذ يخضبونه، يعني بالدم، وذلك إذا صادوا عليه جعلوا على شعر ناصيته وعلى عنقه من ذلك الدم ليعلم أن قد صادوا به، قيام العزيز الفارسي، شبهه بالرئيس من الفرس المعظم عندهم، والمنطق: ذو المنطق، وقال بعضهم: إذا صاد القوم على الفرس ثم أصابه من دم الصيد شيء فهو خضابه.

القانص: الصائد، فخبوا علينا، أى ضربوا لنا خباء، «مروق» يعني له رواق. يشتون: يعني يصلحون من ذلك الصيد شواء، والمستوي الرجل الذي يشويه، يصفون غاراً، يعني أنهم قد ملثوا الغار من اللحم الذي يصفونه، والمصفوف والصقيف من اللحم: المشرح المرقق، والغار والمغارة واحدة، واللكيك: اللحم الكثير الشخين، والموشق: الذي يطبخ بماء وملح، ثم يجفف ويحملة القوم معهم. وهي الوشائق والواحدة وشيقة.

ورحنا كأننا من جزائى عشية نعالى النعاج بين عدل ومشنق
ورحنا بكابن الماء يجنب وسطنا تصوب فيه العين طوراً وترتقي
وأصبح زهلولا يزل غلامنا كقدح النضى باليدين المفق
كأن دماء الهاديات بنحره عصارة حناء بشيب مفرق^(١)

وقال امرؤ القيس في الاغتداء ووصف الفرس:

ولقد أغدو على عيرانة ويطرف ذي سبيب منتخب
شنج الأنساء محوص الشوى أخلف القارح عاماً أو كرب^(٢)

(١) كأننا من جزائى: يعني كأننا من ملوك جزائى، وهي قرية بالبحرين، وإنما قال ذلك لكثرة ما معهم من الصيد المعدول في الأعدال. والمشنق: المعلق الذي لم يجعل في الأعدال. رحنا بفرس كأنه ابن الماء في خفته وسرعة عدوه. وابن الماء طائر، وسطنا: بيننا. تصوب فيه العين طوراً وترتقي: تنظر العين إلى أعلاه وأسفله من إعجابها به، يعني أصبح الفرس زهلولا، والزهلول: الخفيف، والجمع الزهاليل. ويزل الغلام الذي قد ركه عن ظهره من نشاطه ومرحه أي يلقيه عنه، والقدح: السهم، والنضى: الذي لا نصل فيه، والمفق: السهم الذي جعل له فوق، الهاديات: أوائل الوحش المتقدّمات؛ والواحدة هادية، يدرك هذا الفرس أوائل هذه الحمير، فكيف أواخرها!

(٢) ديوان امرؤ القيس ص ٢٩٥.

المنتخب: المختار، وهو من نعت الطرف، العيرانة: الناقة، شبهها بالعين وهو الحمار الوحشي لخفتها؛ والطرف: الكريم من الخيل، والسبيب: الذنب. النساء: عرق في الفخذين، فإذا تشنج كان أقوى له، محوص الشوى، وهي القوائم، يقول: منجره الشعر منها، والقارح في سنه، «أو كرب» يريد أو قارب ذاك، الشنج: المتقبض، وهو مدح له، المحوص: الشديد القوي، القارح من الخيل: ما أمضى خمس سنين.

يأخذ الأرض بفعم صلب في وظيف غير مسترخي العصب
وقطاة لم يخنها متنه مجفر الجنين في غير حذب
فهو سباق إلى غاياته يبهض الملجم إلا ما انتصب^(١)

وقال امرؤ القيس في وصف الفرس:

واني زعيم إن رجعت مملكاً بسير ترى منه الفرائق أزورا
على لاحب لا يهتدي بمناره إذا سافه العود النباطي جرجرا
على كل مقصوص الذنابي معاود

بريد السرى بالليل من خيل بربرا^(١)

الوظيف: عظم في أسفل الساق، والفعم: الممتلئ، وصلب، أى صلب، القطاة: موضع
الردف من الدابة، والمجفر: الضخم الجنين، يبهض، أي يشق عليه.

(١) ديوان امرؤ القيس ص ٦٦ - ٦٧.

الزعيم: الكفيل الضامن، والأزور: المائل الذي يسير في جانب من شدة السير؛ يقول
لصاحبه مطيباً لنفسه: أنا كفيل بأن أسير سيراً شديداً ترى منه الفرائق مائلا إلى جهة من
شدته، إن رجعت من عند قيصر مملكا على قومي.

لا يهتدي بمناره، أي ليس فيه علم ولا منار فيهتدي به: يصف أنه طريق غير مسلك فلم
يجعل فيه علم، إذا سافه العود، أي إذا شمه المسن من الإبل صوت ورغا لبعده وما يلقى من
مشقته، والنباطي: منسوب إلى النبط، أشد الإبل وأصيرها، وقيل: هو الضخم، واللاحب:
الطريق البين الذي لحبته الحوافر، أي أثرت فيه، جرجر: صوت.

أقطع هذا الطريق على كل فرس مقصوص الذنب، وكذلك خيل البريد، معاود بريد=

أقب كسرحان الغضى متمطر ترى الماء من أعطافه قد تحدرا
إذا زعته من جانبيه كليهما مشى الهيدبي في دقه ثم فرفرا
إذا قلت روحنا أرن فرائق على جلعد واهي الأباجل أبترا^(١)

وقال امرؤ القيس أيضاً في وصف الفرس:

وإن أمس مكروباً فيارب غارة شهدت على أقب رخو اللبان^(٢)

=السرى: أي قد استعمل في سير البريد مراراً وعادده، من خيل بربر، وخص خيل بربر، لأنها كانت أصلب الخيل عندهم وأجودها. وأراد: «معاود سير بريد السرى».

(١) أقب كسرحان الغضى، أي هو خميص البطن كالذئب، وخص ذئب الغضى لأنه أخبث الذئاب وأنكرها، والغضى: شجر، والمتمطر: السابق الماضي على وجهه، ترى الماء من أعطافه، يعني أن العرق يسيل منه ويتحدر من جوانبه لشدة السير ومشقته.

إذا عطفته وأملته بالركض وبالزجر من جانبيه كليهما تبخر في مشيه، ومال في أحد جانبيه، ثم حرك فمه باللجام عيشاً ونشاطاً، والهيدبي، بالذال: مشية فيها تبخر؛ واشتقاقها من الثوب ذي الهدب، لأنه مما يتبخر فيه، ويروى: الهيدبي، بالذال المعجمة، وهو من أهدب في سيره إذا أسرع، فرفر: حرك اللجام في فمه، ويروى: قرقر بالقاف، أي صوت، وليس بالجيد، لأن الخيل لا توصف بهذا.

إذا قلت روحنا أرن فرائق؛ أي إذا شق علينا السير أرن الفرائق بالغناء والتطريب لروحنا ويسلينا عن بعض ما نجد من المشقة والعناء، أرن: رجع صوته بالغناء، والجلعد: الغليظ الشديد، واهي الأباجل أبترا، يريد أنه لين العروق والمفاصل فيتسع لذلك في العدو، والأباجل: عروق في الرجل، واحدها أبجل، والأبتر: المقطوع الذنب.

(٢) ديوان امرئ القيس ص ٨٦ - ٨٧.

الأقب: الظامر البطن من الخيل، رخو اللبان، أي واسع جلدته، لين العطف؛ وهو المستحب من الخيل.

على ريد يزداد عفوا إذا جرى مسح حثيث الركض والذالان
ويخدى على صم صلاب ملاطس شدايدات عقد لينات متان
وغيث من الوسمى حو تلاعه تبطنته بشيظم صلتان
مكر مفر مقبل مدبر معا كتيس ظباء الحلب العدوان
إذا ما جنبناه تأود متنه كعرق الرخامى اهتز في الهطلان
تمتع من الدنيا فإنك فان من النشوات والنساء الحسان^(١)

(١) على زيد، هو السريع رفع القوائم ووضعها؛ وهو الخفيف، والعفو: الجري على غير مشقة وتكلف، ويروى: «يزداد عدواً» أي جرياً. مسح: أي سريع العدو كأنه يسحه سحاً، حثيث الركض والذالان: أي سريع الجري والسير، والركض: الجري، والذالان: سرعة السير؛ ومنه قيل للذئب: ذؤالة.

ويخدى: أي يسير سيراً سريعاً، والصم: حوافره؛ يريد أنها مصمتة صلبة، ملاطس، أي مكسرات للحجارة لشدة وقعهن وصلابتهن، شدايدات عقد، يعني عقد الأرساغ مع لين المفاصل ورطوبتها، والمتان: الصلاب الشداد، ويروى: «لينات مثان» وهي ما انثنى من المفاصل.

وغيث من الوسمى حو تلاعه، الحوة: لون يضرب إلى السواد؛ يصف أن نبات التلاع حو ناعم ريان، فخضرته تضرب إلى السواد، تبطنته: أي سلكت بطنه وسرت فيه، والشيظم: الطويل، والصلتان: القصير الشعر؛ وقيل: هو من الاتصالات؛ وهو شدة الذهاب.

كتيس ظباء الحلب، شبه الفرس بفحل الظباء في ضميره ونشاطه وسرعته، والحلب: نبت ترعاه الظباء، فتضمهر عليه بطونها، والعدوان: الشديد العدو؛ وهو في وصف التيس، ويروى: العدوان؛ وهو النشيط المرح.

تأود متنه: أي تثنى للينه وسباطته، والرخامى: نبت له عروق ناعمة تثبت على وجه الأرض؛ شبه تثنى متنه بتثني عروق هذا النبت، اهتز في الهطلان، أي تثنى واهتز لنعمته ولينه بكثرة المطر المغذي له.

وقال امرؤ القيس أيضاً في وصف القرس:

وغيث كألوان الفنا قد هبطته تعاور فيه كل أوطف حنان
على هيكل يعطيك قبل سؤاله أفانين جرى غير كز ولا وان
كتيس الطباء الأعرانضرت له عقاب تدلت من شماريخ ثهلان
وخرق كجوف العير قفر مضلة قطعت بسام ساهم الوجه حسان
يدافع أعطاف المطايا بركنه كما مال غصن ناعم بين أغصان^(١)

(١) ديوان امرؤ القيس ص ٩١ - ٩٣.

وغيث كألوان الفنا: شبه الكلاً بالفنا في ربه وجدته، والفنا: عنب الثعلب، أو نبت يشبهه، هبطته: نزلت إليه، وأنخت إبلى فيه، تعاور: تداول وتعاقب، الأوطف: سحب دان من الأرض، كأن له خملاً لكثافته، الحنان: الشديد الصوت الذي يسمع لصوته ولرعه حنين كحنين الإبل.

يعني هبطت هذا الغيث على فرس ضخم كهيكل النصارى، يعطيك ما عنده من الجرى، قبل أن تكلفه ذلك، وتسأله إياه، الكز: الضنين، الواني: الفاتر المبطى. انضرت له، يعني انقضت للئيس هذه العقاب فذعرت؛ وذلك أسرع له وأنشط، من شماريخ ثهلان، أي انقضت العقاب من أعالي هذا الجبل، وثهلان: اسم جبل، شماريخه: أعاليه. كجوف العير، قال بعضهم: هو الحمار الذي ليس في جوفه شئ ينتفع به؛ لأنه صيد لا يؤكل من بطنه شئ. وقيل: العير رجل من بقايا عاد الآخرة؛ وكان يقال له حمار بن مويلى، وكان له جوف من الأرض فيه ماء معين، وكان يزرع في نواحي ذلك الجوف، وكان يقري الضيفان؛ فمكث على الإسلام زماناً، وكان له عشرة بنين، فأصابته صاعقة فماتوا كلهم، فغضب وكفر ورجع إلى عبادة الأوثان ومنع الضيافة، فأقبلت نار من أسفل ذلك الجوف بريح عاصف فأحرقت الجوف وما فيه، وأحرقت من دخل معه في عبادة الأصنام فأصبح الجوف =

وقال امرؤ القيس أيضاً في وصف الخيل:

الخير ما طلعت شمس وما غربت مطلب بنواصي الخيل معصوب
قدأ شهد الغارة الشعواء تحملني جرداء معروقة اللحيين سرحوب
كأن هاديتها إذ قام ملجمها قعو على بكرة زوراء منصوب
إذا تبصرها الرءاؤون مقبلة لاحت لهم غرة منها وتجبب
رقاقها ضرم ، وجريها خذم ولحمها زيم والبطن مقبوب^(١)

=كانه الليل المظلم وصار خراباً ، فضريت العرب به المثل فقالوا: وادي الحمار، وجوف العير، قفر مضلة، أي لا يهتدي للسير فيه، والسامي: الفرس المشرف المرتفع، والساهم هنا: القليل لحم الوجه؛ وهو أيضاً المتغير اللون الضامر، ويستحب سهوم وجه الفرس، والحسان: الحسن؛ وهو المبالغة في الوصف بالحسن.

الأعطاف: الجوانب، وركنه: منكبه؛ وكانوا إذا صاروا في غزو يركبون المطايا من الإبل ويقودون الخيل ليوفروا قوتها ونشاطها إلى أن يحتاجوا إلى استعمالها، فوصف أن الفرس كان يدافع المطي كلما قرئت منه ودنت إليه، وشبهه لتثنيه بين الإبل، وميله يمينا وشمالا بغصن ناعم يتثنى بين أغصان.

(١) ديوان امرؤ القيس ص ٢٢٥ - ٢٢٧.

الغارة الشعواء: المتفرقة، والجرعاء: الفرس القصيرة الشعر، والمعروقة اللحيين: القليلة لحم الخدين، وسرحوب: طويلة مشرقة.

هاديتها، يعني أولها؛ وها هنا يريد العنق، زوراء، يريد منحرفة على غير استواء؛ وإنما جعلها كذلك لإشراق عنقها، والقعو: فلكة البكرة.

التجبب: التحجيل إذا بلغ إلى أوظفة اليدين والرجلين.

الرقاق: ما رق من الأرض، والركض فيه صعب، يقال: الرقاق من الأرض المستوي، =

والعين قاذحة واليد سباحة والرجل طامحة واللون غريب
والماء منهمر والشدة منحدر والقصب مضطمر والمثن ملحوب
كأنها حين فاض الماء واحتفلت صقعاء لاح لها بالسرحة الذيب
فأبصرت شخصه من رأس مرقبة ودون موقعها منه شناخيب
صبت عليه وما تنصب من أمم إن الشقاء على الأشقين مصبوب
كالدلو بتت عراها وهي مثقلة وخانها وذم منها وتكريب^(١)

والضرم: المتوقد، يقول: هي تحرق فيه بالجري لا تباليه؛ ونسب الرقاق إليها وأضافه لأنها
تعدو فيه والحذم السريع المتقطع، والزيمة: القطع، والمقبوب: الضامر، وبه توصف الخيل العتاق.
(١) قاذحة: يريد غائرة، واليد سباحة: إذا مدت يديها فكأنها تسيح، كما يسبح السباح
في الماء يريد السرعة، طامحة: أي سريعة الدفع، غريب: يريد السواد، يعني أنها دهماء.
والماء منهمر، يريد السائل المتصل، ليس بالقطر، وإنما يريد ها هنا بالماء العرق، وهذا
خطأ، والقصب: واحد الأقصاب؛ وهي الأمعاء. ومضطمر: ضامر، ملحوب، يعني قليل
اللحم؛ يقال: قد لحب متنه إذا ذهب؛ وإنما أراد موضع القصب.
احتفلت يعني اجتهدت في العدو، والصقعاء: العقاب، وإنما سميت صقعاء لبياض في
أعلى رأسها، والسرحة: الشجرة الضخمة، فاض الماء: يريد العرق، ويقال: السرحة ها هنا:
اسم موضع معروف قالوا: وأصل قوله: احتفلت من امتلاء الضرع من اللبن؛ ويقال: هذه إبل
وغنم حفل إذا امتلأت ضروعها لبناً.
مرقبة: موضع مشرف، يعني أن العقاب أبصرت خيال الذئب. والشناخيب: رموس في
أعالي الجبال لا يعلو عليها إلا ما طار، والواحد شنخوب.
يقول: صبت العقاب على الذئب، صبت معناه كما تقول: بعث عليه بعذاب. والأمم:
القرب، ويقال: القصد.

كالدلو: يقول: انقضاض هذه العقاب إلى هذا الذئب كالدلو، بتت، أي قطعت، وأراد
انقضاض العقاب في السرعة كسرعة انحطاط الدلو المنقطعة أو ذامها، والأوذام: سيور تعلق
بعرا الدلو، والواحد وذم، والواحدة وذمة. والتكريب: أن يشد خيط من قنب أو شعر مع الدلو
إلى الرشاء - وهو الحبل - ليكون عوناً واستظهاراً متى انقطعت عروة أو انحلت عقدة
أمسكها فلا تقع في البثر؛ وإنما يفعل ذلك بالدلو الضخمة.

ويلمها من هواء الجو طالبة

ولا كهذا الذي في الأرض مطلوب

كالبرق والريح شدا منهما عجبا

ما في اجتهدا عن الإسراع تغيب^(١)

* * *

وقال امرؤ القيس أيضاً في وصف الفرس:

ولقد شهدت الخيل وهي كأنها بالدارعين نقائق تعدو

تغشى الإكام سناكباً مسنونة مثل المعاول حصدها الحصد

تذر العجاج وراءها متنصبا ريعانها وكأنها السبد^(٢)

(١) قول العرب: ويلمه، اللفظ به ذم؛ وهي في الظاهر عندهم مدح. والويل في التفسير: واد في جهنم. والجو: جو السماء؛ وهو الفضاء، والهواء: ما مددت فيه بصرك من أعلى. والطالبة: العقاب. وقوله: ولا كهذا: يريد الذئب؛ يقول: ولم أر كنجائه وهربه منها نجاء. وهو المطلوب، شبه سرعتها بالبرق والريح، تغيب: ليست فيهما بقية من السرعة والعدو.

(٢) ديوان امرؤ القيس ص ٢٣٣ - ٢٣٥.

النقائق: النعام، والواحد نقتق، وإنما سمي بذلك لصوته، وهي النقطة. تغشى، أي تغطي، والإكام: التلال المرتفعة، والواحدة أكمة، والسناكب: أطراف حوافر الخيل؛ والواحد سنبك، والمسنونة: المحددة، والمعارك: المناقير، حصدها الحصد؛ يقول: قطعها القطع الذي ليس وراءه غاية.

متنصبا، يريد عالياً، وريعانها: أوائلها، والسبد: العقبان في ألوانها إلى السواد؛ يذهب به إلى السبد وهو الشعر، وتروي: كأنها السند، أي رجال السند.

تجرى بفرسان لها ومغاور كالطير غادية إذا تغدو
جرد عتاق لأكوابي بالقنا يخشى لها صدف ولا حرد
تحتى أقب ململم عبل الشوى ويزل عن صهواته اللبد
ضافي السبيب من الذبول كأنه يوماً على حمواته البرد
حر المعذر أشرفت حجباته يغشى الروابي راهن فرد^(١)

(١) المغاور والمغاوير: الذين يغيرون في القتال والحروب، واحدهم مغور ومغاور، كالطير، يريد الخيل في سرعتها كالطير.
الكابي: واحد الكوابي؛ وهو الفرس الذي إذا عدا انبهر؛ ويكون ذلك في ضيق مخرج النفس من دا، يحدث به، والجرد: الخيل القصيرة الشعر والعتاق: الكرام منها، وقالوا: الكابي: الذي يسقط على وجهه لضعف يكون في يديه، ويروى: لا كواقي بالقنا « يقول: لا تنكفى، أي لا ترجع، كما تقول: انكفاً فلان على أهله، أي رجع. والصدف: ميل في الحافز، «ولا حرد» جمع أحر، وهو الذي يضرب بيديه.
الأقب: الضامر البطن، والململم: المجتمع؛ شبه بالحجر الصلب، والعبل: الضخم، والشوى ها هنا: القوائم، والصهوات: جمع صهوة؛ وهو موضع اللبد من الفرس؛ أي ملتقى فروع الكتفين.
الضافي: السابغ الذنب التام في طوله؛ والسبيب شعر الناصية والذنب، وهو ها هنا الذنب، والذبول: الضمر؛ ويروى: «من الذبول»، أراد جمع ذيل؛ شبه الذنب في طوله بالذيل الطويل. والحموات: جمع حماة؛ قال: وهي عضلته التي في ساقه؛ وشبه الذنب بالبرد في سبوغه.
حر المعذر، أي كريم الوجه، والمعذر: مكان العذار، والحجبات: واحدتها حجة؛ وهي رأس الورك، ويغشى، أي يعلو، والراهن: المتقدم اللاحق، وفرد، أي منفرد، وتروى: ينضو السوابق زاهق، وينضو، أي يسبق، والزاهق: السمين.

وقال امرؤ القيس أيضاً في وصف الفرس:

وخيل كأسراب القطاقد وزعتها بذى ميعة ثبت الفؤاد إذا جرى
طويل القرانهد التليل مشذب

سليم الشظاعبل الشوى شنج النسا
أشقى شخيص طامح الطرف سابح جواد إذا هيجته عاند الهوى
شديد اعتزام الشد يعطيك عفوه

إذا ابتل بعد الجهد من مائه طغى

إذا ثاب بعد الكبو مر كأنه

حفيف قطاً من رابئ الصيد قد ضفا (١)

(١) ديوان امرؤ القيس ص ٣٣٣ - ٣٣٤.

السرب: سرب القطا، وزعتها، أي كفتها، والميعة: النشاط.
القرأ: الظهر، والنهد: المرتفع، والتليل: العنق، والمشذب: القصير الشعر، والشظا: عظيم
في يد الفرس، إذا تحرك ضعف عنه. والعبل: الضخم، والشوى: القوائم، والنسا: عرق في
باطن الفخذ ينزل إلى الساقين إذا استرخى ضعف رجلاه.
الأشقى الطويل، والشخيص: الضامر، والسابح: الذي يمد يديه في الجري، والجواد: السابق.
الشد: العدو، وعفوه: سيره من غير أن يقرع بسوط ولا غيره، وماؤه: عرقه.
ثاب: أي رجع، والكبو: السقوط، والحفيف: الصوت، والراني: الديدبان، وهو الذي
يرقب، أي يحرس، وضفا: ارتفع.

الفصل الثالث

الناطقة الذبباني

أما النابغة فهو زياد بن معاوية، ويكنى أبا أمامة، ويقال: أبا ثمامة.

عاش في النصف الأخير من القرن السابق على ظهور الإسلام، ونادم ملوك الحيرة، المنذر بن الثالث والرابع، والنعمان بن المنذر أبا قابوس، واستوجب سخط الأخير عليه، لما يروى من أنه وصف يوماً حسن زوجة النعمان في شعر أثار غيرته، وغضبه، ولكن حقيقة الأمر - فيما يبدو - وهي أن النابغة كان قد واصل بنى غسان في دمشق، وهم أعداء اللخمين، فظن النعمان به الغدر، وعدم الوفاء له، وهرب النابغة منه، فوجد ملجأ في بلاط عمرو بن الحارث، وأكرمه عمرو، وابنه النعمان، فلما مات النعمان بن عمرو بن الحارث رجع النابغة إلى الحيرة ونال عفو أبي قابوس، وحظوته من جديد، ولكنه لم يتمتع طويلاً بذلك، فقد وقع أبو قابوس بعد ذلك بقليل في أسر خسرو الثاني، الملك الساساني في فارس، ولم يلبث أن مات، وحينئذ رجع النابغة إلى قبيلته بنى ذبيان، الذين كان يرعى مصالحهم دائماً عند أولى حظوته من الأمراء، وبقي هناك إلى أن مات^(١).

وأهل الحجاز يفضلون النابغة وزهيراً.

أنشد عيسى بن عمر عامر بن عبد الملك المسمعى شعر النابغة،

(١) تاريخ الأدب العربي، بروكلمان ١ / ٨٨ - ٨٩.

فقلت: يا أبا عبد الله، هذا والله الشعر، لا قول الأعشى:

لسنا نقاتل بالعصر سى ولا نرامى بالحجارة

ويقال: كان النابغة أحسنهم ديباجة شعر، وأكثرهم رونق كلام، وأجزلهم بيتاً، كان شعره ليس فيه تكلف، ونبغ بالشعر بعد ما احتنك، وهلك قبل أن يهتر.

ويقال: وكان يقوى فى شعره، فعيب ذلك عليه وأسمعوه فى غناء^(١):

أمن آل مية رائح أو مغتد عجلان ذا زادٍ وغير مزود

زعم البوارح أن رحلتنا غداً وبذاك خبرنا الغداف الأسود

ففطن فلم يعد.

قال الشعبي: (٢) دخلت على عبد الملك وعنده رجل لا أعرفه، فالتفت إليه عبد الملك فقال: من أشعر الناس؟ فقال: أنا، فأظلم ما بينى وبينه، فقلت: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فتعجب عبد الملك من عجلى فقال: هذا الأخطل، فقلت: أشعر منه الذى يقول:

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ٢٧، الأغاني ١٥٦/٩ - ١٥٧، الشعر والشعراء ١٥٧/١.

(٢) الأغاني ١٦١ / ٩ - ١٦٥، خزنة الأدب ١ / ٢٨٨، الشعر والشعراء ١ / ١٥٨.

هذا غلام حسن وجهه مستقبل الخير سريع التمام^(١)
للحارث الأكبر والحارث ال أصغر والأعرج خير الأنام
ثم لهندٍ ولهندٍ وقد ينجع في الروضات ماء الغمام
سنة آبائهم ما هم هم خير من يشرب صفو المدام
فقال الأخطل: صدق يا أمير المؤمنين، النابغة أشعر مني، فقال لى
عبد الملك: ما تقول في النابغة؟ قلت: قد فضله عمر بن الخطاب على
الشعراء غير مرة، خرج وببابه وفد غطفان فقال: أى شعرائكم الذى
يقول:

أتيتك عارياً خلقاً ثيابى على خوف تظن بى الظنون
فألقيت الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون
قالوا: النابغة، قال: فأى شعرائكم الذى يقول:
حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب
قالوا: النابغة. قال: فأى شعرائكم الذى يقول:
فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

(١) خزنة الأدب ١ / ٢٧١.

ويروى «وازع»، قالوا: النابغة، قال: هذا أشعر شعرائكم.

* * *

قال حسان^(١): وفدت على النعمان بن المنذر فمدحته، فأجازني وأكرمني، فإني لجالس عنده ذات يوم إذا صوت من خلف قبته يقول:

أنام أم يسمع رب القبه يا أوهب الناس لعنس صلبه

ضاربة بالمشفر الأذبه ذات نجاء في يديها جذبه^(٢)

قال: أبو ثمامة! فدخل، فأنشده قصيدته التي على الباء والتي على العين، وكان يوم ترد فيه النعم السود، ولم يكن بأرض العرب بغير أسود إلا له، فأمر له منها بمائة بغير معها رعاؤها ومظالها وكلابها، فلم أدر على ما أحسده؟ على جودة شعره، أم على جزيل عطيته؟!

* * *

ومكث النابغة زماناً لا يقول الشعر، فأمر يوماً بغسل ثيابه وعصب حاجبيه على عينيه، فلما نظر إلى الناس قال:

المرء يأمل أن يعيه ش، وطول عيش ما يضره

(١) الأغاني ٩/ ١٩، الشعر والشعراء ١/ ١٥٩.

(٢) الأذبة: جمع قلة لذباب، التجاء: السرعة في السير، اللسان ١/ ٤٦٨.

تفنى بشاشته ، ويب قى بعد حلو العيش مره
وتخونه الأيام حت سى لا يرى شيئاً يسره
كم شامت بى إن هلك ت ، وقائل : لله دره

ومما يتمثل به من شعره:

نبئت أن أبا قابوس أوعدنى ولا قرار على زار من الأسد
تمثل به الحجاج بن يوسف حين سخط عليه عبد الملك بن مروان^(١).
وقوله:

قلو كفى اليمين بختك خوناً لأفردت اليمين من الشمال
أخذه المثقب العبدى فقال:
ولو أنى تخالفنى شمالى بنصرٍ لم تصاحبها يمينى
وقوله:

فحملتنى ذنب امرئ وتركته كذى العر يكوى غيره وهو راع^(٢)

(١) الخزائن ١ / ٢٨٨ ، الشعر والشعراء ١ / ١٦٠ .

(٢) العر: قروح مثل القرباء تصيب الإبل فتكوى، أو الجرب.

أخذه الكميت فقال:

ولا أكوى الصحاح براتعات بهن العر قبلى ما كورنا^(١)

وقوله:

واستبق ودك للصديق ولا تكن قتباً يعض بغاربٍ ملحاحا

أخذه ابن ميادة فقال:

ما إن ألح على الإخوان أسألهم كما يلح بعض الغارب القتب^(٢)

ويقال إن النابغة هجا النعمان بقوله:

قبح الله ثم ثنى بلعن وارث الصائغ الجبان الجهولا

والصائغ هو عطية، أبو سلمى، أم النعمان.

* * *

وكانت العرب تضرب أمثالاً على السنة الهوام.

قال المفضل الضبي: يقال امتنعت بلدة على أهلها بسبب حية غلبت

(١) خزنة الأدب ١/ ٤٣٣، الشعر والشعراء ١/ ١٦٠.

(٢) الأغاني ١١/ ١٣، الشعر والشعراء ١/ ١٦١.

القتب: إكاف البعير، الغارب: الكاهل من ذى الخف ما بين السنان والعنق.

عليها ، فخرج أخوان يريدانها ، فوثبت على أحدهما فقتلته ، فتمكن
لها أخوه فى السلاح ، فقالت : هل لك أن تؤمننى فأعطيك كل يوم
ديناراً ؟ فأجابها إلى ذلك حتى أثرى ، ثم ذكر أخاه ، فقال : كيف
يهنئنى العيش بعد أخى ؟ فأخذ فأساً وصار إلى جحرها ، فتمكن لها ،
فلما خرجت ضربها على رأسها ، فأثر فيه ولم يعن ، ثم طلب الدينار
حين فاته قتلها ! فقالت : إنه ما دام هذا القبر بفنائى وهذه الضربة
برأسى فلست آمنك على نفسى ! فقال النابغة فى ذلك : (١)

تذكر أنى يجعل الله فرصة فيصبح ذا مال ويقتل وatre
فلما وقاها الله ضربة فأسه وللبر عين لا تغمض ناظره
فقالت : معاذ الله أعطيك إننى رأيتك غداراً يمينك فاجره
أبى لى قبر لا يزال مقابلى وضربة فأس فوق رأسى فاقره
ومما أخذ منه قوله :

لو أنها عرضت لأشمط راهبٍ عبد الإله ضرورة متعبد
لرنا لبهجتها وحسن حديثها ولخاله رشداً وإن لم يرشد

أخذه ربيعة بن مقروم الضبى فقال (٢) :

(١) أمثال العرب ٨٤ - ٨٥ .

(٢) الأغاني ٩٢ / ١٩ - ٩٣ .

لو أنها عرضت لأشمط راهبٍ فى رأس مشرفة الذرى يتبتل
لرنا لبهجتها وحسن حديثها ولهم من ناموسه يتنزل
ومما يتمثل به أيضاً من شعره:
ومن عصاك فعاقبه معاقبة تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد
وهو الذل والهوان. قال أوس بن حارثة: «المتيه، ولا الدنيه، والنار،
ولا العار».

وقال النابغة فى العفة، وهو أحسن ما قيل فيه:
رقاق النعال طيب حجاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب^(١)
أخذه عدى بن زيد فقال:
أجل أن الله قد فضلكم فوق من أحكى بصلبٍ وإزار
فالصلب: الحسب، والإزار: العفاف.
وفى أمثالهم «أصدق من قطاة»^(٢) قال النابغة:
تدعو القطا وبها تدعى إذا نسبت يا حسنهما حين تدعوها فتنتسب

(١) خزائن الأدب ٤ / ١٤٧، الشعر والشعراء ١ / ١٦٣.

(٢) مجمع الأمثال ١ / ٣٦١

وذلك لأنها تلفظ باسمها ، أخذه أبو نواس فقال:

* أصدق من قول قطاة قطا *

* * *

وسمى النابغة بقوله:

* فقد نبغت لنا منهم شؤون *

وكان شريكاً فغض منه الشعر. وكان مع النعمان بن المنذر ومع أبيه
وجده، وكانوا له مكرمين.

* * *

قال حسان بن ثابت^(١): رحلت إلى النعمان، فلقيت رجلاً فقال:
أين تريد؟ فقلت: هذا الملك، قال: فإنك إذا جئته متروك شهراً، ثم
يسأل عنك رأس الشهر، ثم أنت متروك شهراً آخر، ثم عسى أن يأذن
لك، فإن أنت خلوت به وأعجبته فأنت مصيب منه، وإن رأيت أبا
أمامة النابغة فاطعن، فإنه لا شيء لك. قال: فقدمت عليه، ففعل بي
ما قال، ثم خلوت به وأصبت منه مالا كثيراً ونادمته، فبينما أنا معه
في قبة إذ جاء رجل يرجز حول القبة:

(١) الأغاني ٩ / ١٦٩، الشعر والشعراء ١٦٤.

أنت أم تسمع رب القبه يا أوهب الناس لعنس صلبه

ضاربة بالمشفر الأذبه ذات هباب في يديها جلبه

فقال النعمان: أبو أمامة! فأذنوا له، فدخل فحياه وشرب معه،
ووردت النعم السود، ولم يكن لأحد من العرب بعير أسود يعلم
مكانه، ولا يفتح لأحد فحلاً أسود، فاستأذنه أن ينشده، فأنشده
كلمته التي يقول فيها:

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فدفع إليه مائة ناقة من الإبل السود، فيها رعاؤها، فما حسدت
أحداً حسدى النايغة . لما رأيت من جزيل عطيته ، وسمعت من فضل
شعره.

ثم إن النعمان بلغ عنه شيئاً، فنذر دمه، فسار النايغة إلى ملوك
غسان. وقد اختلفوا في السبب الذى بلغه عنه، فقال قوم: ذكروا أنه
هجاه فقال:

ملك يلاعب أمه وقطينه رخوا المفاصل (١)

وهجاه أيضاً فقال قصيدة فيها:

قبح الله ثم ثنى بلعن وارث الصائغ الجبان الجهولا

(٢) الأغاني ٩ / ١٥٨ ، ٢١ / ١٣١ .

من يضر الأدنى ويعجز عن ضرر الأقاصى ومن يخون الخليلا
يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو ثم لا يبرز العدو فتिला
ووارث الصائغ هو النعمان بن المنذر، وكان الصائغ جد النعمان بن
المنذر، وأمه سلمى بنته، واسمه عطية، ومنزله فذك.
ويقال إن هذا الشعر والذي قبله لم يقله النابغة، وإنما قاله على
لسان قوم حسدوه.

ويقال: كان السبب فى مفارقتة إياه ومصيره إلى غسان أن النعمان
قال له وعنده المتجردة امرأته: صفها لى فى شعرك يا أبا أمامة! فقال
قصيدته التى أولها: * أمن آل مية رائح أو مغتد *

وكان للنعمان نديم يقال له المنخل اليكشرى يتهم بالمتجردة، فلما
سمع المنخل هذا الشعر قال للنعمان: ما أوغر صدره من النابغة، وبلغ
النابغة ذلك، فخافه فهرب إلى غسان، فصار فيهم. وانقطع إلى عمرو
بن الحرث الأصغر الغسانى، وإلى أخيه النعمان بن الحرث، فأقام النابغة
فيهم فامتدحهم، فغم ذلك النعمان، وبلغه أن الذى قذف به عنده باطل،
فبعث إليه: إنك صرت إلى قوم قتلوا جدى فأقمت فيهم تمدحهم، ولو
كنت صرت إلى قومك لقد كان لك فيهم ممتنع وحصن، إن كنا أردنا
بك ما ظننت، وسأله أن يعود إليه. فقال شعره الذى يعتذر فيه، وقدم
عليه مع زيان بن سيار ومنظور بن سيار الفزاريين، وكان بينهما وبين

النعمان دخلل، فضرب لهما قبة، ولا يشعر أن النابغة معهما، ودس
النابغة أبياتاً من قصيدته:

* يا دار مية بالعلياء فالسند *

وهي:

نبئت أن أبا قابوس أوعدني ولا قرار على زار من الأسد
مهلا فداء لك الأقوام كلهم وما أثمر من مال ومن ولد
فلا لعمر الذي مسحت كعبته وما أريق على الأنصاب من جسد
ما إن بدأت بشئ أنت تكرهه إذن فلا رفعت سوطي إلى يدي
فلما سمع النعمان الشعر أقسم بالله إنه لشعر النابغة، وسأل عنه،
فأخبر أنه مع الفزاريين، وكلماه فيه فأتمته^(١).

* * *

وكان النابغة يضرب له قبة حمراء من آدم بسوق عكاظ، فتأتيه
الشعراء فتعرض عليه أشعارها.

* * *

وقال أبو عبيدة: يقول من فضل النابغة على جميع الشعراء: هو

(١) الشعر والشعراء ١ / ١٦٧.

أوضحهم كلاماً، وأقلهم سقطاً وحشواً، وأجودهم مقاطع، وأحسنهم
مطالع، ولشعره ديباجة، إن شئت قلت: ليس بشعر مولف، من تأثته
ولينه، وإن شئت قلت: صخرة لو رويت بها الجبال لأزالتها. قال:
وسمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: كان الأخطل يشبهه بالنابغة. وكان
يقوى فى شعره، فدخل يثرب ففجئ بشعره، ففطن فلم يعد للإقواء.

ومما سبق إليه النابغة فأخذ منه قوله فى المرأة: * لو أنها عرضت *
البيتين. أخذه بعض شعراء ضبة، وأحسبه ربيعة بن مقروم فقال:
* لو أنها * البيتين. وقال النابغة: * فاستبق ودك * البيت. أخذه
ابن ميادة فقال * ما إن ألح * البيت

ومما أخذه العلماء عليه قوله فى صفة الثور:
تحيد عن أستى سود أسافله مشى الإمام الغواذى تحمل الحزما^(١)
قال الأصمعى: وإنما توصف الإمام فى مثل هذا الموضع بالروح لا
بالغدو، لأنهن يجئن بالخطب إذا رحن، ومثله قول الأخنس التغلبى^(٢):

(١) الشعر والشعراء ١ / ١٦٨، اللسان ١٧ / ٦٤. الأستى: شجر يكثُر فى منابته.

(٢) شاعر جاهلى قديم، قبل الإسلام بدهر.

يظل بها ريد النعام كأنها إماء تزجى بالعشى حواطب^(١)
وقال بعض من طلب له التخرج: إنما أراد أن الإماء تغدو لحمل
الحزم رواحاً.

وأخذوا عليه قوله:

تخب إلى النعمان حتى تناله فدى لك من رب طريفى وتالدى
وكنت امرءاً لا أمدح الدهر سوقة فلست على خير أتاك بحاسد
فامتن عليه بمدحه، وجعله خيراً سيق إليه لا يحسده عليه^(٢).

وأخذوا عليه قوله:

إذا ما غزا بالجيش حلق فوقه عصائب طير تهتدى بعصائب
جوانح قد أيقن أن قبيله إذا ما التقى الجمعان أول غالب
جعل الطير تعلم الغالب من المغلوب قبل التقاء الجمعين، والطير قد
تتبع العساكر للقتلي، ولكنها لا تعلم أيها يغلب.

وأخذوا عليه قوله في وصف السيوف^(٣):

(١) تزجى: تساق. وقبل «تزجى» بفتح التاء بالبناء للفاعل، أى تزجى، وهو غير
جيد. الموشح ص ٤٣ - ٤٤.
(٢) الموشح ص ٤٤.
(٣) الديوان ٥، ٧.

يطير فضاءً حولها كل قونس ويتبعها منهم فراش الحواجب^(١)
تقد السلوقي المضاعف نسجه ويوقدن بالصفاح نار الحباحب^(٢)
وذكر أنها تقد الدروع التي ضوعف نسجها والفارس والفرس، حتى
تبلغ الأرض فتندح النار بها من الحجارة.

وقال صالح بن حسان لجلسائه: أعلمتم أن النابغة كان مخنثاً؟
قالوا: وكيف علمت بذلك؟ قال: بقوله^(٣):

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد
لا والله ما عرف تلك الإشارة إلا مخنث^(٤)!!

وقد سبق في صفة الثور إلى معنى لم يحسن فيه، وأحسن فيه
غيره، قال يذكره^(٥):

مسن وحش وجرة موشى أكارعه

طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد^(٦)

(١) الفضاء: ما انفض وتكسر. القونس: أعلى البيضة من الحديد. الفراش: العظم
الرقيق في الرأس أو غيره. اللسان ٩: ٧١، ٨: ٢١٩.

(٢) السلوقي: الدرع، منسوب إلى «سلوق» قرية باليمن تنسب إليها الدروع والكلاب.
الصفاح: حجارة عراض. نار الحباحب: ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة.
اللسان ١: ٢٨٨ و ١٢: ٢٩، والبلدان ٥: ١٥، اللسان ٣: ٣٤٥.

(٣) الديوان ٣٠. (٤) الموشح ٤٢ - ٤٣، الشعر والشعراء ١ / ١٧٠.

(٥) الديوان ١٨.

(٦) وجرة: موضع بين مكة والبصرة كثير الوحش. موشى أكارعه: هو أبيض وفي
قوائمه نقط سود. المصير: المعى، جمعه مصران، وجمع الجمع مصارين. الفرد، يفتح
ويضمين ويفتح فضم أو فكسر: المنفرد. وفسر الفرد، يفتح فكسر، بأنه السلول من غمده.

أراد بالفرد: أنه مسلول من غمده، وأخذه الطرماح فأحسن، قال
بذكر الثور:

يبدو وتضمرة البلاد كأنه سيف على شرف يسل ويغمد

وكان الأصمعي يستحسن قول الطرماح.

وأفرط في وصف العنق بالطول، فقال يذكر امرأة:

إذا ارتعشت خاف الجبان رعائها ومن يتعلق حيث علق يفرق

والرعات: القرط. وقال غيره فأحسن:

على أن حجليها وإن قلت أوسعا صموتان من ملء وقلة منطق^(١)

ومما سبق إليه ولم ينازعه قوله: ^(٢)

فإنك كالليل الذي هو مدركى وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

ثم قال:

خطاطيف حجن في جبال متينة تمد بها أيد إليك نوازع

قال أبو محمد: رأيت قوماً يستجيدونه. وهو عندي غير جيد في
المعنى ولا التشبيه.

(١) الجبل، بكسر الحاء وفتحها: الخلل. (٢) الديوان ٥٥.

وكان الأصمعى يكثر التعجب من قوله: (١)

وعيرتنى بنو ذبيان خشيته وهل على بأن أخشاك من عار
قال: وما سبق إليه ولم يجاذبه قوله فى أول شعره:
* كلينى لهم يا أميمة ناصب *

قالوا: وقايس فى شعره فأحسن، قال النعمان حين فارقه:
ولكننى كنت امرأ لى جانب من الأرض فيه مستماز ومذهب
ملوك وإخوان إذا ما لقيتهم أحكم فى أموالهم وأقرب
كفعلك فى قوم أراك اصطنعتهم ولم ترهم فى شكر ذلك أذنبوا
يقول: اجعلنى كقوم صاروا إليك وكانوا مع غيرك، فاصطنعتهم
وأحسنست إليهم، ولم ترهم مذنبين إذ فارقوا من كانوا معه، يقول: فأنا
مثلهم، صرت عنك إلى غيرك، فاصطنع إلى، فلا ترانى مذنباً إذ لم
تر أولئك مذنبين.

(١) الديوان ٤٤، الشعر والشعراء ١ / ١٧١.

ومن جيد شعره قوله:

ولست بمستبق أخاً لا تلمه على شعث، أى الرجال المهذب؟

يقول: من لم تصلحه وتقومه من الناس فليست بمستبقيه ولا راغب فيه^(١).

ويستجاد له قوله فى صفة المرأة:

نظرت إليك بحاجة لم تقضها نظر السقيم إلى وجوه العود

يقول: نظرت إليك ولم تقدر أن تكلمك، كما ينظر المريض إلى وجوه عواده، ولا يقدر أن يكلمهم.

ويستجاد له قوله:

تكلفنى أن يفعل الدهر همها وهل وجدت قبلى على الدهر قادراً^(٢)

* * *

ومما أكفأ فيه قوله فى قصيدة مجرورة، أولها:

قالت بنو عامر: خالوا بنى أسد يا بؤس للجهل ضاراً لأقوام

(١) لسان العرب ٢ / ٤٦٦، الشعر والشعراء ١ / ١٧٢.

(٢) الشعر والشعراء ١ / ١٧٣.

وقال فيها:

تبدو كواكبه والشمس طالعة لا النور نور ولا الإظلام إظلام

وقال فى قصيدته التى أولها: * أمن آل مية رائح أو مغتد *

* ويذاك خبرنا الغراب الأسود *

وحكى الأصمعى عن أبى طرفة: كفاك من الشعر أربعة: زهير إذا
رغب، والنابغة إذ رهب، والأعشى إذا طرب، وعنترة إذا كلب، وجريـر
إذا غضب^(١).

وقال يونس بن حبيب: امرؤ القيس إذ ركب^(٢).

وروى أن عمرو بن العلاء كان يقدم النابغة بعد امرئ القيس^(٣).

ويرى الدكتور طه حسين أن المتحول كثير فى ديوان النابغة، لأن
طابع الدرس، والاختيار الواعى يبرز فيه بقوة^(٤).

(١) العمدة ١ / ٧٨.

(٢) معالم النقد الأدبى ص ١٣٢.

(٣) محاضرات الأدباء ص ٤٠، تاريخ الأدب العربى، بروكلمان ١ / ٩٠.

(٤) فى الأدب الجاهلى ص ٣٣٦ وما بعدها، تاريخ الأدب العربى، بروكلمان ١ / ٩٠.

أما الأمثلة التى تؤكد قول الهمذانى على لسان البطل عن النابغة
فهى كثيرة، نذكر منها ما يلى:

قال النابغة يمدح النعمان بن المنذر، ويعتذر إليه مما بلغه فيما وشى
به بنو قريع فى أمر المتجردة:

فتلك تبلغنى النعمان ، إن له

فضلاً على الناس فى الأدنى وفى البعد

ولا أرى فاعلاً فى الناس يشبهه

ولا أحاشى من الأقوام من أحد

إلا سليمان إذ قال الإله له قم فى البرية فاحدها على الفند^(١)

(١) ديوان النابغة الذبياني، ص ٢٠ - ٢٧.

«فتلك تبلغنى النعمان»، أى تلك الناقة التى تشبه هذا الثور فى قوته ونشاطه تبلغنى
النعمان، وهو اسم الملك، «فى الأدنى وفى البعد»، أى فى القريب والبعيد، «إن له فضلاً»:
يُحتمل أن يريد التفضل على القريب والبعيد، ويحتمل أن يريد الرفعة؛ إذ هو يفضل جميع
الناس.

«ولا أرى فاعلاً»، أى لا أرى أحداً يفعل فعلاً كريماً يشبهه فى فعله، «ولا أحاشى»، أى
لا أستثنى فأقول: حاشاً فلاتاً فهو يشبهه فى فعل الخير.

«إلا سليمان» استثناء من القوم المتقى عنهم شبه النعمان، «احدها»، أى امنعها.
«الفند»: الخطأ فى القول والنعل وغير ذلك؛ مما يفند صاحبه عليه يلام. ومعنى قوله: «قم
فى البرية»، أى انظر فى مصالحها واجتهد فى إرشادها.

وخيس الجن؛ إني قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد
فمن أطاعك فأنفعه بطاعته كما أطاعك ، وادله على الرشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد
إلا لمثلك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد
أعطى لفارهة حلوى توابعها من المواهب لا تعطى على نكد
الواهب المائة المعكاء زينها سعدان توضع في أوبارها البلد^(١)

(١) «وخيس الجن؛ إني قد أذنت لهم يبنون»، أي ذلهم، ومنه سمي السجين مخيضاً.
«الصفاح»: حجارة كالصفائح عراض. و«تدمر»: مدينة بالشام، فيها بناء لسليمان بن داود؛
عليهما السلام. و«العمد»: أساطين الرخام، وهي السواري.
و«الرشد»: الرشد؛ يقال: رشد ورشد.
الضمد: الذل والغيب والحقد، وقيل: هو الظلم، وقيل: هو شدة الغضب والحكم، أي لا
تتطوى على حقد وغضب إلا لمن هو مثلك في الناس، أو قريب منك.
حكى عن الأصمعي: «إلا لمثلك»، أي إلا لرجل في مثل حالك أو من فضلك عليك؛
كفضل السابق على المصلي، أي ليس بينك وبينه في الفضل إلا يسير، بمقدار ما بينك وبين
المصلي من الخيل. ومعنى استولى عليه: غلبه. والأمد: الغاية التي يجري إليها. وقال ابن
الأعرابي: زعم النابغة أن الله تبارك وتعالى قال هذا لسليمان، وقال: لا أدري ما معناه، وإنما
أراد حض النعمان على أن يقعد عنه، ولا يضم له حقداً؛ لأنه ليس له مثله ولا قريباً منه.
«أعطى لفارهة» مردود على قوله: «ولا أرى فاعلاً أعطى لفارهة منه»، والفارهة: الناقة
الكريمة، أو العطية الحسنة. و«توابعها»: ما تبعها من المطايا. وقوله: «حلوى توابعها»، أي
متيسرة هينة، لم يدها مظل ولا امتنان. والنكد: الضيق والعسر، ويروى: «لا تعطى على
حسد»، أي لا تعطى ونفسك تتبع العطية وترغب فيها.
«الواهب المائة المعكاء»، يعني أنه يهب المائة من الإبل، والمعكاء: الغلاظ السمان الشداد،
وهو اسم لا يثنى ولا يجمع، وأظنه من عكوة الإزار وهو جفاء بعد شدة. والسعدان: نبت=

والأدم قد خيست فتلاً مرافقها

مشدودةً برحال الحيرة الجدد

والراكضات ذبول الریط فائقها

برد الهواجر كالغزلان بالجرد

والخيل تمزق غرباً فى أعتتها

كالطير تنجو من الشؤبوب ذى البرد

= من أنجب ما ترعاه الإبل، ومنه قيل: «مرعى ولا كالسعدان». وتوضح: موضع بالحمى، وكانت إبل الملوك ترعاه؛ فلذلك ذكره، «فى أويارها اللبد»، يريد أنها إبل سائمة مهملة فى المرعى، لا تستعمل ظهورها؛ فأويارها متلبدة لذلك. واللبد: جمع لبد، التقدير يريد أويارها ذات اللبد.

(١) الأدم من الإبل: البيض، ومن النساء: السم. ومعنى «خيست» ذلت بالركوب، والفتل: التى بانّت مرافقها عن أباطها، فلا يصيبها ضاغط ولا حاز ولا ناكث، وهو جرح يصيب كراكرها، إذا صكتها مرافقها؛ فربما امتنعت من السير لذلك. والحيرة: مدينة النعمان، وإليها تنسب الرجال.

«والراكضات ذبول الریط». يعنى الجوارى يركضن بأرجلهن مآخر الریط؛ لسبوغه عليهن، وتبخترهن فيه. والريط: الملاحف البيض. ومعنى «فائقها» نعم عيشها. وقوله: «برد الهواجر»، أى هى فى الهواجر فى موضع بارد؛ فلا يؤذاها وهج الشمس. ثم شبههن بالغزلان فى طول الأعناق، وضمر الخصور، وحسن العيون. والجرد: أرض جرداء لا شجر فيها ولا نبات؛ وإنما خصه لأن الغزلان إذا كانت به بدت محاسنها للناظر، ولم يحجبها عنه شئ. هو يهب المائة المعكاء، ويهب الراكضات، ويهب الخيل، «تمزق»، أى تسرع فى سيرها. والغرب: الحدة والنشاط. وشبه الخيل به فى سرعتها بطير أصابها مطر شديد فيه برد؛ فهى تنجو وتسرع إلى مواضع تقيها من المطر والبرد. والشؤبوب: دفعة المطر وشدته.

احكمه كحكم فتاة الحى إذ نظرت إلى حمام شراع وارد الشمد
يحفه جانباً نيقٍ وتتبعه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد
قالت: ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا ونصفه فقد
فحسبوه فألقوه كما حسبت تسعاً وتسعين لم تنقص ولم تزد (١)

(١) «احكم»، أى كن حكيماً فى أمرك، مصيباً فى رأى، ولا تقبل بمن سعى إليك
كفتاة الحى إذ أصابت ووضعت الأمر موضعه، ولم يرد الحكم فى القضاء. وحكى عن
الأصمعى أنه سمع قوماً من أهل البادية يحدثون أن بنت الخس كانت قاعدة فى جوار، فمر بها
قطاً واردة فى مضيق من الجبل، فقالت:

يا ليت ذا القطا لنا ومثل نصفه معه

إلى قطاة أهلنا إذا لنا قطاً ميه

(وحكى عن أبى عبيدة) أن هذه زرقاء اليمامة، كانت من بقية طسم وجديس، وكانت
تربى من مسيرة ثلاثة أيام، وكانت لها قطاة، ومر بها سرب من قطا بين جبلين، فقال: ليت هذا
الحمام لنا ونصفه إلى حمامتنا، فيتم لنا مائة، فنظر فإذا هى كما قالت. وأرادت بالحمام القطا،
وكان ستاً وستين؛ يقال: إنها وقعت فى شبكة صائد، فأخذها فعرف عددها.
وذكر أبو حاتم أيضاً أنها زرقاء اليمامة، وأنها قالت:

ليت الحمام ليه إلى حمامتيه

ونصفه قديه تم الحمام ميه

والشمدة: الماء القليل. والشراع: القاصدة إلى الماء.

«يحفه جانباً نيقٍ»، أى يحيط به من جانبيه. والنيق: الجبل. وإذا كان الحمام بين حافتي
الجبل ضاق عليه الموضع، وركب بعضه بعضاً، فكان أشد وأبعد، ولو كان فى سعة كان أهون
عليها فى العدد وأيسر، ثم أخبر أنها أسرع حساباً فى عدده مع شدته وتعذره، فقال:
* وأسرت حسبة فى ذلك العدد *

«وتتبعه مثل الزجاجة»، أى عينها صافية كصفاء الزجاجة. ومعنى قوله: «لم تكحل من
الرمد»، أى لم يصبها رمد فتكحل، ويحتمل أن يريد أنها كحلت بغير رمد؛ لزيئة أو نحوه.
«فقد»، أى حسى. حسبوا القطا وضموا إليه نصفه، فألقوه تسعاً وتسعين، كما حسبت،
«وأسرعت حسبه»، أى أسرع فى حساب القطا مع طيرانه وتراكبه، فكان ذلك كحكم هذه؛
إذ صدقت فى عدده على هذه الحال.

فكملت مائة فيها حمامتها وأسرعت حسبة في ذلك العدد
فلا لعمر الذي مسحت كعبته وما هريق على الأنصاب من جسد
والمؤمن العائذات الطير يمسحها ركبان مكة بين الغيل والسعد
ما قلت من سبيى مما أتيت به إذا فلا رفعت سوطى إلى يدى
إلا مقالة أقوام شقيت بها كانت مقالتهم قرعاً على الكبد
أنبتت أن أبا قابوس أوعدنى ولا قرار على زأر من الأسد^(١)

(١) الحسبة بالكسر هيئة الفعل، وبالفصح المرة الواحدة، «مسحت كعبته»، أى أتيت
بيته وطفقت به، والكعبة: كل بيت مربع؛ وبه سميت الكعبة. والأنصاب: حجارة كانوا يذبحون
عليها العتائر لألهتهم. والجسد: الدم اللازق.

«والمؤمن العائذات»، يعنى الله تبارك وتعالى أمنها أن تهاج أو تصاد فى الحرم
والعائذات: التى عاذت بالحرم. و«الغيل»: الشجر الملتف، وكذلك «السعد». وقال الأصمعى:
لا يقال: الغيل هنا إنما هو عين الغيل والسعد، والغيل: ماء يجرى فى أصل أبى قبيس،
فبغسل فيه القصارون. وقوله: «تمسحها»، أى يمرن عليها، لا يهيجها أحد ولا ينفرها.
«ما قلت من سبيى» جواب قوله: «فلا لعمر الذى مسحت كعبته» وقوله: «فلا رفعت
سوطى إلى يدى»، يقول: إذا فشلت يدى حتى لا أطيق رفع السوط، وإنما خص السوط؛ لأنه
خفيف المحمل مع كثرة احتياجه إليه، لث المطى فى السفر، والنهوض إلى الغارة، ونحو
ذلك.

«إلا مقالة أقوام» المعنى: ما قلت شيئاً مما أتوك به عنى، لكنهم قالوا مقالة شقيت بها
عندك. وقوله: «قرعاً على الكبد»، أى اشتدت على مقالتهم، وهتكت من أجلها، فكانها
قرعت كبدى بذلك.

أبو قابوس هو النعمان بن المنذر. ومعنى «أوعدنى» هددنى وزأر الأسد وزئيره: صوته
ووعيده. يقول: وعيد النعمان لا تستقر معه نفسى ولا تطمئن؛ هيبة له، كما لا تطيق ولا
تسكن على زئير الأسد.

مهلاً فداء لك الأقوام كلهم وما أثمر من مال ومن ولد
لا تقذفتي بركن لا كفاء له وإن تأثفك الأعداء بالرفد
فما الفرات إذا هب الرياح له ترمى غواريه العبرين بالزبد
يمده كل واد مترع لجب فيه ركام من الينبوت والخضد
يظل من خوفه الملاح معتصماً بالخيزرانة بعد الأين والنجد
يوماً بأجود منه سيب نافلة ولا يحول عطاء اليوم دون غد^(١)

(١) «مهلاً فداء لك»، أي تثبت في أمري ولا تعجل علي. «وما أثمر من مال»، أي أكثر وأصلح، «لا تقذفتي بركن لا كفاء له». أي لا ترميني بنفسك؛ فإنه لا مثل لك، وإنما ذكر الركن كناية عن الشدة والقوة؛ لأنه موضعها، «تأثفك»، أي اجتمعوا حولك واحتشوك، مثل الأثافي، متعاونين علي. و«الرفد»: أن يترافد عليه أعداؤه الذين وشوا به، أي يتعاونون عليه؛ فالأعداء على هذا أعداء النابغة. وفيه معنى آخر، وهو أنه يريد: لا ترميني بما لا أطيق منك، ولا يقوم إليه أحد، ولا يكافئك فيه أعداؤك، ولو أحاطوا بك متعاونين عليك.

«فما الفرات»، يقول: ليس هذا النهر في أكمل أحواله بأجود منك. والغوارب: الأعوام، وعبر الوادي: جانباه، سمياً بذلك لأنه يسير إليهما. والزبد: ما يطرحه الوادي، إذا جاش ماؤه، واضطربت أمواجه.

(١) «يمده كل واد»، أي يزيد فيه ويقويه. والمترع: المملوء. واللجب: المصوت؛ لشدة جريه وقوة سيله. والركام: ما تراكم بعضه على بعض، أي تراكب. والينبوت والخضد: نباتان، وقيل: الينبوت شجر الخروب، وقيل: الخضد: كل ما تكسر من الشجر وغيره. «يظل من خوفه»، أي من خوف الفرات؛ لاضطراب أمواجه، وشدة هوله. والمعتصم: المستمسك. والخيزرانة ها هنا: سكان السفينة، وقيل: هي المردى، وهو أيضاً من أعواد المركب. وكل خشبة ناعمة لينة فهي خيزرانة. والأين: الفترة والإعياء. والنجد: العرق والكرب. «يوماً بأجود منه» متصل بقوله: «فما الفرات». والسيب: العطاء. والنافلة: الفضل، وكل شئ ليس بواجب وتطوع به فهو نافلة؛ وإنما خص النافلة ليبالغ في المدح؛ لأنه إذا أكثر =

هذا الشناء فإن تسمع به حسناً

فلم أعرض - أبيت اللعن - بالصفد

ها إن ذي عذرة إلا تكن نفعت

فإن صاحبها مشارك الذكر^(١)

وقال النابغة يمدح النعمان ويعتذر إليه، ويهجو:

وقد حال هم دون ذلك شاغل مكان الشغاف تبتغيه الأصابع

وعيد أبي قابوس في غير كنهه أتاني ودوني راكس فالضواجع^(١)

= من غير الواجب فهو أجدر أن يكثر من الواجب. «دون غد»، أي إذا أعطاك اليوم لم يمنع ذلك من إعطائك غداً عطية أخرى. والتقدير: لا يحول عطاؤه في اليوم دون عطائه في غد. «فإن تسمع به حسناً»، أي تسمع بسماعه إياك قولاً حسناً، «أبيت اللعن»، هي تحية كانوا يحيون بها الملوك، ومعناه: أبيت أن تأتي من الأمور ما تدم به، وتلعن عليه. والصفد: العطاء جزاءً، ومثله الشك، فعله: أصفدته إصفاداً. والصفد الاسم، ويقال: صفده يصفده، إذا أوثقه. وقوله: «فلم أعرض»، أي لم أمدحك، تعرضاً لمعرفتك، لكن اعتذاراً إليك، وإقراراً بفضلك. ها إن ذي عذرة: أي هذه معذرة إليك، وتبرؤ مما وشيت به عندك.

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ٣٧ - ٣٩.

الشغاف: حجاب القلب ووعاؤه الذي يكون فيه، وهو أيضاً داء يأخذ تحت شراسيف الضلوع، في الشق الأيمن. يقول: لقد حال دون ما أنا عليه من الصباية واليكاء على الديار هم داخل فؤادي ولايسه، وحل منه محل الشغاف الذي هو حجابيه، أو حل مني مكان هذا الداء، «تبتغيه الأصابع» أي أصابع الأطباء المعالجين.

«وعيد أبي قابوس» بين به سبب الهم الذي داخله، «في غير كنهه»، أي جاءني وعيده»

فبت كأنى ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم ناقع
يسهد من ليل التمام سليمها لخلي النساء في يديه قعاقع
تناذرها الراقون من سوء سمها تطلقه طوراً وطوراً تراجع
أتاني - أبيت اللعن - أنك لمتني

وتلك التي تستك منها المسامع^(١)

= بي غير قدر الوعيد، وفي غير حقيقته، أي لم أكن يلقى ما يغضب علي فيه، ويوعدني من أجله. و«راكس»: واد. و«الضواجع»: جمع ضاجعة، وهي منحنى الوادي ومنعطفه. يقول: أتاني وعيده على غير ذنب أدنيتيه، فبت كالملدوغ خوفاً منه ورهبة، على أني تاء عنه، وبينني وبينهم راكس والضواجع، وكأنها نائية عن بلاد النعمان.

(١) «ساورتني»، أي واثبتني - والضئيلة: حبة دقيقة قد أتت عليها سنون كثيرة، فقل لحمها، واشتد سمها، والعرب تقول: رماء الله بأفعى جارية، أي راجعة من غلظ إلى دقة، والرقش: التي فيها نقط، سواد وبياض، «ناقع» ثابت.

«يسهد من ليل التمام»، أي يمنع النوم، وليل التمام: أطول ليالي الشتاء، وليل التمام أيضاً: الذي يطول على من قامه، وإن قصر. والسليم: الملدوغ؛ سمى بذلك على التفاؤل له بالسلامة والنجاة. وقوله: «لخلي النساء في يديه قعاقع» قال أبو عمرو: كان يفعل به ذلك لئلا ينام قيدب السم فيه. وقال الصقيل الأعرابي: إذا لدغ الرجل علقنا عليه الحلى سبعة أيام لتنفّر عنه الحية وكان الحلى في الزمان الأول له جلاجل، يسمع صوته من المرأة إذا مرت به في الطريق، «من ليل التمام» كما يقال: صليت من الليل في الليل. وقيل: إنما سمس سليماً؛ لأنه أسلم لما به، والقعاقع: الحركة والصوت.

«تناذرها الراقون من سوء سمها»، أنذر نذر بعضهم بعضاً؛ لأنها لا تحجب راقياً، لنكارتها وشدتها، «تطلّقه طوراً»، أي تخفف عنه مرة، ومرة تشتد عليه، وكذلك حال اللديخ، اللسان ١٢: ١٠١.

«وتلك التي تستك منها المسامع»، أي تلك الملامة التي أتتني عنك أصمت مسامعي؛ كراهة لسماعها. ومعنى «تستك»، أي تشتد وتضيق، فلا تسمع، وواحد مسمع، وهو الأذن. والسكك: ضيق الصماخ.

مقالة أن قد قلت سوف أناله وذلك من تلقاء مثلك رائع
لعمري وما عمري على بهين لقد نطقت بطلاً على الأقارع
أقارع عوف لا أحاول غيرها وجوه قرود تبتغي من تجادع
أتاك امرؤ مستبطن لي بغضة له من عدو مثل ذلك شافع
أتاك بقول هلهل النسج كاذب ولم يأت بالحق الذي هو ناصع
أتاك بقول لم أكن لأقوله ولو كبلت في ساعدي الجوامع^(١)

(١) «مقالة» تبين لقوله: «إنك لتني»، و«ذلك» إشارة إلى معنى الجملة؛ كأنه قال: وذلك القول رائع من تلقاء مثلك، أي يفزع من قبلك، ولم يرد أنه يروج من مثله خاصة، وإنما أراد أنه رائع منه، وبمن هو مثله من أهل السلطان والقوة.

«لعمري»، قال بعضهم: لديني، والمعروف أن معناه البقاء، وإنما حلف بها لأنها يمين كشرت في الاستعمال؛ فحلف بها، ولم يكن قصده أن يقسم ببقائه. والبطل والباطل بمعنى واحد. وأراد بالأقارع بني قريع بن عوف، وهم من بني تميم، وكانوا قد وشوا به إلى النعمان، وذكروا أنه يصف في شعره المتجردة.

«لا أحاول غيرها» أي لا أريد هجاء غيرها. والمحاولة المعالجة والمزاولة. ومعنى: «تجادع» تشاتم، وإنما استعاره من جدع الأنف، ونصب: «وجوه قرود» على الذم، ويجوز رفعها على القطع.

«مستبطن لي بغضة» أي مضمهرها ساتر، «مثل ذلك»، أي مثل ذلك الرجل المستبطن. والشافع: المعين، وأصله من الشافع، وهو الثاني؛ وإنما يريد أن هذا الرجل الذي وشي به من بني قريع له من أعداء مثله ثان معين له على النابغة.

«هلهل النسج»، أي أناك بقول ضعيف باطل، لم أكن لأقوله، بمنزلة الثوب المهلهل، وهو الذي نسج وخفف ولم يحكم، «كاذب»، أي مكذوب فيه. والناصع: الواضح البين، وأصل الناصع: الخالص البياض.

«ولو كبلت في ساعدي الجوامع»، أي لو كنت مجنوناً حتى أشد بالحديد ما قلت ما بلفك عني، «كبلت» أي جمعت وشدت؛ أخذه من الكبل وهو القيد. والجوامع الأغلال، والواحدة جامعة.

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأثمن ذو إمة وهو طائع
بمصطحات من لصف وثيرة يزرن إلا لا سيرهن التدافع
سما ما تباري الريح خواصا عيونها لهن رذايا بالطريق ودائع
عليهن شعث عامدون لحجهم فهن كأطراف الحنى خواضع
لكلفتني ذنب امرئ وتركته كذي العريكوي غيره وهو راتع^(١)

(١) الريبة: الشك. والأمة والإمة: الدين والطريقة المستقيمة. يقول: حلفت فلم أترك
لنفسك شكاً في صدقي، وحلفت وأنا لك طائع ذو دين واستقامة، فتخرجت من أن أكذب في
يمينني فأكون أثماً. وقيل: المعنى هل آثم وأنا أدين لك في طاعتك - يعني الملك.
«بمصطحات»، يعني الإبل؛ وإنما أقسم بها لأنها تصطحب في السير إلى الحج، فعظمها
لذلك وأقسم بها. ولصف وثيرة: موضعان في بلاد بني قليم، والإل: جبل على يمين الحاج، إذا
وقفت بعرفة، «سيرهن التدافع»، أي هن معيبات فيتحاملن تحاملاً من الجهد والإعاء.
ويحتمل أن يريد أنهن يتراجعن في السير ويتدافعن لسرعتهم وشدة سيرهن.
السما: طيور تشبه السماني، شديدة الطيران، شبه الإبل بها في سرعتها، والتفسير:
يزرن إلا لا مسرعات مثل السما في السرعة، تباري الريح، أي تعارضها لسرعتها، «زوصا
عيونها» أي غائرة العين من الجهد والعناء، والمعنى أنها تباري الريح في حال جهدها وغوور
عينيتها، فكيف بها قبل ذلك؛ ويقال: إن غثور عين الناقة من صفات الكرم، والرذايا:
الساقطة المعيبة التي لا تنبعث، فأخذت رجالها عنها وتركت. «ودائع»: قد استودعت
الطريق، أي تركت فيه لإعيائها.
«عليهن شعث»، أي متغيرون من السفر، «كأطراف الحنى»، الحنى: القسى، يريد أنها
ضامرة دقيقة من شدة السير والجهد معوجة، والحنى: القسى، واحدها حنية؛ سميت بذلك
لأنها معطفوفة الطرفين، فلذلك أوقع النابغة التشبيه بالأطراف مع أنها أرق ما في القسى.
وقوله: «خواضع»، أي خواضع ذليلة من الجهد.
«لكلفتني» جواب لقوله: «حلفت». والعري: داء يصيب الإبل، وقيل: هو قرح بشفر
البعير، فإذا أرادوا أن يعالجوه كروا بعيراً آخر صحيحاً؛ فيبرأ ذلك البعير.

فإن كنت لا ذو الضغن عني مكذب ولا حلقي على البراءة نافع
ولا أنا مأمون بشئ أقوله وأنت بأمر لا محالة واقع
فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المتأى عنك واسع
خطاطيف حجن في حبال متينة تمد بها أيد إليك نوازع
أتوعد عبداً لم يخنك أمانة وتترك عبداً ظالماً وهو ضالع!
وأنت ربيع ينعش الناس سيبه وسيف أعيرته المنية قاطع^(١)

(١) «فإن كنت لا ذو الضغن عني مكذب»، الضغن: الحقد والعدواة، «ولا أنا مأمون» متعلق بقوله: «فإن كنت لا ذو الضغن»، وليس بمستأنف.

«فإنك كالليل»، أي أنا في قبضتك حيث كنت وإن بعدت عنك، فأنت كذلك كالليل الذي يدركني ويشملي بظلامه أينما وجهت؛ وإنا خص الليل لأنه يلبس كل شيء، وكل شيء يسكن فيه، والنهار أيضاً يشمل كل شيء، ولكن بعض الناس ينتشر فيه ولا يسكن كسكونه في الليل. والمتأى: الموضع الذي يتناهى فيه، أي يتباعد. والنأى: البعد.

الخطاطيف: جمع خطاف البئر، وهو مثل القعو الذي فيه البكرة، إلا أنه من حديد والقعو من خشب. والحجن: جمع أحجن وهو المعوج. والمتينة: القوية، «نوازع»، أي جواذب، يقول: ضاقت الدنيا علي فكأنني في بئر، فأنا أجز بالخطاطيف إليك وأجذب، وهذا مثل، ضربه لقوة سلطانه، وإدراكه لطلوبه؛ فيقول: كما أن ماء البئر ممكن لمن رامه أن يصل دلوا في حبال متينة على خطاطيف حجن، ثم جذبها إلى نفسه، كذلك يمكنك إدراكي وإن بعدت عنك؛ لقوة سلطانك وتمكن قدرتك من مطلوك.

«أتوعد عبداً» من الوعيد وهو التهديد، «ضالع»، أي مائل عن الحق جانر.
«وأنت ربيع»، أي أنت بمنزلة الربيع، وهو الغيث. ومعنى «ينعش» يجبر ويرفع، ومنه سمي النعش.

والسبب: العطا. يقول: أنت سيب لأوليائك تنعشهم وترفعهم، وسيف على أعدائك تهلكهم وتستأصلهم، «أعيرته المنية»، يريد أنه يهلك أعداءه، فكأنه سيف استعارته المنية، تهلك به من بلغ أجله.

أبى الله إلا عدله ووفاءه فلا النكر معروف ولا العرف ضائع
وتسقى إذا ما شئت غير مصرد بزوراء في حافاتهما المسك كانع^(١)

وقال النابغة يعتذر للنعمان:

رأيتك ترعاني بعين بصيرة وتبعث حراسا علي وناظرا
وذلك من قول أتك أقوله ومن دس أعدائي إليك المأبرا^(٢)

(١) «أبى الله إلا عدله ووفاءه»، يحتمل أن تكون الهاء من قوله: «عدله ووفاءه» عائدة على اسم الله عز وجل، أي أبى الله إلا أن يعدل بين عباده، ويقي لهم بما وعدهم به، وأوعدهم به لمن الخير والشر وهما الثواب والعقاب، ويحتمل أن تكون الهاء عائدة على النعمان، أي أبى الله إلا أن يعدل ويقي أي قد جعله كذلك، وخلفه للعدل والوفاء، «فلا النكر معروف»، أي ليس النكر كالمعروف في الجزاء والحكم عند الله عز وجل، وعند النعمان، «ولا العرف ضائع»، أي لا يضيع جزاؤه. والنكر: المنكر، والعرف: المعروف.

«وتسقى إذا ما شئت غير مصرد»، هو في مذهب الدعاء وليس بخير، «غير مصرد»، أي غير مقلل، وقيل: غير ممنوع ولا مقطوع عليك. والتصريد: شرب دون الري. ويروي: «غير مصرد»، أي مقلل للشرب ولا قاطع له، والتقدير: وتسقى شراباً غير مصرد، وتسقى وأنت غير مقلل للشرب. والزوراء: كأس مستطيلة من فضة. وقيل: هي كأس مزورة على الشرب، أي مائلة عليهم. وقيل: هي دار بالخيرة للنعمان. «وحافاتهما»: نواحيها. والكانع: الداني بعضه من بعض، ويقال: أعوذ بالله من الكنوع، وهو الخضوع والدنو من المذلة.

(٢) ديوان النابغة الذبياني ص ٦٨ - ٧١.

ترعاني: تحفظني وتحوطني، لاهتمامك بأمرى، وحرصك على عقابي. «بعين بصيرة»، أي حديدة النظر إلى. والحراس: جمع حارس، وهو الرقيب.
«وذلك من قول أتك أنني أقوله»، ولم يجب أنه قاله، ولو أوجب ذلك لم يكن لاعتذاره معنى، وإنما يريد الثمائم. والمأبر: واحدتها مأبرة ومؤبرة، أي ثيمة.

فأليت لا آتيك إن جئت مجرمًا ولا أبتغي جارا سواك مجاورا
فأهلى فداء لامرئ إن أتيته تقبل معروفى وسد المفاقرا
سأكرم كلبي أن يربيك نبهه وإن كنت أرعى مسحلان فحامرا
وحلت بيوتي في يفاع بمنع تخال به راعي الحمولة طائرا
تزل الوعول العصم عن قذفاته وتضحى ذراه بالسحاب كوافرا^(١)

(١) «فأليت»، أي أقسمت لا آتيك وأنا مجرم حتى أعتبك وأرضيك، ويرى: «مجرما»
بالحاء المهملة، أي لا آتيك ومعى حرمة من أنى أنا وائق بك. وقيل: معناه لا آتيك في شهور
الحرم من خوفك، ولكنى آتيك في شهور الحل وأنا آمن بأمانك، ويكون قوله أيضاً: «لا آتيك
إن جئت مجرمًا»، أي لا أجرم أصلا ولم أذنب، فإن جئتك فلا آتيك مجرمًا.
«تقبل معروفى» أي قبل مدحى واعتذارى، والمفاقر من الفقر، والواحد مفقر على
القياس، وقيل: هو جمع لا واحد له.

«سأكرم كلبي أن يربيك»، أي سأكف عنك لسانى وهجوى، وضرب الكلب مثلاً، وقوله:
«وإن كنت أرعى مسحلان»، أي سأكف أذاي عنك وإن كنت مقيماً بهذا الموضع الممتنع. قال
الأصمعي: وكان أهل هذا الموضع ليس للسلطان عليهم سبيل، وكان يقال لهم: لقاح،
ومسحلان وحامر: واديان.

«وحلت بيوتي»، أي وإن حلت بيوتي في أمتع المواضع وأبعدا عنك بحيث أنا آمن،
فأنا لا أهجوك ولا أشق عليك. واليفاع: ما أشرف من الأرض وارتفع، والحمولة: الإبل التي
يحمل عليها. وقوله: «طائرا»، أي من طوله وإشراقه يخال به الإنسان طائرا. يقول: ولو
صرت في الموضع الشامخ الذي ترعاه الإبل فيراه الناظر من أسفله، فيحسبه طائرا من ارتفاعه
وإشراقه. والشئ إذا كان فوق شرف رفيع رأيتته وأنت دونه صغيراً، وإذا كان في مستو من
الأرض رأيتته عظيماً.

«تزل الوعول العصم عن قذفاته»، يعني أنه طويل في السماء ومشرف، فالوعول لا
تثبت في نواحيه. والعصم: التي في أيديها وأرجلها بياض مع سواد، وقيل: سميت عصماً
لأنها اعتصمت بالجبال وأمتنعت فيها. وقذفاته: نواحيه. وذراه: أعاليه. وكوافر: ملبسة
مغطاة قد بلغها السحاب وتكلل عليها؛ وإنما يصف أنها مشرفة، فكأنها كفرت أنفسها
بالسحاب، وتكلل عليها؛ لاشتماله عليها.

حذاراً على ألا تنال مقادتي ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا
أقول وإن شطت بي الدار عنكم إذا ما لقينا من معد مسافرا
ألكني إلى النعمان حيث لقيته فأهدى له الله الغيوث البواكرا
وصبحه فلج ولا زال كعبه

على كل من عادى من الناس ظاهرا
ورب عليه الله أحسن صنعه وكان له على البرية ناصرا
فألقيته يوماً يبير عدوه وبحر عطاء يستخف المعابرا^(١)

(١) «حذاراً»، أي لو حلت في هذه المواضع المتنعة من أجل المحاذرة على أن تنال مقادتي وطاعتي. ويقال: أعطى فلان المقادة، إذا ألقى بيده واستسلم.
«شطت»، أي بعدت ونأت، «إذا ما لقينا من معد مسافراً»، أي مسافراً إلى بلادي، يعني أنه يحمل من لقي من معد مسافراً، أي مسافراً إلى بلادك شكر النعمان والدعاء له على بعد داره منه وتثأثيه عنه.
«ألكني»، أي بلغ عني، واشتقاقه من الألوكة والمالكة، وهي الرسالة، «صبحه فلج»، أي أتاه صباحاً، والفلج: الظفر والغلبة على العدو. وكعبه: جده وذكره وشرفه. «ورب عليه الله»، أي أتم وأصلح.
«بير عدوه»، أي يهلكه. والمعابر: السفن التي يعبر فيها، «وبحر عطاء»، أي جواد كثير العطاء، «يستخف المعابرا»، أي يرمي بها بقوته واضطراب أمواجه.

وقال أيضاً يمدح النعمان ويعتذر إليه:

أتاني - أبيت اللعن - أنك لمتني وتلك التي أهتم منها وأنصب
فبت كأن العائدات فرشنني هراساً به يعلى فراشي ويقشب
حلفت فلم اترك لنفسك ربة وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة لمبلغك الواشي أغش وأكذب
ولكنني كنت امراً لي جانب من الأرض فيه مستتراد ومذهب^(١)

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ٧٢ - ٧٤.

«أبيت اللعن»، أي أبيت أن تأتي أمراً تلعن عليه، «وتلك التي أهتم منها وأنصب»، أي تلك العلامة جعلتني ذا هم وذا نصب، أي عناء ومشقة.
«فبت كأن العائدات»، أي كأنني لما اتصل بي عنك مضطجع على فراش قد عولى بالشوك؛ فأنا أتململ عليه وأتقلب. والهراس: الشوك، واحدها هراسة. ومعنى «يقشب» يجدد ويتعاهد بالشوك، ويكون معناه أيضاً يخالط، وإنما ذكر العائدات، وهن الزائرات في المرض؛ لأنه جعل نفسه كالسقيم لشدة ما به من قبل النعمان.
الربة: الشك. وقوله: «وراء الله»، أي ليس بعد اليمين بالله - عز وجل - للمرء مذهب، فينبغي لك أن تصدقه وتقبل اعتذاره.
«لئن كنت قد بلغت عني خيانة»، أي لئن بلغت عني أنني أختان ودك وأكفر نعمتك؛ فالذي بلغك ذلك، ووشى به إليك أغش وأكذب، أي ذو غش وذو كذب. والواشي: النمام الذي يزين كذبه عندك.
«لي جانب من الأرض»، أي متسع وتمكن؛ وإنما يصف نهوضه إلى الغسانيين وتمكنه فيهم. والمستتراد: الإقبال والإدبار. والمذهب: موضع الذهاب وإنما يصف بهذا سعة حاله وتمكنها.

ملوك وإخوان إذا ما أتيتهم أحكم في أموالهم وأقرب
كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا
فلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطلي به القار أجرب
ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
بأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منها كوكب
ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث، أي الرجال المهذب؟
فإن أك مظلوماً فعبد ظلمته وإن تك ذا عتبي فمثلك يعتب^(١)

(١) «ملوك وإخوان»، يعني الغسانيين، وكان قد حل بهم حين فر من النعمان فأكرموا وقربوا منزلته.
«كفعلك في قوم»، أي فعل بي الغسانيون ما أوجب لهم مدحي وثنائي، كما فعلت أنت في قوم اصطنعتهم إلى، كما لا ترى من اصطنعتهم فيشكر مذنباً في شكره لك.
«فلا تتركني بالوعيد»، أي لا تدعني كأنني بعير أجرب قد طلى بالقار، وهو القطران، يتحاماه الناس ويطرده عن إبلهم، لئلا يعديها بجريه، وإنما يريد أنه إن لم يعف عنه تحامته العرب، ولم تجرهم خوفاً من النعمان، فكان كالبعير الجرب الذي يتحاماه الناس، «كأنني إلى الناس»، أي كأنني في الناس، «مطلي به القار»، أي مطلي أجرب فيه القار أو عليه القار.
السورة: المنزلة الرفيعة. وقوله: «يتذبذب»، أي يتعلق ويضطرب، وهذا مثل؛ وإنما يريد أن منازل الملوك دون منزلته، فكانهم متعلقون دونه.
«فإنك شمس والملوك كواكب»، يعني أن منزلته من الملوك كمنزلة الشمس من الكواكب، فإذا ذكر ونشرت مآثره لم يذكر غيره معه؛ كما أن الشمس إذا طلعت لم ير معها كوكب.
«لا تلمه»، أي لا تصلح من أمره وتجمعه. والشعث: الفساد والتفريق. والمهذب: المنقى من العيوب المخلص، يقول للنعمان: إن لم تصبر للأخ والصديق على فساد يكون منه لم تبق لنفسك أخاً؛ إذ لا يخلو الإنسان من أن تكون فيه خصلة غير مرضية وضرب قوله: «أي الرجال المهذب؟» مثلاً لذلك، وإنما ألزمه أن يعفو عنه ويغفر له ما وشي به عنده، «وإن تك ذا عتبي»، أي ذا رضاء ورجوع إلى ما أحب من عفوك فمثلك يعتب، أي أنت ومن كان مثلك أخذ بذلك لما فيه من الكرم، «فعبد ظلمته»، أي إن ظلمتني وأنا محتمل لذلك، كما يحتمل العبد ظلم سيده.

وقال النابغة أيضاً في الاعتذار:

فداء لا مرئ سارت إليه	بعذرة ربها عمي وخالي
ومن يغرف من النعمان سجلا	فليس كمن يتيه في الضلال
فإن كنت امرأ قد سؤت ظنا	بعبدك والخطوب إلى تبال
فأرسل في بني ذبيان فاسأل	ولا تعجل إلى عن السؤال
فلا العمر الذي أثنى عليه	وما رفع الحجيج إلى إلال
لما أغفلت شكرك فانتصحتني	وكيف ومن عطائك جل مالي!
ولو كفى اليمين بغتاك خوناً	لأفردت اليمين من الشمال
ولكن لا تخان الدهر عندي	وعند الله تجزية الرجال ^(١)

(١) ديوان النابغة الذبياني، ص ١٥١.

«فداء لا مرئ»: يعني النعمان. والعذرة: المعذرة، ربها: يعني نفسه، ويحتمل أن يعني النعمان، السجل: الدلو المملوء، ضربها مثلاً للعطاء، يقول: من أعطاه النعمان عطية فقد حظى وفاز، وليس كمن ضل في طلبه وتحير، بعبدك: يعني نفسه. ومعنى قوله: والخطوب إلى تبال، أي إلى ابتلاء واختبار؛ يريد تبلو وتختبر ما بلغت عني فتعلم حقه من باطله، إن سؤت بي ظناً فاسأل بني ذبيان عن ذلك لتبلو الأمر، وتقف على حقيقته، ولا تعجل إلى بالموجدة والسخط عن أن تسأل وتختبر، فلا عمر الذي؛ أراد فلا يعمر الذي يشئ عليه وهو الله عز وجل. والعمر: البقاء. وقوله: «وما رفع الحجيج»؛ يعني الإبل، حلف بها تعظيماً لها؛ لأنها تعين على الحج، وتقرب منه. والحجيج: جمع الحاج. والإل: جيل عن يمين الإمام بعرفة، لأفردت اليمين من الشمال؛ أي لقطعت يميني فأفردتها عن أختها. «وعند الله تجزية الرجال»؛ أراد أن يقول: تجزية الناس فلم يمكنه.

وقال النابغة في الاعتذار: (١)

فكنت وما حاذرت من شر مدلج كأن لم أقل شيئاً ولم أتكلم
فمهلاً أبيت اللعن لا تأخذني بقل امرئ يوماً من الحلم مصرم
ولا تنسين فينا نصيبك واذكرن تصلينا في العارض المتضرم
فلا العبد بالعبد الذي ليس معتباً ولا أنت بالرب الألد المصمم

(١) ديوان النابغة الذبياني، ص ١٨٦.

وقال النابغة في الاعتذار والمدح: (١)

تأويني بيعملة اللواتي	منعن النوم إذ هدأت عيون
كأن الهم ليس يريد غيري	ولو أمسى بها شتى هدون
وقال الشامتون هوى زياد	لكل منية سبب مبین
حلفت بما تساق له الهدايا	على التأوب يعصمها الدرين
ورب الراقصات بكل سهب	بشعث القوم موعدها الحجون
لو اختانتك مني ذات خمس	يميني لم تصاحبني اليمين
أتاني أن داهية نأدى	على شحط أتاك بها ميون
فبت كأنني حرج لعين	نفاه الناس أودنف طعين

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ٢٢١ - ٢٢٣.

زياد: اسم النابغة، هوى: هلك، مبین: ظاهر.

بما تساق له، يعني البيت. ويروي: «بمن» يعني الله سبحانه وتعالى وقد تكون ما بمعنى من. يعصمها: يسكها ويشدها ويقويها. والدرين: يس البهمى.

السهب: الراسع من الأرض، وجمعه سهوب، والراقصات هي الإبل السراع، يعني التي يحج عليها، يقسم بها، ثم يخاطب النعمان بن المنذر بقوله لو اختانتك.

نأدى: شديدة. وميون: كذوب، والمين: الكذب.

وغرب يعني حدة ونشاطاً، حطوط: سريعة. ولجون: حرون، وهي البطيئة، واللجان في الإبل كالحران في الخيل.

أقلب أظهيراً أمري بطونا وهل تغني من الخوف الفنون
أغيرك معقلاً أبغي وحصناً فأعيتني المعازل والحصون
فجئتكَ عارياً خلقاً ثيابي على خوف تظن بي الظنون
يخب بي الكميّة قليل وفر أذكر بالأمر واستعين
فألفيت الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون
فداء ما تقل النعل مني وما أحوى ولورغم الظنون
فما وخذت بمثلِكَ ذات غرب حطوط في الزمام ولا لجون
أبر بذمة وأعز جاراً إذا جعلت عرى ملك تلين
بعثت على البرية خير راع فأنت إمامها والناس دين
نكون رعية مادمت حياً ونهباً بعد موتك ما تكون
وأنت الغيث ينفع ما يليه وأنت السم خالطه البيرون^(١)

(١) قال الأصمعي: الناس دين، أي الناس كلهم طائعون لك والدين ها هنا: الطاعة بالملك.

البيرون: هو سم قاتل، أو مزمّن لا محالة، يتقع: أي يبل، الغيث: المطر.

وقال النابغة في الهجاء:

وكان يزيد بن سنان بن أبي حارثة يحش المحاش، على بني يربوع
بن غيظ بن مرة رهط النابغة، فتحالفوا على بني يربوع على النار،
فسموا المحاش؛ لتحالفهم على النار، ثم أخرجهم يزيد إلى بني عذرة
بن سعد، وكلهم يقول: إن النابغة وأهل بيته من عذرة، ثم من ضبة،
فقال يزيد في ذلك يعير النابغة، ويعرض به:

إني امرؤ من صلب قيس ماجد لا مدع نسباً ولا مستنكر
وهي أبيات، فرد عليه النابغة فقال:

جمع محاشك يا يزيد فإنني أعددت يربوعاً لكم وقيما
ولحقت بالنسب الذي عيرتني وتركت أصلك يا يزيد ذميما
عيرتني نسب الكرام وإنما فخر المفاخر أن يعد كريما
حدثت على بطون ضنة كلها إن ظالماً فيهم وإن مظلوما
لولا بني عوف بن بهثة أصبحت بالنعف أم بني أبيك عقيما^(١)

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ١٠٢ - ١٠٣.

قال الأصمعي: المحاش أربعة أحياد من فزارة ومرة، يجتمعون فيقال لهم: المحاش. وقال
ابن الأعرابي: المحاش: الذين لا خير فيهم ولا غناء عندهم، «ولحقت بالنسب الذي عيرتني»،
يريد النسب الذي نفاه إليه، وعيره به، وذلك أن ابنة النابغة كانت تحت يزيد فطلقها، فقيل
له: لم طلقتها؟ فقال: لأنه رجل من عذرة، فنفى النابغة انتسابه إليهم، وزعم أنه نسب يزيد،
إلا أنه تركه، وانتفى منه، وهو معنى قوله: «وتركت أصلك يا يزيد ذميما»، أي مذموما.
وقوله «حدثت علي»، أي عطفت وضنة؛ من قضاة، ثم من عذرة، «لولا بنو عوف»، يقول:
لولا هؤلاء لقتلت أنت وإخوتك، فتبقى أمك كأنها عقيم لم تلد قط. والنعف: أسفل الجبل.

وقال النابغة في الهجاء:

[قال أبو عبيدة]: لم أسمع كتعنيف النابغة في هذه القصيدة، وقد خرج من كلامه في الحسن والاستواء حتى كأنه يصف بعيراً، أو يذكر دياراً.

وكان سبب هذه القصيدة أن زرعة بن عمرو بن خويلد لقيه بعكاظ، فأشار إليه أن يشير على قومه بأكل بني أسد وترك حلقهم، فأبى النابغة الغدر، وبلغه أن زرعة يتوعده، فقال يهجو:

نبئت زرعة والسفاهة كاسمها يهدي إلى غرائب الأشعار
فحلقت يا زرع بن عمرو إنني ما يشق على العدو ضراري
أرأيت يوم عكاظ حين لقيتني تحت العجاج فما شقت غباري
إنا اقتسمنا خطيتنا بيننا فحملت برة واحتملت فجار
فلتأتينك قصائد وليدفعن جيشاً إليك قوادم الأكوار^(١)

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ٥٤ - ٥٥.

«والسفاهة كاسمها»، أي معناها قبيح كقبح اسمها، «يهدي إلى غرائب الأشعار»، يعني أنه غير مشهور بالشعر ولا منسوب إليه، فالشعر غريب من قبله؛ إذ ليس من أهله.
«ما يشق على العدو ضراري»، أي رعبا يشق. والضرار: الدنو من الشيء واللصوق به. =

وقال النابغة في الهجاء:

فما أنا في سهم ولا نصر مالك ومولاهم عبد بن سعد بطامع
إذا نزلوا ذا ضرغد فعتائدا يغنيهم فيها نقيق الضفادع
قعودا لدى أبياتهم يشمدونها رمى الله في تلك الأنوف الكوانع^(١)

= يقول: أنا قوي عزيز؛ فالعدو يكره مجاورتي له. وإنما يفخر بهذا على زرعة بن عمرو.
«فما شقت غباري»، أي سبقتك في المفاخرة، ويعد ما بيني وبينك فلم تلحقني، ولا شقت غباري، وأصل هذا المثل في القوس الجواد الذي يسبق الخيل، وينسلخ منها، فلا يلحق ولا يشق غباره. وعكاظ: أحد مواسم العرب. والعجاج: الغبار. وقال أبو عبيدة: معناه لم تشق غباري. بحملتك علي، ولكنك جئت عني، ولم تدخل في غباري.
«إنا اقتسمنا خطتين»، هذا مثل، أي كانت لي ولك خطتان فأخذت أنا البرة، وأخذت أنت الفاجرة. والخطبة: القصة والخصلة. وإنما قال هذا لأن زرعة دعاه إلى الغدر ببني أسد ونقض حلفهم، فأبى ذلك، ولزم الوفاء والبر، ونسب زرعة إلى الغدر والفجور.
«فلتأتينك قصائد»، توعدده بالهجو والغزو إليه، «وليدفعن جيشاً إليك قوادم الأكوار»، يريد أنهم يركبون الإبل، ويقودون الخيل، فيقول: هؤلاء الرجال الراكبون على قوادم الأكوار هم الذين يدفعون الجيش وينهضونه نحوكم. وواحد القوادم قادم، وهو من الرجل بمنزلة القربوس من السرج. والأكوار: الرجال.

(١) سهم ومالك: حيان من غطفان. و«مولاهم» يريد ابن عمهم، وهو عبد بن سعد ابن ذبيان. وسهم ومالك هما ابنا مرة. يقول: لا أطمع في خير من قبل هؤلاء، ولا أرجو نصرهم، فكيف أترك حلف بني أسد وأحالفهم
«إذا نزلوا ذا ضرغد»، أي لا أطمع في نصر هؤلاء إذا نزلوا هذا الموضع. وضرغد: حرة وعتائدا: عقبة، «يغنيهم فيها نقيق الضفادع»، يعني أنهم تازلون بالحرار لذلك قتلهم؛ فالضفادع تغنيهم فيها، ومياه الحرة فيها الضفادع، النقيق: الصوت.
«قعودا لدى أبياتهم»، أي لا يكادون يفارقون البيوت ولا يخرجون لغارة، لضعفهم =

قال عامر بن الطفيل للنابعة في قصة:

ألا من مبلغ عني زياداً غداة القاع، إذ أزف الضراب

وهي أبيات، فلما بلغ هذا الشعر شعراء بني ذبيان أردوا هجاءه،
واثتمروا له، فقال لهم النابعة: إن عامرا له نجدة وشعر، ولسنا بقادرين
على الانتصار منه، ولكن دعوني أجبه، وأصغر إليه نفسه، وأفضل
إليه أباه وعمه، فإنه يرى أنه أفضل منهما، وأعير: بالجهل، فقال:

فإن يك عامر قد قال جهلاً فإن مظنة الجهل الشباب

فكن كأبيك، أو كأبي براء توافقك الحكومة والصواب^(١)

=وقلتهم: يثمدونها: أي يلحون في مسألتها، أي يقيمون بها ولا يخرجون في طلب الرزق،
فكانهم يسألون البيوت ويسترزقونها، «رمى الله في تلك الأنوف»، أي قطعها الله
واستأصلها؛ والكوانع: المتظامنة للذليّة؛ ونسب الذل إلى أنوفهم، وهو يعنيهم بذلك، كما
تنسب العزة إلى الأنف، والمقصود صاحبه، ديوان النابعة الذبياني، ص ٨٧ - ٨٨.

(١) ديوان النابعة الذبياني ص ١٠٩ - ١١٠.

(عامر هذا هو عامر بن الطفيل العامري)، «فإن مظنة الجهل الشباب»، يريد أن الشباب
مقرون به الجهل، ملازم له. ومظنة الشيء: الأمر الذي لا يكاد يطلب فيه إلا وجد به؛ وهو
مشتق من الظن، أي حيث يظن أنه لا يفارقه. ويروى: «السباب»، يريد إنما يعلم الجاهل
ويتبين جهله عند سب غيره.

«أو كأبي براء» هو عامر بن مالك ملاعب الأسنة، وهو عم عامر بن الطفيل ابن مالك.
[والحكومة: الحكم].

ولا تذهب بحلمك طاميات من الخيلاء ليس لهن باب
فإنك سوف تحلم أو تنهى إذا ما شبت أو شاب الغراب
فإن تكن الفوارس يوم حسى أصابوا من لقائك ما أصابوا
فما إن كان من نسب بعيد ولكن أدركوك وهم غضاب
فوارس من منولة غير ميل ومرة، فوق جمعهم العقاب^(١)

* * *

(١) المرتفعات، يقال: طما الماء، إذا علا وارتفع. والخيلاء: التكبر والبطر. وقوله: «ليس لهن باب»، أي لا آخر لهن ولا منتهى.
«إذا ما شبت أو شاب الغراب»، أي لا تكون حليماً، ولا تنتهي إلى ما أنت عليه من الجهل، حتى يشيب الغراب، أي لا تحلم أبداً كما أن الغراب لا يشيب، وإنما هذا هزؤ منه به، وذم.
«فإن تكن الفوارس يوم حسى»، يعني يوماً كان لبني ذبيان على عامر، قتل فيه أخوه خنظلة بن الطفيل.
«فما إن كان من نسب»، يقول: لم يكن ما لقيت منهم أنهم لم يكونوا من عشيرتك، لكنهم كلهم من قيس عيلان؛ ولكنك أغضبتهم فعاقبك.
«من منولة»، قال ابن الأعرابي: منولة امرأة من تغلب، وهي أم مازن وشمخ، ابني فزارة بن ذبيان. ومرة: هو مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان. وميل: جمع أميل، وهو الذي لا يستوي على السرج إذا ركب. والعقاب: الراية.

وقال أيضاً يهجو يزيد بن عمرو بن الصعق، وكان قد استاق غنماً لهم، وعصافير كانت للنعمان بن المنذر ترعى بذى أبان، فقال النابغة يهجو: (١)

لعمرك ما خشيت على يزيد من الفخر المضلل ما أتاني
كأن التاج معصوباً عليه لأذواد أصبن بذى أبان
فحسبك أن تهاض بمحكمات يمر بها الروى على لساني
فقبلك ما شتمت وقاذعوني فما نزر الكلام ولا شجاني
يصد الشاعر الثنيان عني صدود البكر عن قمر هجان
أثرت الغي ، ثم نزعته عنه كما حاد الأذب عن الظعان
فإن يقدر عليك أبو قبيس تخط بك المعيشة في هوان (٢)

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ١١١ - ١١٣.

(٢) «كأن التاج معصوباً عليه»، يقول: كأنما عقد التاج عليه، وعصب برأسه، وأبان: جبل. والذود: ما بين الثلاث إلى العشرة، تهاض: تخزى وتذل، الروى: حرف القافية، قاذعوني: هاجوني وشاتموني.

الثنيان والثنيان: الذي دون البدء. والبدء: السيد القرم: الفحل الكريم من الإبل. والهجان: الإبل البيض؛ جعل نفسه كالفحل الكريم، وجعل يزيد بن عمرو العامري كالبكر من الإبل، لأنه لا يقاومه في الهجاء، كما لا يقاوم البكر القرم، ولا يطيقه.

والأذب: الكثير شعر الحاجبين والأشفار. والظعان: جبل اليهودج.

أبو قبيس: هو النعمان بن المنذر، وكنيته أبو قابوس. ولجميع الجوف: حاله، وقيل: طريه؛ يعني الدم. والآتى: الشديد الحرارة، ويقال: هو الذي بلغ إناه، أي وقته.

وتخضب لحية غدرت وخانت بأحمر من نجيع الجوف أنى
وكنت أمينه لو لم تخنه ولكن لا أمانة لليماني^(١)

وقال النابغة يهجو النعمان بن المنذر: ^(٢)

حدثوني بني الشقيقة ما يد نع فقعا بقرقر أن يزولا
لا أرى الفارس المدجج فيكم آل نصر ولا الفتى البهلولا
جمعوا من نوافل الناس سيباً وحميراً موسومة وخيولا
وسراذين كابيات وأتنأ وخناذيد خصية وفحولا
لا أرى حاجزاً عن الفحش فيهم وحماراً عن أمه مشكولا

(١) «ولكن لا أمانة لليماني»؛ إنما قال ذلك لأن بعض بني عامر مما يلي اليمن، وكل من كان يلي اليمن فهو يمان عند العرب
(٢) الشقيقة بنت أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، وهي جدة النعمان. الفقع: الكمامة البيضاء الرخوة التي تنبت على وجه الأرض، وهي توطأ وتقطعها الغنم بأظلافها، يقال في مثل يضرب للذل: «إنه لأذل من فقع بقرقر»، والفرقر المستوى من الأرض.
المدجج: الشاك في السلاح. ونصر: جد النعمان الأكبر. والبهلول: هو الظريف الشماثل.
نوافل الناس: عطاياهم وغنائمهم، «موسومة» عليها سمات.
كابيات: تكبو وتعثر، الواحد كاب، والأنثى كابية. والخناذيد: الكرائم من الخيل؛ يقال: خناذ وخناذذ. وخصية: جمع خصي.
الريدة: الخرقعة التي يمسح بها الصانع ويجلو بها الحلى. والريدة: التي يطلى بها البعير وكل شيء يشبه بها، يقال للرجل إذا لم يكن عنده خير: ما أنت إلا ريدة من الريد.

قد رأينا مكان أمك إذ تمـ نع من درة اللقوح الفصيلا
لعن الله ثم ثنى بلعن رينة الصائغ الجبان الجهولا
من يضر الأدنى ويعجز عن ضرا الأقاصي ومن يخون الخليلا
يجمع الجيش ذا الألوف فيغزو ثم لا يرزأ العدو فتिला

الفصل الرابع

زهير بن أبي سلمى

أما زهير بن أبى سلمى^(١) فالناس ينسبونه إلى مزينة، وإنما نسبه
فى غطفان، وليس لهم بيت شعر ينتمون فيه إلى مزينة إلا بيت كعب
بن زهير، وهو قوله:

وهم الأصل منى حيث كنت وإننى من المزينين المصفين بالكرم

وقيل: هو مزنى ولد فى بنى غطفان، وانضم إليهم.

ويقال إنه لم يتصل الشعر فى ولد أحد من الفحول فى الجاهلية ما
اتصل فى ولد زهير، وفى الإسلام ما اتصل فى ولد جرير.

وكان زهير راوية أوس بن حجر.

ويروى عن عمر بن الخطاب أنه قال^(٢) أنشرونى لأشعر شعرائكم،
قيل: ومن هو؟ قال: زهير، قيل: ومن صار كذلك؟ قال: كان لا يعاظم

(١) «سلمى» بضم السين، وليس فى العرب «سلمى» بالضم والقصر غيره، الشعر
والشعراء ١٣٧/١ - ١٥٣، طبقات الشعراء ص ٢٥ الأغاني ٩/ ١٣٩ - ١٥١، خزنة
الأدب ٣٧٥/١ - ٣٧٧.

(٢) الأغاني ٩/ ١٤٠، الشعر والشعراء ١/ ١٣٧.

بين القول، ولا يتبع حوشى الكلام، ولا يمدح الرجل إلا بما هو فيه. وهو القائل^(١):

إذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية من المجد من يسبق إليها يسود
سبقت إليها كل طلق مبرز سبوق إلى الغايات غير مخلد
فلو كان حمد يخلد الناس لم تمت ولكن حمد المرء ليس بمخلد

وكان قدامة بن موسى عالماً بالشعر، وكان يقدم زهيراً ويستجيد قوله:

قد جعل المبتغون الخير في هرم والسائلون إلى أبوابه طرقاً
من يلق يوماً على علاته هرمًا · يلق السماحة فيه والندى خلقاً^(٢)

قال عكرمة بن جرير: قلت لأبي: من أشعر الناس؟ قال: أجاهلية أم إسلامية؟ قلت: جاهلية: قال: زهير، قلت: فالإسلام؟ قال: الفرزدق، قلت: فالأخطل؟ قال: الأخطل يجيد نعت الملوك ويصيب صفة الخمر، قلت له: فأنت؟ قال أنا نحرت الشعر نحراً.

(١) ديوان زهير ص ٢٣٤ - ٢٣٦، الشعر والشعراء ١/ ١٣٨.

(٢) ديوان زهير ص ٤٩ - ٥٣، الأغاني ٩/ ١٤٤، خزانة الأدب ١/ ٣٧٦.

قال عبد الملك لقوم من الشعراء: أى بيت أمدح؟ فاتفقوا على بيت
زهير:

تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذى أنت سائله
قيل لخلف الأحمر: زهير أشعر أم ابنه كعب؟ قال: لولا أبيات زهير
أكبرها الناس لقلت إن كعباً أشعر منه، يريد قوله:

لمن الديار بقنة الحجر أقوين من حجج ومن دهر
ولأنت أشجع من أسامة إذ دعى النزال ولج فى الذعر
ولأنت تفرى من خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى
لو كنت من شئ سوى بشر كنت المنور ليلة البدر^(١)
وكان زهير يتأله ويتعفف فى شعره. ويدل شعره على إيمانه بالبعث.
وذلك قوله:

يؤخر فيودع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم
وشبه زهير امرأة فى الشعر بثلاثة أوصاف فى بيت واحد فقال:
تنازعت ألمها ودر الـ ببحور وشاكهت فيها الظباء

(١) ديوان زهير ٨٦، ٦٩، ٩٤، ٩٥، الأغاني ١٦٤/٥، الشعر والشعراء ١٣٩/١.

ثم قال ففسر:

فأما ما فوق العقد منها فمن أدماء مرتعها الخلاء
وأما المقلتان فمن مهابة وللدرد الملاحاة والصفاء
وقال بعض الرواة: لو أن زهيراً نظر في رسالة عمر بن الخطاب إلى
أبي موسى الأشعري ما زاد على ما قال:
فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء^(١)
يعنى يميناً أو منافرة إلى حاكم يقطع بالبينات أو جلاء، وهو بيان
وبرهان يجلو به الحق وتتضح الدعوى.

ومما يتمثل به من شعره:

وهل ينبت الخطي إلا وشيجه وتغرس إلا في معادن النخل
ويستحسن قوله:

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا طعنوا ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

(١) لسان العرب ١٨ / ١٦٣، ٧ / ٨٤، ١٠ / ١٥٥، ديوان زهير ص ٧٥، الشعر والشعراء ١ / ١٤٠.

ويستحسن أيضاً قوله:

هو الجواد الذي يعطيك نائله عفواً ويظلم أحياناً فينظلم^(١)

قد سبق زهير إلى هذا المعنى، لا يتنازعه فيه أحد غير كثير، فإنه قال يمدح عبد العزيز بن مروان:

رأيت ابن ليلى بهتري صلب ماله مسائل شتى من غنى ومصرم
مسائل إن توبته لديه تجده بها يداه وإن يظلم بها يظلم
المترم: القليل المال.

أدرك ابننا زهير كعب وبجير الإسلام، وأتى بجير النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم، فكتب إليه كعب: (٢)

ألا أبلغا عنى بجيرا رسالة فهل لك فيما قلت بالخيف هل إذا
سقيت بكأس عند آل محمد فأنهلك المأمون منها وعلكا
فخالفت أسباب الهدى وتبعته على أى شئ وب غيرك دلكا

(١) لسان العرب ١٥ / ٢٧٠، ١٧ / ١٤٤.

(٢) سيرة ابن هشام ص ٨٨٧ - ٨٩٣، الأغاني ١٥ / ١٤٢ - ١٤٣، الشعر والشعراء ١ / ١٤١.

فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم شعره هذا، فتوعده ونذر دمه.
فكتب بجير إلى كعب يخبره بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل
رجلاً ممن كان يهجوّه، وأنه لم يبق من الشعراء الذين كانوا يؤذونه إلا
ابن الزبير السهمي وهبيرة بن أبي وهب المخزومي، وقد هربا منه،
فإن كانت لك في نفسك حاجة فاقدم عليه، فإنه لا يقتل أحداً أتاه
تائباً، وإن أنت لم تفعل فانج بنفسك. فلما ورد عليه الكتاب ضاقت
عليه الأرض برحبها، وأرجف به من كان بحضرته من عدوه. فقال
قصيدته التي أولها:

* بانت سعاد فقلبي اليوم متبول *

وفيها قال:

نبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول
ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده في يده وأنشده
شعره، فقبل توبته وعفا عنه، وكساه برداً، فاشتراه منه معاوية
بـعشرين ألف درهم، فهو عند الخلفاء إلى اليوم.

وكان لكعب ابن يقال له عقبة بن كعب، شاعر، ولقبه «المضرب»^(١) وذلك أنه شبيب بامرأة من بنى أسد. فضربه أخوها مائة ضربة بالسيف، فلم يمت، وأخذ الدية، فسمى «المضرب». وولد لعقبة العوام، وهو شاعر.

فهؤلاء خمسة شعراء فى نسق: العوام بن عقبة بن كعب بن زهير بن أبى سلمى، وكان أبو سلمى أيضاً شاعراً. وهو القائل فى خاله أسعد المرى وابنه كعب بن أسعد، وكان حمل أمه وفارقها: (٢)

لتصرفن إبل محببة من عند أسعد وابنه كعب

الأكلين صريح قومهما أكل الحبارى برعم الرطب

وقال عمر لابن عباس: أنشدنى لشاعر الشعراء، الذى لم يعاظم بين القوافى، ولم يتبع وحشى الكلام، قال: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: زهير. فلم يزل ينشده إلى أن برق الصبح.

* * *

وكان زهير أستاذ الخطيئة. وسئل عن الخطيئة فقال: ما رأيت مثله

(١) تاج العروس ٣٥٠/١، الشعر والشعراء ١/١٤٢، الأغاني ١٥١/٩، خزائن الأدب ١١/٤.

(٢) الأغاني ٩/١٤٠، الشعر والشعراء ١/١٤٣.

فى تكفيه على أكناف القوافى، وأخذه بأعنتها حيث شاء، من
اختلاف معانيها، امتداحاً وذمّاً. قيل له: ثم من؟ قال: ما أدري، إلا
أن ترانى مسلنطحاً واضعاً إحدى رجلى على الأخرى رافعاً عقيرتى
أعوى فى أثر القوافى.

قال أبو عبيدة: يقول من فضل زهيراً على جميع الشعراء: إنه أمدح
القوم وأشدهم أسر شعراً. قال: وسمعت أبا عمرو بن العلاء يقول
الفرزدق يشبه بزهير وكان الأصمعى يقول: زهير والخطيئة وأشباههما
عبيد الشعر، لأنهم نقحوه ولم يذهبوا به مذهب المطبوعين.

قال وكان زهير يسمى كبر قصائده «الحوليات»^(١).

وكان جيد شعره فى هرم بن سنان المرى. وقال عمر رضى الله عنه
لبعض ولد هرم: أنشدنى بعض ما قال فيكم زهير، فأنشده، فقال: لقد
كان يقول فيكم فيحسن، فقال: يا أمير المؤمنين إنا كنا نعطيه فنجزل!
فقال عمر رضى الله عنه: ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم.

(١) الخزانة ١ / ٣٧٦، الشعر والشعراء ١ / ١٤٤.

ومما سبق إليه زهير فأخذ منه قوله يمدح هرماً:

هو الجواد الذي يعطيك نائله عفواً ويظلم أحياناً فيظلم

أى يسأل ما لا يقدر عليه فيتحملة. أخذه كثير، فقال:

رأيت ابن ليلى تعترى صلب ماله مسائل شتى من غنى ومعدم

مسائل إن توجد لديك تجديها يداك، وإن تظلم بها تتظلم

وقال زهير: (١)

كما استغاث بسئى فز غيطة خاف العيون فلم ينظر به الحشك

السئى: اللبن فى الضرع. والفز: ولد البقرة. والغيطة: البقرة.
والحشك: الدرة. أخذه الطرماح فقال:

بادر السئى ولم ينتظر نبه فيقات العيون النيام

نبه: تحرك العروق. الفيقة: مثل الفواق.

(١) ديوان زهير ص ١٧٧، لسان العرب ١٢ / ١٩٣.

وقال زهير يصف ظبية أكل ولدها السبع^(١):

أضاعت فلم تغفر لها غفلاتها فلاقت بياناً عند آخر معهد^(٢)

دماً عند شلو تحجل الطير حوله ويضع لحام فى إهاب مقدد^(٣)

وقال الجعدى^(٤):

ولاقت بياناً عند أول معهد إهاباً ومعبوطاً من الجوف أحمر

ومما سبق إليه زهير فلم ينازع فيه قوله:

فإن الحق مقطعه * البيت. يريد أن الحقوق إنما تصح بواحدة من هذه
الثلاث: يمين أو محاكمة أو حجة بينة واضحة. وكان عمر بن الخطاب
رضى الله عنه إذا أنشد هذا تعجب من معرفته بمقاطع الحقوق.

ومن ذلك قوله:

(١) الديوان ٢٢٧، الشعر والشعراء ١/ ١٤٦.

(٢) ثعلب: «فلاقت بياناً: استبانته. الجلد والدم هو الذى بين لها. عند آخر موضع
هذه فيه».

(٣) ثعلب: «دما: رد على بيان. شلو: بقية الجسد. ويضع: جمع بضعة. لحام: جمع
لحم. إهاب: جلد، والجمع أهب. ومدد: مخرق ومشقق. تحجل الطير حوله: أكله الذئب ما أكل
بهاى شئ تحجل الطير حوله».

(٤) الجعدى: هو النابغة الجعدى. المعبوط: من العبط، وهو النحر أو الشق.

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا اطعنوا

ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

فجمع فى بيت واحد صنوف القتال.

ومن ذلك قوله: (١)

الستر دون الفاحشات ولا يلقاك دون الخبر من ستر

* * *

ومما يستجد له: (٢)

وذى نعمة تمتتها وشكرتها وخصم يكاد يغلب الحق باطله
دفعت بمعروف من القول صائب إذا ما أضل الناطقين مفاصله
وذى خطل فى القول يحسب أنه مصيب فما يلزم به فهو قائله
عبأت له حلماً وأكرمت غيره وأعرضت عنه وهو باد مقاتله
وذى نسب ناءٍ بعيد وصلته بمالٍ، وما يدري بأنك واصله (٣)

(١) الديوان ٩٥.

(٢) الديوان ١٣٨ - ١٤٣.

(٣) قال الأعلم: «يعنى أنه وصل قوماً فوصلوا غيرهم من صلته، فكان هو سبب ذلك الوصل وهم لا يعرفون ذلك. وإنما قال هذا إشارة إلى كثرة معرفته وسعة إفضاله».

وأبيض فياض يده غمامة على معتفيه ما تغب نوافله^(١)
غدوت عليه غدوة فوجدته قعوداً لديه بالصريم عواذله^(٢)
يفدينه طوراً وطوراً يلمنه وأعيما فما يدرين أين مخاتله
وأعرضن منه عن كريم مرزاً جموع على الأمر الذي هو فاعله^(٣)
أخى ثقة ما تذهب الخمر ماله ولكنه قد يذهب المال نائله^(٤)
تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله

* * *

ومن ذلك قوله، ويقال إنه لولده كعب^(٥):

وليس لمن لم يركب الهول بغية وليس لرحل خطه الله حامل^(٦)
إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا أصبت حليماً أو أصابك جاهل

(١) الشعر والشعراء ١ / ١٥٠.

(٢) الصريم: الصبح، أو جمع صريمة، وهي القطعة من الرمل تنقطع من معظمه. والأول أجود، قالوا: لأنه يسكر بالليل وإذا صبحا من سكره لامته العواذل على إنفاق ماله.

(٣) مرزاً: يصاب منه الخير ويرزأ ماله. جموع على الأمر: ماض عليه مجمع الرأي.

(٤) الشعر والشعراء ١ / ١٥٠.

(٥) هما ثابتان لزهير في ديوانه، ختام قصيدة قالها في شأن سنان بن أبي حارثة المري ٢٩٢ - ٣٠٠.

(٦) ثعلب: «يقول: من لم يركب الهول في مودة أخيه لم يدرك بغيته، وليس لمن وضعه الله ارتفاعاً».

ومن ذلك قوله: (١)

وفيههم مقامات حسان وجوههم وأندية ينتابها القول والفعل (٢)
على مكثريهم رزق من يعتريهم وعند المقلين السباحة والبذل (٣)
سعى بعدهم قوم لكبي يدركوهم فلم يبلغوا ولم يليموا ولم يألوا (٤)

وأخذ العلماء عليه قوله يذكر الضفادع:

يخرجن من شربات ماؤها طحل على الجذوع يخفن الغم والغرقا (٥)
وقالوا: ليس خروج الضفادع من الماء مخافة الغم والغرق، وإنما
ذلك لأنهن يبضن في الشطوط.

(١) الديوان ١١٣ - ١١٤.

(٢) المقامات: المجالس، وأراد أهلها. ينتابها القول والفعل: يقال فيها الجميل ويفعل
عن ثعلب.

(٣) يعتريهم: يطلب منهم.

(٤) يليموا: لم يأتوا ما يلامون عليه.

(٥) الديوان ٤٠. الشربات: حياض تحفر في أصول النخل من شق واحد فتملأ ماء،
واحدتها شربة بفتح الحاء. الطحل: الكدر.

وأخذ عليه قوله:

ثم استمروا وقالوا: إن مشربكم ماء بشرقى سلمى فيد أوركك^(١)
وقال الأصمعي: سألت بجنابات فيد عن الركب؟ فقالوا لى: ما هنا
«ركك» ولكن «رك» فعلت أن زهيراً احتاج فضعف.

* * *

وكعب القائل: (٢)

ومن للقوافي شأنها من يحوكها إذا ما توى كعب وفوز جرول
يقول فلا يعبا بشئ يقوله ومن قائلها من يسئ ويعمل
يقومها حتى تلين متونها فيقصر عنها كل ما يتمثل
كفيتك لا تلقى من الناس شاعراً تنخل منها مثل ما أتخل^(٣)
وسمعه الكميت فقال فى قصيدة له:

وما ضرها أن كعباً توى وفوز من بعده جرول^(٤)

(١) ديوان زهير ص ١٦٧، لسان العرب ١٢ / ٣١٨، معجم البلدان ٤ / ٢٧٩، الشعر
والشعراء ١ / ١٥٢.

(٢) الأغاني ٣ / ٤٤، ١٥ / ١٤٠، خزانة الأدب ١ / ٤١١، لسان العرب ٧ / ٢٦٠،
الشعر والشعراء ١ / ١٥٣.

(٣) الإصابة ٢ / ٦٣، لسان العرب ١٨ / ١١٤، ١٨ / ١٣٧.

(٤) لسان العرب ٧ / ٢٦٠، ١٣ / ١١٤.

وكان زهير أجزل الشعراء لفظاً، وأوجزهم قولاً، وأصدقهم مدحاً،
وأشرفهم حكمة، وأبعدهم عن سخف الكلام^(١)

وكان زهير يقتفى فى شعره أثر أستاذه أوس فى الوصف والتشبيه،
كما كان يتأدب بأدب خاله بشامة بن الغدير، وكان بشامة رجلاً مقعداً
حكيماً سديد الرأى وافر المال، وكان - كما يقال - أشعر غطفان فى
أيامه.

ولا يذكر زهير فى شعراء الجاهلية إلا ذكرت معه الروية والرزانة
والحكمة، فأظهر ما يتصف به زهير عند الرواة أنه كان كتلميذه
الخطيئة من عبید الشعر، ويعنون بهذا أنه كان بطيئاً فى قوله يروى،
وينقح، ويعاود قوله بالصقال والتهذيب، ويعيد النظر بعد النظر، حتى
يظهره للناس، ولذلك نسبوا إليه قصه «الحوليات» ليظهروا رويته
وأنايته فى تنقيحه، فقالوا إنه كان ينظم القصيدة فى أربعة أشهر،
ويهذبها فى أربعة، ويعرضها على أخصائه فى أربعة، وكان الأصمعى
يقول: زهير والخطيئة وأشباههما من الشعراء «عبید الشعر» لأنهم
نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين.

وقد اشتهر زهير بمدائحه لهرم بن سنان لأنه كان شديد الحب له
وكان هرم يبره ويجزل له العطاء حتى حلف ألا يمدحه زهير إلا أعطاه،

(١) نصوص ص ٣٤ - ٣٥.

ولا يسلم عليه إلا أعطاه، فاستحيا زهير من كثرة ما كان يقبل منه فكان إذا رآه فى ملأ قال: عموا صباحاً غير هرم وخيركم استثنيت.

ويكاد الرواة يتفقون على أن زهيراً كان أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء، وهم امرؤ القيس، والنابغة الذبياني، وزهير، وإنما اختلفوا فى تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه، فأما الثلاثة فلا اختلف فيهم، وينصاه كثير من الرواة على صاحبيه، ويقولون: إنك أن تكسهم شعراً، وأبعدهم من سخف، وأجمعهم لكثير من المعانى فى قليل من المنطق.

وقد عدّه ابن سلام من شعراء الطبقة الأولى، وهم امرؤ القيس، والنابغة، وزهير، والأعشى، وقد كان علماء البصرة يقدمون امرؤ القيس، وأهل الكوفة يقدمون الأعشى، وأهل الحجاز والبادية يقدمون زهيراً والنابغة. ويلاحظ أن زهيراً لم ينحش فى الهجاء، وقد عدّ قوله فى آل حصن على سبيل التشكك والتجاهل.

وما أدري وسوف إخلاله أدوي أقوم آل حصن أم نساء

من أقوى ما هجا به.

على أن زهيراً قد امتلأ عن غيره من الشعراء بأن أضاف إلى معانى الجاهليين هذه الأمثال والحكم الشعرية التى اشتهر بها، كما

اشتهر النابغة بالاعتذار، وطرفة بالوصف، وابن كلثوم بالفخر، وهؤلاء
لم يقولوا فى الحكمة أو بضرب المثل كما قال زهير فيهما .

والرواة يروون أبياتاً لزهير أخذها ممن عاصره، أو سبقه من الشعراء،
كما يروون أبياتاً لغيره من الشعراء أخذوها عنه.

ومن ذلك قول أوس بن حجر:

لعمرك إنا والأحاليف هؤلاء لفى حقبة أظفارها لم تقلم
أخذه زهير، فقال:

لدى أسد شاكى السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلم
وقول طرفة:

لخولة أطلال ببرقة ثمهد تلوح كباقي الوشم فى ظاهر اليد
أخذه زهير، فقال:

ودار لها بالرقمتين كأنها مراجيع وشم فى نواشر معصم.
وأخذ عليه قوله:

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكننى عن علم ما فى غد عم
أى: أعلم ما مضى بالأمس، وما أنا فيه اليوم، لأنه شئ قد رأيته،

فأما المستقبل فلا علم لى به، لأننى لم أره، وقد قالوا: إن قوله «قبله»
فى البيت لغو، لأنها لم تحصل معنى^(١)

وقيل: إن زهيراً كان راوية أوس بن حجر، وكان أوس راوية الطفيل
الغنوى وتلميذه، وروى عن زهير ابنه كعب، وعن كعب روى الخطيئة
وجميل وكثير^(٢)

وكان لأستاذيه أوس بن حجر، وبشامة بن الغدير أثر عظيم فى
تنمية جانب الحكمة، لينحوبها نحواً أسمى وأجل، وهما اللذان عركا
الدهو وحلبا أشطره، وكان أولهما كثير التحدث فى مكارم الأخلاق
كما يقول ابن قتيبة، وكان ثانيهما معروفاً بصدق النظر وطول التجربة،
واستصفاء الرأى المسدد حتى لقد كان موضع مشورة قومه^(٣).

فكان لا بد له من أجل ذلك أن ينحوب بالحكم نحواً أسمى من
سابقه. فلم تكن حكمه حقائق مجردة فحسب، ولكنها حكم عامة قد
صيغت فى قالب من النصح والموعظة الحسنة، إذ يقول فى المعلقة:

(١) شرح ديوان زهير بن أبى سلمى ص ٨ - ١٨.

(٢) تاريخ الأدب العربى، كارل بروكلمان ٩٥ / ١، فى الأدب الجاهلى، دكتور طه
حسين ص ٢٦٩.

(٣) نصر ص ٦٢، ٦٣.

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطئ يعمر فيهم
ومن لا يصانع فى أمور كثيرة يضرس بانياب ويوطأ بمنسم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه وإن يرق أسباب السماء يسلم
ومن يعص أطراف الزجاج فإنه يطيع العوالى ركبت كل لهزم
ومن يوف لا يذمم ومن يهد قلبه إلى مطمئن البر لا يتجمجم
ومن يغترب يحسب عدواً صديقه ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
ومن لا يزل يستحمل الناس أمره ولا يغنها يوماً من الدهر يسأم
ولعلنا نلاحظ أنها أبرت على حكم الآخرين لأنها فى جملتها
جمعت إلى الحقائق المجردة والتجربة الموعظة الحسنة والنصائح
الغالية، فهى أشبه بدستور خلقى يضع للناس قواعد السلوك المثالى.
وهذه الحكم من أهم ما تمتاز به المعلقة ولقد أحسن زهير اختيار
الظرف المناسب كما يقول «نيكلسون» فقد انتهاز فرصة الحرب

القائمة وأخذ يزجى هذه الحكم البالغة التى استوحاها من الموقف نفسه، ويقول «نيكلسون»: «إنها حكم توائم عصره وبيئته كل المواءمة». وأقول: أنها توائم جميع الناس على اختلاف مشاربهم وبيئاتهم وعصورهم.

ولرب قائل يقول: إن زهيراً - على حصافة عقله وثقوب فكره - قد ناقض نفسه لأنه فى حكمه يرسم للناس المثل الأعلى للخلق القويم وحسن المعاملة ثم ينقض ذلك بقوله:

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

وهذا القائل قد نسى أن زهيراً كان يعيش فى جوف هذه الجاهلية المظلمة وأنه لم يستطع - أن يتخلص من بيئته وما تأصل فيها من عادات، وما أصدق دريد بن الصمة حين يقول: (١)

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

وإن فى قول فريط بن أنيف العنبرى فى هجاء قومه ما يجعلنا نوقن بأن عادة الظلم والطغيان كانت موضع فخرهم وأن الصفح والمغفرة كانا سبة وعاراً وهاك قوله:

لكن قومى وإن كانوا ذوى عدد ليسوا من الشر فى شئ وإن هاتا

(١) نصوص ٦٤ - ٦٥

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحساناً
كأن ربك لم يخلق لخشيته سواهم من جميع الناس إنساناً
فليت لى بهم قوماً إذا ركبوا شنوا الإغارة فرساناً وركبانا
وفى هذا القول دليل واضح على أن المناجزة والبدء بالعدوان كانا
موضع المفاخرة والتباهى وأن الدعة والمسالة كانا سمة المهانة والمذلة.
والإسلام فى فجره لم يستل من نفوسهم هذا الحق الشائن، فقد هجا
النجاشى بنى العجلان بقوله:

قبيلته لا يخفرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

فهو يصفهم بالضعف والاستكانة وعجزهم عن ظلم الناس وقد
شعر، المهجورون بذلك وعدوه هجاء مرأى يزرى بهم فاستعدوا عليه عمر
بن الخطاب ولكن عمر نظر إليه بروحه الإسلامية السمحة التى تمقت
الظلم فقال: «ما أرى ذماً فليت آل الخطاب كذلك» ولم يرفيه «هذا
الروح المنكر المختفى تحت ألفاظه الذى ينشده الشاعر. والحق أن البيت
يعتبر مدحاً خالصاً وليس فيه هجاء ما. ولكنها الطبيعة الجاهلية.

ويمكن أن يقال فى تفسير هذا التناقض عند زهير: إنه ربما أراد
بهذا البيت التهكم بهم والتنديد بأخلاقهم الذميمة. فقال: إن من يروم
الغلبة والاستعلاء منهم لجأ إلى هذه العادة القبيحة وهى ظلم الناس.

وقد سبق لزهير أن اصطنع السخرية وسيلة للحث على الفضيلة والنهي
عن الرذيلة فقال يصف الحرب متهكماً:

فتغلل لكم ما لا تغل لأهلها قرى بالعراق من قفيز ودرهم
ويمكن أن يقال أيضاً: إنه أراد أن يصف الحياة العربية الجاهلية
على حالها وهو منكر لما فيها من قبيح العادات.

ومن ظريف ما يذكر أن أحد شراح المعلقات يذكر أن العرب كانت لا
تعد الشاعر فحلاً حتى يأتي ببعض الحكمة في شعره، فلم يعدوا امرؤ
القيس فحلاً حتى قال: (١)

والله أنجح ما طلبت به والبر خير حقيبة الرجل

ولم يعدوا النابغة فحلاً حتى قال:

نبئت أن أبا قابوس أوعدني ولا قرار على زار من الأسد

ولم يعدوا زهيراً فحلاً حتى قال:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

ولم يعدوا الأعشى فحلاً حتى قال:

والشعر قلدته سلامة ذافا نش والشئ حيثما جعل

(١) نصوص ٦٦ - ٦٧.

ولو جاريناهم فى ذلك لوجب أن يسمى زهير «أفحل الفحول» لأن حكمه أغزر من حكمهم وأسمى.

ومن حسنات زهير أنه لا يجنح فى مدحه إلى الغلو الممقوت، ولا يأتى بسفساف القول، بل يرغب عن ذلك ويحرص على الاقتصاد فى القول والاعتدال فى الثناء، فلا يمدح أحداً إلا بما هو فيه، وإذا وقع له شئ من الغلو جعل الشرط مانعاً مثل قوله فى هرم:

لو نال حى من الدنيا بمنزلة وسط السماء لنالت كفه الأفقا

فلو الشرطية هنا أبعدت زهيراً عن السخف والكذب وأبقتة فى حدود صدقه ورصانته^(١).

قال ابن سلام «من قدم زهيراً احتج بأنه كان أحسنهم شعراً وأبعدهم من سخف وأجمعهم لكثير من المعانى فى قليل من اللفظ وأشدهم مبالغة» فهذه المبالغة التى ذكرها ابن سلام تجعله يتتبع وصف ممدوحه بجميع الخلال الحميدة من كرم وشجاعة وحلم وطيب محتد وبلاغة فى المنطق إلى آخر ما هنالك من الفضائل والصفات التى يفاخرون بها ويعدونها من شروط السيادة عندهم، وهو فى تقصيه لهذه الصفات يبرأ من الكذب والغلو المذموم.

(١) نصوص ٧٤ - ٧٥.

وصاحب الصناعتين يعرض لنا فى شئ من الإيضاح لمحة عن
مذهب زهير فى مديحه فيقول: والجيد فى المدح قول زهير:

هنالك إن يستخبلوا المال يخبلوا

وإن يسألوا يعطوا وإن يبسروا يفلو^(١)

وفيهـم مقامات حسان وجوههم

وأندية يتابها القول والفعل^(٢)

فلما استتم وصفهم بحسن المقال وتصديق القول بالفعل وصفهم
بحسن الوجوه ثم قال:

على مكثريهم حق من يعترهم وعند المقلين السماحة والبذل^(٣)

فلم يخل مكثراً ولا مقلأ منهم من ير وفضل، ثم قال:

وإن جئتهم ألفيت حول بيوتهم

مجالس قد يشفى بأحلامها الجهل^(٤)

(١) استخبال المال: أن يسألوهم شيئاً فيعطوهم إياه، يبسروا: يتقامروا. يفلو: يختاروا
سمان الإبل.

(٢) المقامات والأندية: المجالس.

(٣) يعترهم: يتزل بهم.

(٤) الجهل: الحمق.

فوصفهم بالحلم ثم قال:

وإن قام منهم قائم قال قاعد رشدت فلا غرم عليك ولا خذل^(١)

فوصفهم أيضاً بالتضافر والتعاون فلما اتاهم هذه الصفات
النفسية ذكر فضل آبائهم فقال:

وما يك من خير أتوه فإنما توارثه آباء آبائهم قبل

وهل ينبت الخطى إلا وشيجه وتغرس إلا فى منابتها النخل

فهو فى مديحه يأتى الصفات التى يشرف بها العربى والتى تتم
بها السيادة ولقد صدق عبيد الملك بن مروان حين سمع هذا البيت:

على مكثريهم حق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل

فقال: ما ضر من مدح بهذا البيت ألا يكون يلى أمور الناس يعنى
الخلافة. وصدق الأحنف بن قيس حين قال فى زهير: إنه ألقى عن
المادحين فضول الكلام بقوله:

وما يك من خير أتوه فإنما توارثه آباء آبائهم قبل

وما أشد إعجاب القدماء بهذه الأبيات التى يقول عنها ابن رشيق

(١) قائم: من يقوم بالحمالة وهى الدية ويريد أى مغرم.

فى العمدۃ: (١) ومما قدم به زهير قوله:

لو كان يقعد فوق النجوم من كرم قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
قوم «سنان» أبوهم حين تنسبهم طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
إنس إذا أمنوا جن إذا افزعوا مرزأون بهاليل إذا جهدوا (٢)
محسدون على ما كان من نعم لا ينزع الله عنهم ماله حسدوا
وقد استطاع بحذقه لصناعته أن يودع كثيراً من المعانى فى قليل
من الألفاظ من غير تعقيد ولا التواء وتلك ظاهرة بارزة فى شعر زهير
كله.

وربما أعجبك من زهير تدقيقه فى معانيه واختيار اللفظ الملائم
للمعنى الملائم حتى ينجو من الغمز والطعن وأحب أن تقرأ له هذين
البيتين:

سعى بعدهم قوم لكى يدركوهم فلم يفعلوا ولم يليموا ولم يألوا
فمايك من خير أتوه فإنما توارثه آباء آبائهم قبل
روى صاحب زهر الآداب: أن النقاد قد أعجبوا بقوله: «ولم

(١) نصرص ٧٦ - ٧٩.

(٢) المرزأون: الكرام. البهلول: السيد الجامع لخصال الخير.

يألو» لأنه لما ذكر السعى بعدهم والتخلف عن بلوغ مساعيهم جاز أن يتوهم السامع أن ذلك لتقصير المطالبين فى طلبهم فأخبر أنهم لم يألو وأنهم كانوا غير مقصرين وأنهم مع الاجتهاد فى المتأخرين. ثم لم يرض أن يجعل مجدهم طارفا فيهم ولا جديداً لديهم حتى جعله إرثاً عن الآباء وهؤلاء ورثوه عن آبائهم ثم يقول: وهذا لو تكلفه متكلف فى المنثور دون الموزون لما كان له هذا الاقتدار مع الاختصار^(١).

على أن أحداً لم يتحدث عن مديح زهير كما تحدث عميد الأدب العربى حين قال: فإن أمر المدح عند زهير يسير أيسر جداً مما نطن وقد فهمه القدماء على وجهه أحسن فهم وأصدق.

ولعلك تذكر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يحب مدح زهير لأنه كان مدحاً صادقاً لا يضيف إلى الرجل غير ما هو فيه ولأنه كان مدحاً خليقاً أن يبقى وأن يحفظه الناس لصدقه وارتفاعه عن السخف وبعده عن الإحالة وتوخيّه هذه الخصال التى يحبها الناس ويحبها العرب خاصة فالذين يمدحهم زهير قوم كرام أجواد لا يبخلون بالمال ولا يؤثرون به أنفسهم وإنما هم يهينونه ويؤثرون به عشائرتهم يشترون به سلم العشيرة ويشترون به راحة الضمير ويشترون به الحمد والثناء وهم شجعان لا يؤثرون أنفسهم بالعافية ولا يبخلون بحياتهم

(١) نصوص ٧٨ - ٨٠.

عند مواطن البأس لا يفرون مهما تكن الملمات ولا يحجمون مهما
يقدموا على الهول. وهم على ذلك كله ناس لا يخرجون عن طور
الناس. حتى حين يريد زهير أن يغلو ويلح في المدح فهو مهما يغل
يكره الإحالة وينفر من أن يقول غير الحق وانظر إلى هذا البيت فإنه
يلخص مذهب زهير في المدح أحسن تلخيص ويصدق فيه قول عمر
رحمه الله:

ولو أن حمداً يخلد الناس لم تمت ولكن حمد الناس ليس بمخلد
وإذا لم يكن بد من أن تستعرض بعض هذا المدح فاقراً معنى هذه
الأبيات التي يمدح بها زهير حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري:

وأبيض فياض يده غمامة على معتقيه ما تغب فواضله
بكرت عليه غدوة فرأيته قعوداً لديه بالصريم عواذله
يفدينه طوراً وطوراً يلمنه وأعيما فما يدرين أين مخاتله
فأقصرن منه عن كريم مرزاً عزوم على الأمر الذي هو فاعله
أخي ثقة لا تتلف الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله
تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله

الفصل الخامس

طرفة بن العبد

أما طرفة^(١) فهو طرفة بن العبد بن سفيان، وهو أجودهم طويلاً،
وهو القائل:

لخولة أطلال ببرقة ثمهد ، وله بعدها شعر حسن ، وليس عند الرواة
من شعره وشعر عبيد إلا القليل.

وكان في حسب من قومه، جريئاً على هجائهم وهجاء غيرهم.
وكانت أخته عند عمرو بن بشر بن مرثد، وكان عبد عمرو سيد أهل
زمانه، فشكت أخت طرفة شيئاً من أمر زوجها إليه، فقال:

ولا عيب فيه غير أن له غنى وأن له كشحاً، إذا قام، أهضما

وأن نساء الحى يعكفن حوله يقلن: عسيب من سرارة ملهما^(٢)

فبلغ عمرو بن هند الشعر، فخرج يتصيد ومعه عبد عمرو، فأصاب
حماراً فعقره، وقال لعبد عمرو: انزل إليه، فنزل إليه فأعياه، فضحك
عمرو بن هند وقال: لقد أبصرك طرفة حين قال «ولا عيب» البيت!
وكان عمرو بن هند شريراً، وكان طرفة قال له قبل ذلك:

ليت لنا مكان الملك عمرو رغوئاً حول قبتنا تخور^(٣)

(١) خزانة الأدب ١/ ٤١٢ - ٤١٧، معاهد التنصيص ص ١٦٤ - ١٦٦، الشعر
والشعراء ١/ ١٨٥، تاريخ الأدب العربي، بروكلمان ١/ ٩٢.
(٢) سرارة الوادي: أفضل موضع فيه، اللسان ١٦/ ٤٢.
(٣) الرغوئ: الموضة، ديوان طرفة ص ٦ - ٩، اللسان ٣/ ٤٥٨، الشعر والشعراء
١/ ١٨٦.

فقال عبد عمرو: أبيت اللعن، الذى قال فيك أشد ما قال فى، قال:
وقد بلغ من أمره هذا؟ قال: نعم، فأرسل إليه، وكتب له إلى عامله
بالبحرين فقتله. ويقال إن الذى قتله المعلى بن حنش العبدى، والذى
تولى قتله بيده معاوية بن مرة الأيفلى، حى من طسم وجديس.

ومن جيد شعره قوله:

أرى قبر نحام بخيل بماله

كقبر غوى فى البطالة مفسد

أرى الموت يعتام الكريم ويصطفى

عقيلة مال الفاحش المتشدد^(١)

أرى الدهر كنزاً ناقصاً كل ليلة

وما تنقص الأيام والدهر ينقد

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى

لكالطول المرخى وثنيه فى اليد^(٢)

(١) يعتام: يختار، عقيلة المال: أكرمه، الفاحش: البخيل، لسان العرب ٨ / ٢١٦،

١٥ / ٣٢٩.

(٢) الطول: الجبل الطويل، ثنيه: طرفاه، لسان العرب ٣ / ٤٣٨، ١٨ / ١٣٢.

وكان أبو طرفة مات وطرفة صغير، فأبى أعمامه أن يقسموا ماله،
فقال:

ما تنظرون بمال وردة فيكم صغر البنون ورهط وردة غيب
قد يبعث الأمر العظيم صغيره حتى تظل له الدماء تصيب
والظلم فرق بين حبي وائل بكر تساقىها المنايا تغلب
والصدق يألفه الكريم المرتجى والكذب يألفه الدنى الأخيب

ويتمثل من شعره بقوله:

وترد عنك مخيلة الرجل ال عريض موضحة عن العظم
بحسام سيفك أو لسانك، وال كالم الأصيل كأرغب الكلم^(١)
ويقوله:

لنا يوم وللكروان يوم تطير البائسات ولا تطير

الكروان: جمع كروان.

(١) العريض: الذى يتعرض الناس بالشر، الشعر والشعراء ١ / ١٨٧.

ويقال إن أول شعر قاله طرفة أنه خرج مع عمه فى سفر، فنصب
فخاً، فلما أراد الرحيل قال:

يا لك من قبرة بمعمر خلا لك الجو فيبضى واصفرى
ونقرى ما شئت أن تنقرى قد رفع الفخ فماذا تحذرى
لا بد يوماً أن تصادى فاصبرى

* * *

وكان أحدث الشعراء سنا وأقلهم عمراً، قتل وهو ابن عشرين سنة،
فيقال له «ابن العشرين»^(١). وكان يتادم عمرو بن هند، فأشرفت ذات
يوم أخته، فرأى طرفة ظلها فى الجام الذى فى يده؛ فقال:

ألا يا أبى الطيبى ال لذى يبرق شتفاه
ولولا الملك القاع مد قد أثنى فاه^(٢)

فحقد ذلك عليه، وكان قال أيضاً:

وليت لنا مكان الملك عمرو رغوئاً حول قبتنا تدور
لعمرك إن قابوس بن هند ليخلط ملكه نوك كثير

(١) سمط الآلى: ص ٣١٩، خزنة الأدب ١ / ٤١٤، ٤١٦، الشعر والشعراء ١ / ١٨٨.
(٢) الشنف بفتح فسكون: الذى يلبس فى أعلى الأذن، والقرط: فى أسفلها، وقيل: هم
سواء، الشعر والشعراء ١ / ١٨٩.

وقابوس: هو أخو عمرو بن هند، وكان فيه لين، ويسمى قينة العرس.
فكتب له عمرو بن هند إلى الربيع بن حوثة عامله على البحرين كتاباً
أوهمه فيه أنه أمر له بجائزة، وكتب للمتلمس بمثل ذلك.

وأما طرفة فمضى بالكتاب، فأخذه الربيع فسقاه الخمر حتى أثمله،
ثم فصّد أكحله، فقبره بالبحرين. وكان لطرفة أخ يقال له معبد بن
العبد، فطلب بديته، فأخذها من الحوثر^(١).

قال أبو عبيدة: مر ليبيد بمجلس لنهد بالكوفة، وهو يتوكأ على عصا،
فلما جاوز أمروا فتى منهم أن يلحقه فيسأله: من أشعر العرب؟ ففعل،
فقال له ليبيد: الملك الضليل، يعنى امرأ القيس، فرجع فأخبرهم، قالوا:
ألا سألته: ثم من؟ فرجع فسأله، فقال: ابن العشرين، يعنى طرفة، فلما
رجع قالوا: ليتك سألته: ثم من؟ فرجع فسأله، فقال: صاحب المحجن،
يعنى نفسه^(٢).

قال أبو عبيدة: طرفة أجودهم واحدة، ولا يلحق بالبحور^(٣)، يعنى

(١) الأغاني ٢١ / ١٣٢.

(٢) الأغاني ١٤: ٩٣، الشعر والشعراء ١ / ١٩٠.

(٣) «طرفة أجودهم، وأجده لا يلحق بالبحور» الجمحى ٣٠ «طرفة أجودهم واحدة، وهى قوله» فأشار إلى المعلقة. وقد قال فى أول الكلام: «الطبقة الرابعة، وهم أربعة رهط فحول شعراء، موضعهم مع الأوائل، وإنما أخل بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة».

امراً القيس وزهيراً والتابغة، ولكنه يوضع مع أصحابه: الحرث بن حنظلة
وعمر بن كلثوم وسويد بن أبي كاهل.

ومما سبق إليه طرفة فأخذ منه قوله يذكر السفينة:

يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم التراب المفايل باليد^(١)
أحده لبيد فقال:

تشق خمائل الدهن يداه كما لعب المقامر الفياض
وأخذه الطرمح فقال:

وغدا تشق يداه أوساط الرما قسم الفياض تشق أوسطه اليد

ومن ذلك قوله:

ومكان زعل ظلمانه كالمخاض الجرب في اليوم الخدر^(٢)

(١) من المعلقة. حباب الماء: طرائقه، وقيل معظمه. الحيزوم: الصدر. المفايل، بالياء، و«المفايل» بالهمزة، وكذلك «الفياض» في البيتين الآتين. و«الفياض» بفتح الفاء وكسرهما وتخفيف الياء: لعبة لفتيان الأعراب بالتراب، يخبؤون الشيء في التراب ثم يقسمونه بقسمين، ثم يقول الخائب لصاحبه: في أي القسمين هو؟ فإذا أخطأ قال له: قال رأيك، اللسان ٣٨٦ و ١٤ : ٥١.

(٢) الزعل: التشيط. الظلمان: جمع ظليم، وهو ذكر النعام المخاض: الحوامل من النوق. الخدر: الشديد البرد.

قد تبطننت وتحتى سرح تتقى الأرض بملثوم معر^(١)

أخذه عدى بن زيد وليبد، فقال عدى:

ومكان زغل ظلمانه كرجال الحبش تمشى بالعمد

قد تبطننت وتحتى جصرة عبر أسفار كمخراق وحد^(٢)

وقال لبید:

ومكان زغل ظلمانه كحزيق الحبشيين الزجل^(٣)

قد تبطننت وتحتى جصرة حرج فى مرفقيها كالقتل^(٤)

* * *

ومن ذلك قوله^(٥):

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم أحفل متى قام عودى

(١) تبطننت: صرت فى بطنه. سرح: يريد ناقة منسرحة فى مشيها، أى سريعة. وفى الديوان ٦٦ «وتحتى جصرة». بملثوم: أى يخف ملثوم، وهو الذى جرحته الحجارة. المعر: الذى ذهب شعره.

(٢) الجصرة: الناقة الطويلة الضخمة. وحد: منفرد.

(٣) الحزيق: الجماعة من الناس. الزجل: جمع زجلة، وهى الجماعة من الناس، اللسان ١١: ٣٣١، ١٣: ٣٢٢.

(٤) الحرج: الناقة الجسيمة الطويلة على وجه الأرض. القتل: تباعد ما بين المرفقين عن جنبى البعير، اللسان ١٤: ٢٩.

(٥) من المعلقة، الشعر والشعراء ١ / ١٩١.

فمنهن سبقي العاذلات بشرية

كميت متى ما تعل بالماء تزيد

وكري ، إذا نادى المضاف ، محنباً

كسيد الغضا ، نيهته ، المتورد^(١)

وتقصير يوم الدجن ، والدجن معجب ،

ببهكنة تحت الخباء المعمد^(٢)

أخذه عبد الملك بن نهيك بن إساف الأنصاري فقال: ^(٣)

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم أحفل متى قام رامس

فمنهن سبقي العاذلات بشرية كأن أخاها مطلع الشمس ناعس

ومنهن تجريد الكواعب كالدمى إذا ابتز عن أكفالهن الملابس

(١) كرى: عطفى. المضاف: الذى أحيط به، يقال «أضفته إلي كذا» أى الحأته، ومنه المضاف فى الحرب. السيد: الذئب. الغضا: شجر. المتورد: الذى يطلب أن يرد الماء، اللسان ١: ٣٢٤، ١١: ١١٤.

(٢) الدجن: إلباس الغيم الأرض، وقيل: الندى والمطر الخفيف. يريد أنه يقصر يومه باللهم، ويوم اللهو قصير. البهكنة: الجارية الخفيفة الروح الطيبة الرائحة المليحة الحلوة. المعمد: ذو العمد.

(٣) هو عبد الله بن أبى معقل بن نهيك بن إساف الأنصاري، شاعر مقل حجازى من شعراء الدولة الأموية. ترجم فى الأغانى ٢٠: ١١٦ - ١١٨ والأبيات فيه.

ومنهن تقريظ الجواد عنانه إذا استبق الشخص الخفى الفوارس^(١)

ومما سبق إليه قوله: (٢)

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً وبأتيك بالأخبار من لم تزود
وقال غيره:

وبأتيك بالأنباء من لم تبع له بتاتاً ولم تضرب له وقت موعد^(٣)

ومن جيد شعره:

ألا أيها اللاحى أن أحضر الوغى

وأن أشهد اللذات: هل أنت مخلصي^(٤)

(١) التقريظ: فعل الفارس، وهو حمل الجواد على أشد الحضر، وذلك أنه إذا اشتد حضره امتد العنان على أذنه فصار كالقرط، ونسبته للجواد نفسه توسع.

(٢) من المعلقة، الشعر والشعراء ١ / ١٩٢.

(٣) وهذا البيت ثابت في المعلقة بعد البيت السابق، في جمهرة أشعار العرب وشرح القصائد العشر وشرح الزوزنى على المعلقة وشرح ديوان طرفة. وذكر في اللسان ٢: ٣١٢ غير منسوب. البتات: الزاد، وفسر في الجمهرة بالسرا، ونسبه ابن قتيبة لغير طرفة، الشعر والشعراء ١ / ١٩٣.

(٤) من المعلقة. اللاحى: اللاتم والعاذل.

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي

فذرني أبادرها بما ملكت يدي

أرى قبر نحامٍ بخيلٍ بماله... البيت

أرى الدهر كنزاً... البيتين^(١)

* * *

ومن جيد شعره:

ولا غرو إلا جارتى وسؤالها: ألا هل لنا أهل؟ سئلت كذلك^(٢)

دعا عليها بأن تغترب حتى تسأل كما سألته.

ومن حسن الدعاء قول النابغة الذبياني:

أغيرك معقلاً أبغى وحصناً فأعيتني المعقل والحصون

وجئتك عارياً خلقاً ثيابي على خوفٍ تظن بي الظنون^(٣)

العارى: من «عراك يعروك» إذا أتاك يطلب ما عندك، ونحوه العافى

(١) الشعر والشعراء ١ / ١٩٣.

(٢) لا غرو: لا عجب. الديوان ٥٥، اللسان ١٩: ٣٥٨.

(٣) الشعر والشعراء ١ / ١٩٤.

ومن جيد شعر طرفة:

وأعلم علماً ليس بالظن أنه إذا ذل مولى المرء فهو ذليل
وإن لسان المرء، ما لم تكن له حصاة، على عوراته لدليل^(١)
وإن امرءاً لم يعف يوماً فكاهة لمن لم يرد سوءاً بها لجهول
وقال وهو صبي:

كل خليل كنت خاللته لا ترك الله له واضحة^(٢)
كلهم أروغ من ثغلب ما أشبه الليلة بالبارحة

ومما يعاب من شعره قوله يدح قوماً:

أسد غيلٍ فإذا ما شربوا وهبوا كل أمون وطمر^(٣)

(١) الحصاة: العقل والرأى، وفى اللسان: «يقول: إذا لم يكن مع اللسان عقل يحجزه عن بسطه فيما لا يجب دل اللسان على عيبه بما لفظ به من عور الكلام». وذكر البيت والذي قبله ونسبهما لكعب بن سعد الغنوى، ثم قال: «ونسبه الأزهري لطرفة». والأبيات الثلاثة فى ديوان طرفة ٥٢ فى قصيدة.

(٢) الواضحة: الأسنان التى تبدو عند الضحك، صفة غالبية، الديوان ٤٣، اللسان ٣: ٤٧٤.

(٣) القصيدة فى الفخر بنفسه ويقومه. الغيل: شجر كثير ملتف يستتر فيه كالأجمة.

الطمر: الفرس الجواد المستفز للوثب والعدو. والبيت ملفق من بيتين فى الديوان ٦٧، ٦٨.

ثم راحوا عبق المسك بهم يلحفون الأرض هداًب الأزراً^(١)
ذكر أنهم يعطون إذا سكروا، ولم يشرط لهم ذلك فى صحوهم كما
قال عنترة:

وإذا شربت فإننى مستهلك مالى، وعرضى وافر لم يكلم
وإذا صحت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلى وتكرمى
قالوا: والجيد قول زهير:

أخو ثقة لا تتلف الخمر ماله ولكنه قد يتلف المال نائله
وقال بعض المحدثين:

فتى لا تلوك الخمر شحمة ماله ولكن عطايا عود وبوادی

* * *

وطرفة أول من طرد الخيال، فقال:

فقل لخيال الختلية ينقلب إليها، فإنى واصل جبل من وصل

(١) عبق: تقرأ اسماً وفعلًا، عبق الطيب، من باب «فرح» علق ولصق. يلحفون الأرض يغطونها ويلبسونها هداًب أزهرهم إذا جروها فى الأرض، يقال «لحفه وألحفه» بمعنى، اللسا.
١١: ٢٢٥، ١٢: ١٠٤.

وقال جرير:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعى بسلام
قال الأصمعى: قلت لشيخ مسن من المدنيين: رأيت قول كثير:
قد أروع الخليل بالصرم منى لم يخفه ، وقلة التكليم
أى شئ هذا من السباب؟ فقال: يا ابن أم ، أى شئ يصنع؟
أحرقته! (١)

وكان طرفة قد سمى بذلك ببيت قاله ، كما سمى كل من المتلمس ،
وأفنون التغلبى ببيت من شعرهما ، وكذلك سمى شعراء بأبيات
لهم (٢).

وقال الشعر ، ووقع به فى أعراض الناس ، حتى هجا قومه وأهله ،
وحتى هجا عمرو بن هند ملك العرب على الحيرة ، مع أنه كان يتطلب
معروفه وجوده ، فبلغ عمرو بن هند هجا طرفة له ، فاضطغنها عليه ،
وأسرها فى نفسه ، حتى إذا ما جاءه هو وخاله المتلمس يتعرضان

(١) الشعر والشعراء ١ / ١٩٦ .

(٢) النقااض ، ص ٨٨٦ ، البيان والتبيين ١ / ١٤٩ ، شرح شواهد المغنى ص ١٧ ،
هامش تاريخ الأدب العربى ، برولكمان ١ / ٩٢ .

لفضله - وكان قد بلغه من المتلمس مثل الذى وصل إليه عن طرفه - أظهر لهما البشاشة والوداد ليؤمنهما، وأمر لكل منهما بجائزة، وكتب لهما كتابين، وأحالهما إلى عامله بالبحرين ليستوفياها منه، فبينما هما فى الطريق ارتاب المتلمس فى صحيفته، فخرج على غلام يقرأها له، ومضى طرفه، فإذا فى الصحيفة الأمر بقتله، فألقى الصحيفة، وأراد أن يلحق طرفه فلم يدركه، وفر إلى ملوك غسان، وذهب طرفه إلى عامل البحرين، وقتل هناك وعمره نحو ست وعشرين سنة.

وقال طرفه الشعر وهو صبى فنبغ فيه حتى عد من الفحول ولم ينيف على العشرين، وزاد عليهم بقصيدته الطويلة التى وصف فيها الناقة بخمسة وثلاثين بيتاً وصفاً لم يسبقه إليه أحد، وتعد معلقته من أجود المعلقات، وأكثرها غريباً، وأغزرها معنى، وروى له غيرها من الشعر، ولكنه قليل بالنسبة لشهرته، وربما دل هذا على أن الرواة قد جهلوا أكثره، ويجيد طرفه الوصف فى شعره، مقتصرأ فيه على بيان الحقيقة، بعيداً عن الغلو والإغراق، وكذلك كان هجاؤه على شدة وقعه، ومطلع معلقته:

لخولة أطلال ببرقة تهمد تلوح كباقي الوشم فى ظاهر اليد

ومنها:

رأيت بنى غبراء لا ينكروننى ولا أهل هناك الطراف الممدد

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى
وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى
فإن كنت لا تستطيع دفع منيتى
فدعنى أبادرها بما ملكت يدي
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى
عقيلة مال الفاحش المتشدد^(١)
ومن أبياته السائرة قوله:
وظلم ذوى القربى أشد مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهند
أرى الموت أعداد النفوس، ولا أرى
بعيداً غداً، ما أقرب اليوم من غدا
ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

(١) شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني ص ٢٦٢.

وبأتيك بالأخبار من لم تبع له

بتاتاً ، ولم تضرب له وقت موعد

وقوله:

كل خليل كنت خاللته لا ترك الله له واضحه

كلهم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحه

وقوله:

وأعلم علماً ليس بالظن أنه إذا ذل مولى المرء فهو ذليل

وإن لسان المرء - ما لم يكن له حصاة - على عوراته لدليل

وقوله:

قد يبعث الأمر الصغير كبيره حتي تظل له الدماء تصيب

ومن كلامه يفتخر:

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتفر

حين قال الناس في مجلسهم : أقتار ذاك أم ربح قطر

بجفان تعترى نادينساً من سديف حين هاج الصنبر

كالجوابى لا تنى مترعة لقرى الأضياف أو للمحتضر
ثم لا يخزن فينا لحمها إنما يحزن لحم المدخر
فمسك الخيل على مكروهاها حين لا يمسكها إلا الصبر^(١)
ومن قوله فى وصف الناقة:

وإنى لأمضى الهم عند احتضاره بعوجاء مرقال تروح وتغتدى
أمون كألواح الإران نصأتها على لاحب كأنه ظهر برجد
جمالية وجناء تردى كأنها سفنجة تبرى لأزعر أريد
تبارى عتاقاً ناجياتٍ وأتبع وظيفاً وطيفاً فوق مسور معبد
تربعت القفين فى الشول ترتعى حدائق مولى الأسرة أغيد
تربع إلى صوت المهيب ، وتتقى بذى حصل روعات أكلف ملبد
كأن جناحى مضرحى تكنفاً حفافيه شكاً فى العسيب بمسرد
فطوراً به خلف الزميل ، وتارةً على حشف كالشن ذاوٍ مجدد^(٢)

(١) شرح مقامات بدیع الزمان الهمذاني، ص ٢٦٣.

(٢) شرح مقامات بدیع الزمان الهمذاني، ص ٢٦٢ ، ٢٦٤.

الفصل السادس

جبرير والفخرزدق

أما جرير فهو جرير بن عطية بن حذيفة، ولقب حذيفة الخطفى لقوله:

* وعنقاً باقى الرسيم خيطفاً^(١) *

وهو من بنى كليب بن يربوع. وكان عطية أبو جرير مضعوفاً، وأم جرير من بنى كليب بن يربوع. وكان له أخوان. وولدت جريراً أمه لسبعة أشهر، وعمر نيفاً وثمانين سنة، ومات باليمامة. وكان يكنى أبا حزرة، وكان له عشرة من الولد، فيهم ثمانية ذكور، منهم بلال بن جرير، وكان أفضلهم وأشعرهم، ويكنى أبا زافر، ورأى فى المنام أنه قطعت له أربع أصابع من أصابعه، فقاتل بنى ضبة فقتلوا له أربعة بنين. ولبلال عقب، منهم عمارة بن عقيل بن بلال، وهو القائل فى دينارٍ ويحيى ابنى عبد الله:

ما زال عصياننا لله يسلمنا حتى دفعنا إلى يحيى ودينار
إلى عليجين لم تقطع ثمارهما قد طال ما سجداً للشمس والنار

(١) لسان العرب ١٠ / ٤٢٤، الاشتقاق ص ١٤١ الشعر والشعراء ١ / ٤٦٤، العنق: ضرب من سير الدابة، الرسيم: أثر الناقة فى الأرض، الخيطفى: سرعة المجذاب السير.

وكان بلال نزل برجلٍ يقال له مسعود بن طعمة، من بنى بيدعة، فلم
يحسن قراه، فقال:

أمسعود أنت اللئيم الأثيم	كأنك قنفذة فى ضعه
سمعنا له إذ نزلنا به	كلاماً كما تنطق الضفدعه
فأى اللئيمين أشبهته	أطعمة أم أمك الكوتعه
عددنا عدياً وآباءهم	فشر عدى بنو بيدعه
فما أعطش الضيف لما غدا	من البیدعات وما أجوعه

وقال (بلال) فى قوم من بنى فقيم، يقال لهم بنو ناشرة:

عددنا فقيماً وآباءهم	فشر فقيم بنو ناشره
قصار الفعال طوال الخطى	مناتين ليست لهم بادره
يعدون غرماً قرى ضيفهم	فلا عدموا صفقة خاسره
إذا ضفتهم ثم ساءلتهم	وجدت بهم علة حاضره
وليسوا، إذا قلت: ماذا هم؟	بأصحاب دنيا ولا آخره

وقال فى حماد المنقر:

نزلنا بحمادٍ فخلى كلابه علينا، فكدنا بين بيتيه نؤكل

وقد قال قبلى قائل ظل فيهم: إذا اليوم أو يوم القيامة أطول^(١)

ومن ولد جرير عكرمة بن جرير، وكان شاعراً، ونوح بن جرير، وكان شاعراً.

وكان جرير من فحول شعراء الإسلام، ويشبه من شعراء الجاهلية بالأعشى. وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: هما بازيان يصيدان ما بين العنديلين إلى الكركي.

وكل من أحسن الناس تشبيهاً. عن الأصمعي قال: سمعت الحى يتحدثون أن جريراً قال: لولا ما شغلنى من هذه الكلاب لشببت تشبيهاً تحن منه العجوز إلى شبابها ما تحن الناب إلى سقبها.

وكان من أشد الناس هجاء. قال الأصمعي: أخبرنا شيخ من أهل البصرة قال: مر راعى الإبل فى سفر فسمع إنساناً يتغنى (على قعود له) بشعر جرير، وهو قوله:

(١) الشعر والشعراء ١ / ٤٦٥.

وعاوى من غير شئ رميته بقافية أنفاذا تقطر الدما
خروج بأفواه الرواة كأنها قري هندوانى إذا هز صمما
(فقال: لمن هذا: قيل: لجرير)، فقال الراعى: لعنة الله على من
يلومنى أن يبلغنى مثل هذا! (١)

وكان مع حسن تشبيهه عفيفاً، وكان الفرزدق فاسقاً، وكان يقول:
ما أحوجه مع عفته إلى صلابة شعري، وما أحوجنى إلى رقة شعره، لما
تروى.

وحكى أبو عمرو بن العلاء قال: كنت قاعداً عند جرير وهو يلى:
ودع أمانة حان منك رحيل إن الوداع لمن تحب قليل
فمرت به جنازة، فترك الإنشاد وقال: شيبتى هذه الجنائز، قلت:
فلأى شئ تشتم الناس؟ قال: يبدووننى ثم لا أعفو، (قال): وكان
يقول: أنا لا أبتدى ولكن أعتدى.

ويلغى عن بعض شعراء بنى كليب شئ ساء، فدعاه إلى مهاجاته،
فقال الكليبى: إن نسائى بامتهن، ولم تدع الشعراء فى نسائك مترقعا.

(١) الشعر والشعراء، ١/ ٤٦٦، زهر الآداب ١/ ٥٧ - ٥٨

وكان جرير يقول: النصراني أنعتنا للخمر والحمر وأمدحنا للملوك،
وأنا مدينة الشعر.

وقال أبو عمرو: سئل الأخطل: أيكم أشعر؟ قال: أنا أمدحهم
للملوك وأنعتهم للخمر والحمر، يعنى النساء، وأما جرير فأنسبنا
وأشبهنا، وأما الفرزدق فأفخرنا.

وقال مروان بن أبي حفصة:

ذهب الفرزدق بالفخار وإنما حلو القريض ومره لجرير

وكان جرير مقيماً بالمروت من البادية، والفرزدق بالعراق، وهما
يتهاجيان، فأرسلت بنو يربوع إلى جرير: إنك مقيم بالمروت ليس
عندك أحد يروى عنك والفرزدق بالعراق قد ملأها عليك منذ سبع
حجج، فأنحدر إلى العراق فأقام بالبصرة، ولذلك يقول:

وإذا شهدت لشعر قومي مشهداً آثرت ذاك على بنى ومالي

ومدح الحجاج فأكرمه وأدناه، وأوفده إلى عبد الملك بن مروان
فاستنشده، فأنشده في الحجاج:

صبرت النفس يا بن أبى عقيل مجاهدة، فكيف ترى الشوايا
إذا سحر الخليفة نار حرب رأى الحجاج أثقبها شهاباً
وأنشده مدحته التى يقول فيها:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

فأمر له بمائة ناقة من نعم كلب، فقال له جرير يا أمير المؤمنين، نحن
أشياخ، وليس فى واحد منا فضل على راحلته، والإبل أباق، قال: فنجعل
أثمانها لك رقة؟ قال: لا، ولكن الرعاء، فأمر له بثمانية أعبد، فقال
جرير: والمحلب يا أمير المؤمنين! فنبذ إليه إحداهن بالخيزرانة، وقال:
خذا لا تفعتك! ففى ذلك يقول جرير:

أعطوا هنيذة يحدوها ثمانية ما فى عطائهم من ولا سرف^(١)

قال أبو عبيدة: كان الفرزدق بالمريد، فمر به رجل قدم من اليمامة،
فقال له: من أين وجهك؟ قال: من اليمامة، قال: فهل علقت من جرير
شيئاً؟

فأنشده : * هاج الهوى بفؤادك المهتاج *

فقال الفرزدق : * فانظر بتوضيح باكر الأحداج *

(١) هنيذة: اسم للمائة من الإبل، لسان العرب ٤/ ٤٤٩، الشعر والشعراء ١/ ٤٦٨.

فقال * هذا هوى شغف الفؤاد مبرح *

فقال الفرزدق : * ونوى تقاذف غير ذات خلاج *

فقال * لبت الغراب غداة ينعب دائباً *

فقال الفرزدق : * كان الغراب مقطع الأوداج *

فما زال (الرجل) ينشده صدرأ (صدرأ) من قول جرير، وينشده
الفرزدق عجزاً (عجزاً)، حتى ظن الرجل أن الفرزدق قالها (وأن جريراً
سرقها)، ثم قال له: هل ذكر فيها الحجاج؟ قال: نعم، قال: إياه أراد.

ومن خبيث هجائه قوله للفرزدق:

* لقد ولدت أم الفرزدق مقرفاً * الأبيات

ومن جيد شعره قوله:

تعالوا نحاكمكم ، وفى الحى مقنع

إلى الغرمن أهل البطاح الأكارم

فإن قريش الحق لم تتبع الهوى

ولم يرهبوا فى الله لومة لائم

فإني لراضٍ عبد شمس وما قصت
وأرضى بحكم الصيد من آل هاشم
أذكركم بالله : من ينهل القنا
ويضرب كبش الجحفل المتراكم
وكنتم لنا الأتباع فى كل موقف
وريش الذنابى تابع للقوادم
إذا عدت الأيام أخزيت دارماً
وتخزيك يا بن القين أيام دارم
وما زادنى بعد المدى نقض مرة
ولا رق عظمى للضروس العواجم
ويستجاد له قوله: * فأنت أبى ما لم تكن لى حاجة * الأبيات
وقوله يرثى امرأته: * لى الحياء لعادنى أستعبار * الأبيات^(١)
ومنها:
لولا الحياء لهاجنى استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

(١) الشعر والشعراء ١ / ٤٦٩.

ولهمت قلبي إذ علتني كبرة وذوو التماث من بتيك صغار

لا يلبث القرناء أن يتفرقوا ليل يكر عليهم ونهار

وهو أحد فحول الشعراء الإسلاميين، وبلغاء المداحين الهجائين وأنسب الثلاثة المفلقين وهو من بنى يربوع أحد أحياء تميم، ولد باليمامة سنة اثنتين وأربعين من الهجرة، من بيت اشتهر بالشعر، ونشأ بالبادية، وفيها قال الشعر ونبغ فيه، وكان يختلف إلى البصرة في طلب الميرة ومدح الكبراء، وينزل على من يسكن البصرة من قومه، فرأى الفرزدق وما كسبه الشعر من المنزلة عند الأمراء والولاة، وهو تميمي مثله، وود لو يسبقه إلى ما ناله، وأغراه قومه للتنويه بشأنهم، إذ كان الشعر في ذلك العصر هو وسيلة الإعلان عن الشرف، ثم وقعت بينه وبين الفرزدق المهاجاة والملاحاة عشر سنين، وكان أكثر إقامة جرير أثناءها بالبادية، وكان الفرزدق مقيماً بالبصرة مصر العرب يملأ عليه الدنيا هجاء وسباً، فما زال به بنو يربوع حتى أقدموه البصرة، فكان يقيم بها كثيراً، واتصل بالحجاج ومدحه فأكرمه ورفع منزلته عنده، فعظم أمره، وشرق شعره وغرب حتى بلغ الخليفة عبد الملك فحسد الحجاج عليه، فأوقفه الحجاج مع ابنه محمد إلى الخليفة بدمشق ليصل بذلك إلى مدحه، فلما دخل عليه الوفا استأذنه جرير في إنشاده، فأبى، وقال له: إنما أنت للحجاج، فما برج يتوسل إليه حتى قبل مدحه، وأجازه عليه جائزة سنوية، ومن ذلك الحين عد من

مداح خلفاء بنى أمية، ودخل فى غمار المتزاحمين على أبوابهم، والمتنافسين فى نيل جوائزهم، وجره ذلك إلى معاداة منافسيه ومهاجاتهم، وحرش الفرزدق بينه وبينهم، وأغراهم بالمال، ونصب له منهم ثمانين شاعراً، ولكن جريراً غلبهم كلهم وأخسرهم، وثبت له من دونهم الفرزدق والأخطل، فبقيت حرب المهاجاة بينهم سجالات حتى مات الأخطل، وغبر الفرزدق وجرير يتسابان مدة حياتهما، إلا مدة قليلة تنسك فيها الفرزدق وتاب، ثم مات، ولم يطل عمر جرير بعده إلا نحو ستة أشهر، ومات باليمامة سنة مائة وعشر من الهجرة وكان فى جرير - على هجائه للناس وخوضه فى أعراضهم - عفة، ودين، وحسن خلق، ورقة طبع، وقد ظهر أثر هذه الخلال فى شعره.

وقد اتفق علماء الأدب وأئمة نقد الشعر على أنه لم يوجد فى الشعراء الذين نشأوا فى الإسلام أبلغ من جرير والفرزدق والأخطل، وإنما اختلفوا فى السابق منهم، والمبرز فى حلبتهم، ومال إلى كل واحد منهم جماعة انتصروا له وفضلوه على أخويه، ولكل هوى وميل فى تقديم صاحبه: فمن كان هواه فى النسيب، وجودة الغزل والتشبيب، وجمال اللفظ ولين الأسلوب، والتصرف فى أغراض شتى فضل جرير وحكم بسبقه، ومن مال إلى جودة الفخر، وفخامة اللفظ، ودقة المسلك، وصلابة الشعر، وقوة أسره، فضل الفرزدق ورأى خيراً من كليهما، ومن نظر - بعد بلاغة اللفظ، وحسن الصوغ - إلى إجادة المدح والإمعان فى الهجاء، واستهواه وصف الخمر، واجتماع الندمان

عليها حكم للأخطل وهناك فريق يدخل فى الموازنة بينهم ما ليس من موضوع الأدب، فأهل الحسب والنسب يقدمون الفرزدق، وأهل الدين والعفة يقدمون جريراً، وأدباء المسيحيين يقدمون الأخطل، ولا عبرة بذلك فى باب صناعة الشعر.

على أن طائفة من أهل النقد المعتد بهم يرون جريراً أشعر الثلاثة؛ لأنه طرق جميع أبواب الشعر ولم يقصر فى باب، فى حين أن الفرزدق امتاز بالفخر، وأن الأخطل تفرد بالمدح والهجاء ووصف الخمر، ويحتجون لهذا الرأى بحجج، الأولى: أنه لما ماتت امرأة الفرزدق لم تندبها النوادب إلا بشعر جرير فى رثاء امرأته، والثانية: أن الفرزدق كان يحسده على رقة شعره ويقول: «ما أحوج جريراً مع عفافه إلى صلابة شعرى، وأحوجنى مع شهواتى إلى رقة شعره». والثالثة: أن له فى كل باب من الشعر أبياتاً سائرة هى الغاية التى تضرب بها المثل، فيقال: إن أغزل شعر قالته العرب هو قوله:

إن العيون التى فى طرفها حور قتلنا ثم لم يحين قتلاتنا

بصر عن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنساناً

ويقال: إن أمدح بيت قوله:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح؟

ويقال: إن أفخر بيت قوله:

إذا غضبت عليك بنو تميم رأيت الناس كلهم غضاباً

ويقال: إن أهجنى بيت - مع التصون عن الفحش - قوله:

فغض الطرف إنك من غير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

ويقال: إن أصدق بيت قوله:

إنى لأرجو منك خيراً عاجلاً والنفس مولعة بحب العاجل

ويقال: إن أشد بيت تهكماً قوله:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً أبشر بطول سلامة يا مربع

ونحو ذلك كثير فى شعره.. قيل: وقد لعب جرير وجد فى قصيدة
يهجو بها الأخطل التغلبى بما لو أرادته غيره لامتنع عليه، ففى لعبه
يقول:

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلا بعينك لا يزال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لى: ماذا لقيت من الهوى ولقينا؟

وفى جده يقول:

إن الذى حرم المكارم تغلباً جعل الخلافة والنبوة فيناً

مضر أبى، وأبو الملوك، فهل لكم يا خزر تغلب من أب كأبينا؟
هذا ابن عمى فى دمشق خليفة لو شئت ساقكم إلى قطينا
قيل: فلما بلغ عبد الملك هذا الشعر قال: ما زاد ابن المراغة أن
جعلنى شرطياً! أما إنه لو قال:

* لو شاء ساقكم إلى قطينا *

لسقتكم إليه كما قال.

ومن بديع شعره قوله:

لا بارك الله فى الدنيا إذا انقطعت

أسباب دنياك من أسباب دنيانا

ما أحدث الدهر مما تعلمين لكم

للحبل صرماً ، ولا للعهد نسياناً

أبدل الليل لا تسرى كواكبه

أم طال حتى حسبت النجم جيراناً؟

وقد دام الهجاء بين الفرزدق وجريـر أربعين سنة، وسببه أن البيـث الشاعر من مجاشع هجا جريراً، فهجاه جرير فاستعان البيـث على جرير بالفرزدق، فسقط البيـث، وبقي الفرزدق يهاجى جريراً إلى أن وافته منيته.

والعلماء بالشعر مختلفون أى الشعراء أفضل؟ وقد قال أحد العلماء: ما شهدت مشهداً قط ذكر فيه جرير، والفرزدق، فأجمع أهل ذلك المجلس على أحدهما، على أن الأكثرين يرون أن جريراً أشعر.

وكان جماعة من كبار الرواة والشعراء يفضلون الفرزدق، حتى كان البحترى الشاعر العباسى المشهور يقول: لا أرى أن أكلم من يفضل جريراً على الفرزدق، ولا أعده من العلماء بالشعر، وكان يرى أن الفرزدق أعمق معانى، وأحسن اختراعاً لها من جرير.

وقد أنصف الأصفهاني فى الأغاني فقال: أما من كان يميل إلى جودة الشعر، وفخامته، وشدة أسره فيقدم الفرزدق. وأما من كان يميل إلى أشعار المطبوعين، وإلى الكلام السمج الغزل فيقدم جريراً. وقد قال مروان بن أبى حفصة:

ذهب الفرزدق بالفخار وإنما حلوا الكلام ومره لجرير^(١)

(١) التاريخ الأدبى للعصرين الأموى والعباسى الأول ١٠٥ / ٢ - ١٠٦.

أما سبب التهاجي بين جرير والأخطل فإنه لما وصف للأخطل جرير والفرزدق، وقيل له: إن جريراً يغرف من بحر، والفرزدق ينحت من صخر، فضل جريراً، فاستاء لذلك أحد أمراء بني أمية، وبعث إلى الأخطل بمال وكسوة وخمر، وطلب إليه أن يفضل الفرزدق على جرير، ويهجو جريراً، ليلته إلى الفرزدق، ففعل، فأجابه جرير، ثم اتصل الشر بينهما^(١).

وقيل: إن الأخطل قال لابنه مالك: انحدر إلى العراق حتى تسمع منهما، وتأتيني بخبرهما، فانحدر مالك حتى لقيهما، وسمع منهما، ثم أتى أباه ففضل جريراً على الفرزدق^(٢).

واشتغل الأخطل بمهاجاة جرير حتى مات، وروى أنه أوصى الفرزدق على لسان ذويه ألا يكف عن هجاء جرير، ولا يدعه في هدوء.

وثمة فريق يرى الجودة والضعف فينقده في شعر جرير والفرزدق.

فقد اجتمع جرير والفرزدق عند الحجاج، فقال لهما: من مدحني منكما بشعر يوجز فيه، ويحسن صفتي، فهذه الخلعة له، فأنشد الفرزدق:

فمن يأمن الحجاج والطير تتقى عقوبته إلا ضعيف العزائم

(١) التاريخ الأدبي للعصرين الأموي والعباسي الأول ١٤٧ / ٢.

(٢) الأغاني ١٠ / ٢، تاريخ الأدب العربي، بروكلمان ٢٠٦ / ١.

ثم أنشد جرير:

فمن يأمن الحجاج أما عقابه فمر وأما عقده فوثيق
يسر لك البغضاء كل منافق كما كل ذي دين عليك شفيق
فقال الحجاج للفرزدق: ما عملت شيئاً، إن الطير تتقى الصبي
والخشب، ودفع الخلعة إلى جرير^(١).

واجتمع في ضيافة سكينه بنت الحسين جرير، والفرزدق، وكثير،
وجميل، ونصيب، فقال للفرزدق: أنت القاتل:

هما دلياني من ثمانين قامه كما انحط باز أقيم الريش كاسره
فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا أحي يرجى أم قتيل نحاذره
فقلت ارفعوا الأمراس لا يشعروا بنا وأقبلت في أعجاز ليل أبادره
أبادر بوابين قد وكلوا بنا وأحمر من ساج تبص مسامره
قال: نعم، قال: فما دعاك إلى إفشاء سرهما وسرك؟ هلا سترت
عليك وعليهما.

ثم قالت لجرير: أنت القاتل:

(١) معالم النقد الأدبي ص ١١٦ - ١١٧.

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام
تجري السواك على أغر كأنه برد تحدر من متون غمام
لو كان عهدك كالذي حدثنا لوصلت ذاك وكان غير لمام
إنى أواصل من أردت وصاله بحبال لا صلف ولا لوام
قال: نعم، قال: أولاً أخذت بيدها، وقلت ما يقال لمثلها؟ أنت
عفيف وفيك ضعف^(١).

وأراد البعيث الشاعر أن يفضح جلساء الخليفة الوليد بن عبد الملك
من الشعراء، قال:

قال الشيخ الأحمق - يعنى الفرزدق - لعبد بنى كليب:
بأى رشاء يا جرير وماتح تدليت فى حومات تلك القماقم
فجعله يتدلى عليه، وعلى قومه من عل، وإنما يأتيه من تحته، لو
كان يعقل.

وقد قال هذا - جرير:

لقومى أحبى للحقيقة منكم وأضرب للجبار والنقع ساطع
وأوثق عند المردفات عشية لحاقا إذا ما جرد السيف لامع

(١) معالم النقد الأدبى ص ١١٧ - ١١٨.

فجعل نساءه لا يثقن بلحاقه إلا عشية...

وقال هذا - الأخطل - ومدح رجلاً يسمى قينا، فهجاه، فلم يشعر، فقال:

قد كنت أحسبه قينا وأنبؤه فالآن طير عن أثوابه الشرر^(١)

وقال الفرزدق في جرير:

يهدى الوعيد ولا يحوط حريمه كالكلب ينبح من وراء الدار
أو يقول في عشيرته كليب:

يستيقظون إلى نهاق حمارهم وتنام أعينهم عن الأوتار
وكان جرير يلقيه بمثل قوله:

زعم الفرزدق أن سيقتل مريعاً أبشر بطول سلامة يا مريع
وقوله:

خذوا كحلأ ومجمرة وعطراً فلستم يا فرزدق بالرجال

أورد أبو الفرج في الأغاني أن جريراً وفد على الحجاج فسأله علام
تشتم الناس وتظلمهم فقال جرير والله إنني ما أظلمهم ولكنهم

(١) العقد الفريد ٤ / ١٩.

يظلموننى فأنتصر عليهم. مالى ولا بن عثمان، ومالى وللبيعث،
ومالى وللفرزدق، ومالى وللأخطل حتى عدهم واحداً واحداً فقال
الحجاج: ما أدرى مالك ومالهم. قال: أخبر الأمير أعزه الله، أما
غسان بن ذهيل فإنه من قومي هجاني وهجا عشيرتي، وكان شاعراً
قال الحجاج فما قال؟ قال^(١):

لعمري لئن كانت بجيلة زانها جريز لقد أذى كليباً جريزها
رميت نضالاً عن كليب فقصرت مراميك حتى عاد صفراً جفيريها
ولا يذبحون الشاه إلا بميسر طويلاً تناجيها صفاراً قدورها
قال فما قلت؟ قال:

ألا ليت شعري عن سليط ألم تجد سليط سوى غسان جاراً يجيرها
فقد صمنوا الأحساب صاحب سوء يناجى بها نفساً خبيثاً ضميرها
فما فى سليط فارس ذو حفيظة ومعقلها يوم الهياج جعورها
قال ثم من؟ قال البعيث. قال: فما لك وله؟ قال: اعترض دون ابن
غسان ليفضله على ويعينه، قال: فما قال لك؟ قال:
كليب لثام الناس قد تعلمونه وأنت إذا عدت كليب لثيمها

(١) الأغاني ١٤/٨ وما بعدها.

لقى مقعد الأحساب منقطع به إذا القوم راموا خطة لا يرومها
أترجو كليب أن يجيء حديثها بخير وقد أعيأ كليباً قديمها
قال: فما قلت له؟ قال:

ألم تر أنى قد رميت ابن فرتنى بصماء لا يرجو الحياة أميمها
له أم سوء بثسما قدمت له إذا فرط الأحساب عد قديمها
قال ثم من؟ قال الفرزدق. قال فمالك وماله؟ قال: أعان البعيث
على قال: فما قلت له قال:

تمنى رجال من تميم لى الردى
وما زاد عن أحسابهم ذائد مثلى
كأنهم لا يعلمون مواطنى
وقد جربوا أنى أنا السابق المجلى
فلو شاء قومى كان حلمى فيهم
وكان على جهال أعدائهم جهلى
وقد زعموا أن الفرزدق حية
وما قتل الحيات من أحد قبلى

قال ثم من؟ قال الأخطل. قال: مالك وماله؟ قال: رشاه محمد بن
عمير بن عطارد زقا من خمر وكساه حلة على أن يفضل على الفرزدق
ويهجوني. قال: فما قال لك؟ قال:

إخسا إليك كليب إن مجاشعاً وأبا الفوارس نهشلاً أخوان
وإذا وردت الماء كان لدارم جماته وسهولة الأعطان
وإذا قدفت أباك في ميزانهم رجحوا وشال أبوك في الميزان
قال: فما قلت له؟ قال: قلت:

يا ذا العباءة إن بشراً قد قضى ألا تجوز حكومة النشوان
فدعوا الحكومة لستم من أهلها إن الحكومة في بني شيبان
قتلوا كليبكم بلقحة جارهم يا خزر تغلب لستم بهجان
قال: ثم من؟ قال الراعى. قال مالك وماله؟ قال: قدمت البصرة
وكان بلغنى أنه قال في:

يا صاحبى دنا الرواح فسيروا غلب الفرزدق في الهجاء جريرا
فقلت له:

فغض الطرف إنك من غير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وهكذا أخذ يسرد له من التحم بهم فى الهجاء فكانوا عشرة وما
زال الحجاج يسمر بحديث مهاجاته للشعراء حتى طلع الصبح وقد قال
فى شأنه قاتله الله أعرابياً. إنه لجرو هراش.

وكذا هجا الأخطل بقوله:

إن الذى حرم المكارم تغلباً جعل النبوة والخلافة فينا
مضر أبى وأبو الملوك فهل لكم يا خزر تغلب من أب كأبينا
هذا ابن عمى فى دمشق خليفة لو شئت ساقكم إلى قطينا

ولما فضل الراعى الفرزدق على جرير فى قصيدته التى مطلعها:
يا صاحبي دنا الأصيل فسيرا غلب الفرزدق فى الهجاء جريراً
وعاتبه جرير فلم يعتبه، قال جرير قصيدته الفاضحة التى مطلعها:
أقلى اللوم عاذل والعتابا وقولى إن أصبت لقد أصابا
ومنها بعد نسيبه وفخره «فى نمر قبيلة الراعى»:

فغض الطرف إنك من نمر فلا كعباً بلغت ولا كلاباً
فلو وضعت فقاح بنى نمر على خبث الحديد إذا لذابا

ولو ولدت فقيرة جرو كلب لسبب ذلك الجرو الكلابا
ولو وطئت نساء بنى نمير على ترب لأخبثت الترابا
فلا صلى الإله على نمير ولا سقيت قلوبهم سحابا
أنا البازي المطل على نمير أتيح لهم من الجو انصبابا

وكان جرير من أهجى شعراء زمانه، وقد هاجى ثلاثة وأربعين شاعراً، وكان بعض هؤلاء يفتخر بمهاجاته، وإن غلبه، وكان راعى الإبل الشاعر يقضى للفرزدق على جرير ويفضله، فهجا جرير بنى نمير بثمانين بيتاً، وختمها ببيت أخزى الراعى فمات كمداً لذلك، وقد هاجى جرير البعيث أربعين سنة، ودامت مهاجاة جرير والفرزدق إلى آخر عمرهما، وعاون الأخطل الفرزدق.

وقد اختلف الشعراء فى أشعر الشعراء الثلاثة، وإن مال كثير منهم إلى تفضيل الأخطل:

وزعم أبو عمرو بن العلاء أنه لو أدرك الجاهلية لما تقدم عليه أحد من الشعراء.

ولكن بشار بن برد كان يقول: لم يكن الأخطل مثلهما، ولكن ربيعة تعصبت له، وأفرطت فيه^(١).

(١) الموشع ص ١٣٨، تاريخ الأدب العربى، بروكلمان ١/ ٢٠٧.

وروى أن جريراً لم يهيج الفرزدق إلا بثلاثة أشياء كلها كذب، وقال بعضهم: هي خمسة^(١)، وكان الفرزدق يهجو، ولم يعى من الافتراء عليه، وروى عنه أنه قال: إن الأخطل أشعر منه، وأعانه عليه كبر سن، وخبث دين، ولكنه غلب الفرزدق فى النسيب^(٢).

وقال ابن سلام: إن جريراً غلب فى كل بيوت الشعراء، وهى أربعة: فخر، ومديح، وهجاء، ونسيب^(٣).

وقد رضى عمر بن عبد العزيز على جرير وشعره لعفته، وطهارة لسانه^(٤).

* * *

أما الفرزدق وهو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم. وكان جده صعصعة بن ناجية عظيم القدر فى الجاهلية، واشترى ثلاثين مؤودة إلى أن جاء الله عز وجل بالإسلام، منهن بنت لقيس بن عاصم المنقرى. ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم، وأسلم.

وأما صعصعة قفيرة بنت سكين، من عبد الله بن دارم، وكانت أمها

(١) الموشح ص ١٢٢، أعلاء الكلام ص ٢٦٨.

(٢) الموشح ص ٢٢٧، تاريخ الأدب العربى، بروكلمان، ص ٢٢٧.

(٣) طبقات الشعراء ٨ / ٨٧.

(٤) العقد الفريد ١ / ١١٤ - ١١٦، تاريخ الأدب العربى، بروكلمان، ١ / ٢١٧.

أمة وهبها كسرى لزرارة، فرهنها زرارة لهند بنت يشري بن عدس،
فوثب أخو زوجها، واسمه سكين بن حارثة بن زيد بن عبد الله بن
دارم، على الأمة، فولدت (له) فقيرة أم صعصة، فكان جرير يعيب
الفرزدق بها. وكان لصعصة قيون، منهم جبير ووقبان وديسم، فذلك
جعل جرير مجاشعاً قيوناً.

وقال جرير ينسب غالب بن صعصة إلى جبير:

وجدنا جبيراً أبا غالب بعيد القرابة من معبد^(١)

يعنى معبد بن زرارة.

وكان يعيبهم بالخزيرة، وذلك أن ركباً من مجاشع مروا في الجاهلية
وهم عجال على شهاب التغلبي، فسألهم، فقالوا: نحن مستعجلون،
فقال: لا تجوزوني حتى تصيبوا القرى، فحمل إليهم خزيرة، فجعلوا
يأكلونها وهم على إبلهم ويعظمون اللقم، وذلك يسيل على لحاهم.

وأما غالب أبو الفرزدق فكان يكنى أبا الأخطل، وكان سيد بادية

(١) الشعر والشعراء ١ / ٤٧١.

تميم، وكان أعور. وأمه ليلى بنت حابس أخت الأقرع بن حابس.
واستجير بقبْره وهو بكازمة^(١) في حمالة، فاحتملها (عنه) الفرزدق.
وكان له إخوه، منهم هميم (بن غالب)، وسمى الفرزدق باسمه وهو
القائل:

لعمر أبيك فلا تكذبني لقد ذهب الخير إلا قليلاً

وقد فتن الناس في دينهم وخلي ابن عقان شراً طويلاً

وإنما لقب بالفرزدق لغلظه وقصره، شبه بالفتية التي تشرى بها
النساء، وهي الفرزدقة^(٢). وكنيته أبو فراس.

وكان للفرزدق أخ يقال له الأخطل أسن منه، وابنه محمد ابن
الأخطل (كان) توجه مع الفرزدق إلى الشام، فمات بها، ولا عقب له.
ورثاه الفرزدق.

وأخته يقال لها جعثن، وكانت امرأة صدق. نزل الفرزدق في بني
منقر والحى خلوف، فجاءت أفعى إلى جارية من بني منقر يقال لها

(١) كازمة: في البلدان: «جو على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة، بينها
وبين البصرة مرحلتان».

(٢) في اللسان: «الفرزدق: الرغيف، وقيل: فتات الخبز، وقيل: قطع العجين، واحدته
فرزدقة، وبه سمي الرجل، سمي بالعجين الذي يسوى منه الرغيف، واسمه همام، وأصله
بالفارسية برازده» وفيه أيضاً: «قال الأصمعي: الفرزدق الفتوت الذي يفت من الخبز الذي
تشر به النساء»

ظمياء، فدخلت معها فى شعارها، فصرخت أمها، وجاء الفرزدق فسكنها، واحتال للأفعى حتى انسابت، والتزم الجارية فانتهرته، فقال (١):

وأهون عيب المنقرة أنها شديد ببطن الخنظلى لصوقها
فلما بلغ بنى منقر قوله أرسلوا رجلا يقال له عمران بن مرة، وأمروه أن يعرض لجعثن أخت الفرزدق، فلما خرجت وثب فضرب بيده على نحرها، فصاحت، ومضى، فغير الفرزدق بذلك.

ومكث الفرزدق زماناً طويلاً لا يولد له، فغيرته امرأته النوار بذلك فقال:

قالت: أراه واحداً لا أخا له يؤمله فى الوارثين الأبعاد
لعلك يوماً أن ترينى كأنما بنى حوالى الأسود الحوارد (٢)
فإن تيمماً قبل أن يلد الحصى أقام زماناً وهو فى الناس واحد
فولد له بعد ذلك لبطة وسبطة وخبطة وركضة من النوار (٣)، وزمعة
وليس لواحد من ولده عقب إلا من النساء.

(١) سيأتى البيت مع بيتين آخرين.

(٢) الحوارد: الغضاب، يقال «حرد الرجل فهو حرد وحارد» إذا اغتاط فتحرش بالذى غاظه وهم به. ومنه قيل «أسد حارد وليوث حوارد». عن اللسان.

(٣) ابن خلكان ٢: ٢٦٦. اللسان ٩: ٢٦٤، ٩: ٢٦٣ وفى القاموس مادة (كلط)، وفى مادة (لبط): ٥: ٢١٤، الاشتقاق ١٤٧.

(وأجاد فى قوله: * قالت: وكيف يميل مثلك للصبى * البيتين) (١)

وكان الفرزدق معنا مفنا (٢) يقول فى كل شئ، وسريع الجواب، فمر
يقوم ولهم جنازة، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مات أبو الخنساء صاحب
البغال، فقال:

ليبك أبا الخنساء بغل وبغلة ومخلالة سوءٍ قد أضيع شعيرها

ومجرفة مطروحة ومحسنة ومقرعة صفراء بال سيورها

(ومن إفراطه قوله: * وبوأ قدرى * البيتين)

وكان خلف بن خليفة ظريفاً شاعراً راوية، وكان «أقطع»، له أصابع
من جلود، فمر بالفرزدق يوماً فقال له: يا أبا فراس من الذى يقول:

هو القين وابن القين لا قين مثله لقطع المساحى أو لجدل الأدهم (٣)

قال الفرزدق: بقوله الذى يقول:

(١) الشعر والشعراء ١/ ٤٧٣.

(٢) معن: ذو عنن واعتراض، أى أنه نصيح يدخل فى كل شئ. مفن: يفتن فى الكلام،

أى يشتق فى فن بعد فن، يأتى بالأفانين. وكلاهما بكسر أوله وفتح ثانيه وتشديد النون.

(٣) المساحى: جمع مسحاة، وهى الآلة التى يحرف بها الطين عن وجه الأرض، ويقشر

وفطحها: تعرضها وتسويتها، وتلك صناعة الحداد، الأدهم: القيود، لسان العرب ٣/ ٣٧٩،

١٥/ ١٠٠.

هو اللص وابن اللص لا لص مثله لنقب جدارٍ أو لطر الدراهم

وأتى حفصاً السراج يشتري منه سرجاً، فمرت به امرأة جميلة وفي
يده سرج ينظر إليه، فألقى السرج من يده وقال:

منع الحياة من الرجال ونفعها حدق قلبها النساء مراض
خرجت إليك ولم تكن خراجة فأصيب صدع فؤادك المنهاض
وكان أفئدة الرجال إذا رأوا حدق النساء لنبلها الأغراض

ورآه خالد بن صفوان يوماً وكان يمازحه، فقال: يا أبا فراس ما أنت
بالذي لما رأيته أكبرنه وقطعن أيديهن^(١)! قال: ولا أنت يا أبا صفوان
بالذي قالت الفتاة فيه لأبيها: يا أبت استأجره إن خير من استأجرت
القوى الأمين^(٢).

وجاء عنبسة بن معدان إلى باب بلال، فرأى الفرزدق وقد نعس،

(١) يشير إلى الآية ٣١ من سورة يوسف.

(٢) يشير إلى الآية ٢٦ من سورة القصص.

فحركه برجله وقال: بلغت النار يا أبا فراس؟! قال: نعم ورأيت أباك
ينتظرك.

ومر بيحيى بن الحضير بن المنذر الرقاشى، فقال له: يا أبا فراس
هل لك في جدى سمين ونبيذ جيد؟ فقال: وهل يأبى هذا إلا ابن
المرأة! فانطلق به يحيى وبابن عم له، فأكلوا، ثم دعا بالشراب، فقال
الفرزدق: اسقنى صرفاً يا غلام، فقال يحيى: أما أنا فلا أشرب صرفاً
ولا غيره، فقال الفرزدق:

اسقنى خمساً وخمساً وثلاثاً واثنين

من عقار كدم الجو ف يحر الكليتين

واصرف الكأس عن المح روم يحيى بن حضير

واسق هذين ثلاثين ن يروحا مرحين

وأصابته الدبيلة، فقدم به البصرة، وأتى بطبيب فسقاه قاراً أبيض،
فجعل يقول: أتعجلون لى القار فى الدنيا؟

ومات وقد قارب المائة. وقيل له فى مرضه الذى مات فيه: اذكر
الله، فسكت طويلاً ثم قال:

إلى من تفرعون إذا حثوتم بأيديكم على من التراب
ومن هذا يقوم لكم مقامى إذا ما الريق غص بذى الشراب
فقلت له مولاة له: نفزع إلى الله، فقال: أخرجوا هذه من الوصية،
وكان قد أوصى لها بمائة درهم.

وقال أبو عمرو بن العلاء: كان الفرزدق يشبه (من شعراء الجاهلية)
بزهير.

وأما النوار امرأة الفرزدق فهي ابنة أعين بن ضبيعة المجاشعي،
وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه وجه أباهما إلى البصرة أيام
الحكمين، فقتله الخوارج غيلة، فخطب النوار رجل من قريش (وأهلها
بالشام) فبعثت إلى الفرزدق تسأله أن يكون وليها إذ كان ابن عمها،
(وكان أقرب من هناك إليها)، فقال: إن بالشام من هو أقرب إليك
منى، ولا آمن أن يقدم قادم منهم فينكر ذلك على، فأشهدى أنك قد
جعلت أمرك إلتى، ففعلت، فخرج بالشهود وقال لهم: قد أشهدتكم
أنها قد جعلت أمرها إلى، وإنى أشهدكم أنى قد تزوجتها على مائة
ناقة حمراء سوداء الحديق، فذئرت من ذلك، واستعدت عليه، وخرجت
إلى عبد الله بن الزبير، والحجاز والعراق يومئذ إليه، وخرج الفرزدق،

فأما النوار فنزلت على خولة ابنة منظور بن زيان الفزاري امرأة عبد الله بن الزبير، فرققتها وسألته الشفاعة لها، وأما الفرزدق فنزل على حمزة بن عبد الله بن الزبير، وهو الخولة، ومدحه، فوعده الشفاعة له، فتكلمت خولة في النوار، وتكلم حمزة في الفرزدق، فأنجحت خولة (وخاب حمزة)، وأمر عبد الملك بن الزبير أن لا يقربها حتى يصيرا إلى البصرة، فيحتكما إلى عامله، فخرج الفرزدق فقال:

أما بنوه فلم تتجح شفاعتهم وشفعت بنت منظور بن زيانا
ليس الشفيح الذي يأتيك مؤتزرا مثل الشفيح الذي يأتيك عريانا
وماتت النوار بالبصرة مطلقة منه، وصلى عليها الحسن البصري رحمه الله.

ولما هجا الفرزدق بني منقر لسبب ظمياء، وهي عممة اللعين (الشاعر) المنقري، فقال:

وأهون عيب المنقرية أنها شديد ببطن الحنظلي لصوقها
رأت منقراً سوداً قصاراً وأبصرت فتى دارميا كالهلal يروقها
فما أنا هجت المنقرية للصبي ولكنها استعصت عليها عروقها

استعدوا عليه زياداً، فهرب إلى المدينة وعليها سعيد بن العاصي،
فأمنه وأجاره وأظهر زياد أنه لم يرد به سوءاً، وأنه لو أتاه لحياه
وأكرمه، فبلغ ذلك الفرزدق فقال^(١).

دعاني زياد للعطاء ولم أكن لأقربه ما ساق ذو حسب وفرا
وعند زياد لو يريد عطاءهم رجال كثير قد يرى بهم فقرا
وإني لأخشى أن يكون عطاؤه أداهم سوداً أو محدرجة سمرا

* * *

وخال الفرزدق هو العلاء بن قرظة الضبي، وكان شاعراً، وكان
الفرزدق يقول: إنما أتاني الشعر من قبل خالي، وخالي الذي يقول:
إذا ما الدهر جر على أناس حوادثه أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا: أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا
وله يقول جرير:

كأن الفرزدق إذ يعوذ بخاله مثل الذليل يعوذ تحت القرمل
والقرمل: شجر ضعيف، تقول العرب: ذليل عاذ بقرملة^(٢).

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٣٤ - ١٤٠.

(٢) القرملة: شجر من الحمض ضعيف، لا ذرى لها ولا سترة ولا ملجأ، مثل يضرب لمن
يستعين بمن لا دفع له، وبأذل منه، مجمع الأمثال ١ / ٢٤٥، ولسان العرب ١٤ / ٧٣.

ولقى الفرزدق أبا هريرة، وقال له: يا فرزدق أراك صغير القدمين،
فإن استطعت أن يكون لهما غدا مقام على الحوض فافعل، وقال
الفرزدق: سمعت أبا هريرة يقول على منبر المدينة: الذبيح إسماعيل.

وأنشد الفرزدق سليمان بن عبد الملك:

ثلاث واثنان فهن خمس وسادسة قميل إلى شامي
قبتن جنابتى مطرحات ويت أفض أغلاق الختام
كأن مقالق الرمان فيه وجمر غضى قعدن عليه حام^(١)

فقال له سليمان: أخللت بنفسك، أفررت عليها عندى بالزنا، وأنا
إمام، فلا بد لى من إقامة الحد عليك! قال: ومن أين أوجبتة على؟
قال: لقول الله عز وجل: «الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة
جلدة» قال الفرزدق: فإن كتاب الله يدرؤه عنى، يقول الله تبارك
وتعالى: «والشعراء يتبعهم الغاؤون، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون
وأنهم يقولون ما لا يفعلون» فأنا قلت ما لم أفعل.

(١) الشعر والشعراء ١ / ٤٧٨.

* * *

وأتى سليمان بأسرى من الروم، وعنده الفرزدق، فقال له: قم
فاضرب أعناق هؤلاء، فاستعفاه من ذلك فلم يعفه، ودفع إليه سيفاً
كليلاً، فقام الفرزدق فضرب به عنق رجل منهم، فبنا السيف، فضحك
سليمان ومن حوله، فقال الفرزدق:

ما يعجب الناس أن أضحكت خيرهم

خليفة الله يستشفى به المطر

لم ينب سيفي من رعب ولا دهش

عن الأسير، ولكن آخر القدر

ولن يقدم نفساً قبل ميتهما

جمع اليدين ولا الصمصامة الذكر

وفى ذلك يقول جرير:

بسيف أبي رغوان قين مجاشع ضريت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ضريت به عند الإمام فأرعشت يداك، وقالوا: محدث غير صارم

فأجابه الفرزدق:

ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

وهل ضربة الرومي جاعلة لكم أباً عن كليب أو أخا مثل دارم

ودخل الفرزدق على يزيد بن المهلب في الحبس فقال:
أصبح في قيدك السماحة والـ مجود وحمل الديات والإفضال
فقال له: أتمدحني وأنا على هذه الحال؟! قال: أصبتك رخيصةً
فأسلفتك.

ومما سبق إليه فأخذ منه أو سبق إليه فأخذه قوله:
ومنتكث عاللت بالسوط رأسه وقد كفر الليل الخروق الخواليا^(١)
يعنى بالمنتكث بغيراً انتكث أى هزل، وقال الآخر في وصف سوط:
ومنتكث عاللت ملتأثة به وقد حدر الليل النسور العواليا

وأخذ عليه قوله:
وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحاً أو مجلف
وقد أكثر النحويون في الاحتيال لهذا البيت، ولم يأتوا فيه بشئ يرتضى^(٢)

(١) لسان العرب ٣ / ١٩.

(٢) خزنة الأدب ١ / ١٥، ٢ / ٣٤٧ - ٣٥١، الشعر والشعراء ١ / ٤٨٠.

وقوله: * وعندى حساماً سيفه وحمائله *

أراد حسام سيفه فثنى، ومثله لقيس بن الخطيم يصف الدرع:

* كأن قتيورها عيون الجنادب *

أراد قتيورها، والقتير: مسامير الدرع، ومثله قول جرير:

لما تذكرت بالديرين أرقنى صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

أراد دير الوليد، فثنى، وهو دير مشهور بالشأم.

وعابه الأخطل بقوله:

أبنى غدانة إننى حررتكم وهبتكم لعطية بن جعال

لولا عطية لاجتدعت أنوفكم من بين الأم أنف وسبال

وقال: كيف يهبهم له وهو يهجوهم هذا الهجاء؟! وقال عطية بن جعال حين سمع هذا: ما أسرع ما رجع أخى فى عطيته^(١).

(١) الشعر والشعراء ١ / ٤٨١.

(ومن جيد الشعر قوله لجرير:

فإن تك كلباً من كليب فإننى من الدارميين الطوال الشقاشق
هم الداخلون البيت لا تدخلونه على الملك، والحامون عند الحقائق
ونحن إذا عدت معد قديمها مكان النواصي من وجوه السوابق
وقوله يهجو: * ولو يرمى بلؤم بنى كليب * (الأبيات)

ومات الفرزدق قبل جرير، فلما بلغ جريراً موته قال:

هلك الفرزدق بعدما جدعته ليت الفرزدق كان عاش قليلا
ثم أطرق طويلاً ويكى، ف قيل له: يا أبا حذرة ما أبكاك؟ قال:
بكيت لنفسي، إنه والله قل ما كان اثنان مثلنا أو مصطحبان أو
زوجان إلا كان أمد ما بينهما قريباً، ثم أنشأ يقول فى رثائه:
فجعنا بجمال الديات ابن غالب وحامى تميم عرضها والبراجم
بكيناك حدثان الفراق، وإنما بكيناك إذ نابت أمور العظام
فلا حملت بعد ابن ليلى مهيرة ولا شد أنساع المطى الرواسم^(١)
ورثاه شاعر من قومه أو جرير بقوله:

(١) الشعر والشعراء، ١ / ٤٨٢.

لعمري لقد أشجى تميما وهدها على نكبات الدهر موت الفرزدق
عشية راحوا للفراق بنعشه إلى جدث فى فجوة الأرض معمق
لقد غيبوا فى اللحد من كان ينتمى إلى كل بدر فى السماء محلق
عماد تقيم كلها ولسانها وناطقها البذاخ فى كل منطق
فمن لذوى الأرقام بعد ابن غالب لجار وعان فى السلاسل موثق
ومن ليتيم بعد موت ابن غالب وأم عيال ساغبين ودرق
ومن يطلق الأسرى ومن يحقن الدما يدها ويشفى صدر حران محقق
فتى عاش يبني المجد تسعين حجة وكان إلى الخيرات والمجد يرتقى
ومن إعجاب الفرزدق بالغريب، وكثرة إدخاله فى شعره، قيل: لولا
شعر الفرزدق لذهب شعر العرب^(١)، وقد نقل عن أحد العلماء الأعلام
قوله: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة^(٢).

ولم يكن الفرزدق طويل النفس فى شعره إلا فى أهاجيه، مع أنه
كان يحفظ القرآن الكريم، حدث أحد من رآه قال: دخلت على
الفرزدق، فتحرك، فإذا فى رجله قيد، قلت: ما هذا، يا أبا فراس؟
قال: حلقت أن لا أخرجه من رجلى حتى أحفظ القرآن.

(١) خزنة الأدب ١ / ١٥٢.

(٢) الأغاني ١٩ / ٤٨.

وربما يرجع ذلك إلى سبب حكاه هو نفسه، فقد روى أنه التقى
بالحسن البصرى فى جنازة، فقال الحسن: أتدرى ما يقول الناس يا أبا
سعيد؟ قال الحسن: ما يقولون؟ قال الفرزدق: يقولون: اجتمع فى هذه
الجنازة خير الناس وشر الناس، قال الحسن: كلا، لست بخيرهم،
ولست بشرهم، ولكن ما أعددت لهذا اليوم؟ فقال الفرزدق: شهادة أن
لا إله إلا الله منذ ستين سنة، وخمس نجائب لا يدركن - يعنى
الصلوات الخمس^(١).

* * *

قال جرير يجيب الفرزدق عن قصيدته التى مطلعها إن الذى سمك
سما:

ددت للشعراء سماً ناقعاً
فسقيت آخرهم بكأس الأول
وضعت على الفرزدق ميسمى،
وضعا البعيث جدعت أنف الأخطل
عزى الذى سمك السماء مجاشعاً
وينى بناءك فى الحضيض الأسفل

١ - التاريخ الأدبى للعصرين الأموى والعباسى الأول ١٠٢ / ٢ - ١٠٣.

(١) ناقعاً: قاتلاً (هجاء مرأ).

الميسم: المكوى، يريد الشعر. ضعا: تذلل. جدع الأنف: قطعه.

سمك: رفع. مجاشع: قوم الفرزدق. الحضيض: أسفل الجبل.

بيتاً يحمم قينكم بفنائه دنساً مقاعده خبيث المدخل
ولقد بنيت أحسن بيت يبتنى فهدمت بيتكم بمثلى يذبل
إنى بنى لى فى المكارم أولى ونفخت كيرك فى الزمان الأول
أعيتك مآثرة القيون مجاشع فانظر لعلك تدعى من نهشل
وامدح سراة بنى فقيم إنهم قتلوا أباك وثأره لم يقتل
ودع البراجم إن شريك فيهم مر مذاقته كطعم الخنظل
إنى انصبت من السماء عليكم حتى اختطفتك يا فرزدق من عل
من بعد صكتى البعيث كأنه خرب تنفج من حذار الأجلد
ولقد وسمتك يا بعيث بميسى وضعا الفرزدق تحت حد الكلكل^(١)

(١) يحمم: يذخن فيه فيسوده. القين الحداد، يرمى الفرزدق بأن قومه حدادون.

يذبل: جبل مشهور يتجدد، يشبه به مجده.

أولى: آبائى، مآثرة: مكرمة، أى لا فخر لك فى مجاشع. تدعى: تنتسب. نهشل ومجاشع: أخوان من قميم.

سراة: جميع سرى: وهو الشريف. بنو فقيم: من دارم. الثأر: يريد القاتل، وكان ذكوان الفقيمي سبب موت أبى الفرزدق، وقد عقر بعيرى أمه وأخته جعثن فى قصة طويلة. البراجم: قوم من أولاد حنظلة بن ملك كما سبق. الشرب هنا: الحظ والنصيب. عل: أعلى.

الصك: الضرب الشديد. الخرب: ذكر الحبارى، طائر كالديك، تنفج: نفس ريشه خوفاً، الأجلد: الصقر، الكلكل: الصدر. الحد: الصلابة.

إنى إلى جبلى تميم معقلى ومحل بيتى فى اليفاع الأطول
أحلامنا تزن الجبال رزانة ويفوق جاهلنا فعال الجهل
فارجع إلى حكى قريش ؛ إنهم أهل النبوة والكتاب المنزل
فاسأل إذا خرج الخدام وأحمشت حرب تضرم كالحريق المشعل
والخيل تنحط بالكماة، وقد رأوا لح الربيثة فى النياف العيطل
أبنو طهية يعدلون فوارسى وبنو خضاف، وذاك ما لم يعدل
وإذا غضبت رمى ورائى بالخصى أبناء جندلتى كخير الجندل
عمرو وسعد يا فرزدق فيهم زهر النجوم وباذخات الأجيل
كان الفرزدق إذ يعوذ بخاله مثل الذليل يعوذ تحت القرملى^(١)

(١) المعقل: الملجأ أو الجبل المرتفع، والمراد الشرف، اليفاع: ما ارتفع من الأرض.

الجاهل: السفیه. حكى قريش: هاشم وعبد مناف.

الخدام: القرس المحجل، يعنى فى الغارة، أحمشت: أوقدت. تضرم: تشتعل.

تنحط: تصوت من الإعياء والتعب؛ الكماة، جمع كى: المدجج بالسلاح. الربيثة: طليعة الجيش. النياف: الطويل من الإبل. العيطل: الطويل العنق.

طهية: أم جماعة من تميم، منهم مجاشع ونهشل ودارم. خضاف: هم بنو مجاشع.

الخصى: العدد الكثير. جندلة: بنت تيم الأدرم، وهى أم يربوع قوم جرير.

عمرو وسعد: حليفا عشيرة جرير. زهر النجوم: النابهون. باذخ: عظيم. الأجيل، جمع جبل، والمراد: عظماء الرجال.

يعوذ: يحتسى، القرملى: شجر ضعيف بلا شوك، ومنه المثل: ذليل عاذ بقرملة.

وافخر بضبة إن أمك منهم ليس ابن ضبة بالمعم المخول
وقضت لنا مضر عليك بفضلنا وقضت ربيعة بالقضاء الفصيل
إن الذى سمك السماء بنى لنا عزا علاك فما له من منقل
أبلغ بنى وقبان أن حلومهم خفت؛ فلا يزنون حبة خردل^(١)
وقال جرير يجيب الفرزدق عن قصيدته التى مطلعها يا ابن المراغة،
وبهجو الأخطل:

يا ذا العباءة إن بشراً قد قضى ألا تجوز حكومة النشوان
فدعوا الحكومة لستم من أهلها إن الحكومة فى بنى شيبان
بكر أحق بأن يكونوا مقنعاً أو أن يفوا بحقيقة الجيران
قتلوا كليكم بلقحة جارهم يا خزر تغلب لستم بهجان^(٢)

(١) ضبة: من طابخة أخوال الفرزدق، المعمم: الكرم الأعمام. والمخول: كريم الأخوال.
ربيعة ومضر: شعبا عدنان العظيمان. الفصيل الفاصل بين الحق والباطل.
منقل: متحول وانتقال. ، وقبان: لقب مجاشع، معناه الحمقى. حلوم، جمع حلم: العقل
والرزانة.
(٢) ذو العباءة الأخطل والعباءة مسح نصرانى (كساء). بشر بن مروان بن الحكم.
النشوان: السكران. يعبره بما رشاه به محمد بن عطار من زق خمر وحلة ليفضل الفرزدق
على جرير.
بنو شيبان من بكر. والأخطل تغلبى وكانت بين بكر وتغلب عداوة منافسة.
مقنع إقناع وكفاية. حقيقة: حق وحمى.
كلييب: فارس وشاعر جاهلى. وهو خال امرئ القيس. وكان تغلبياً قتل فى حرب
البسوس، لقحة: ناقة. خزر: ضيقو العيون أى لثام. الهجان: الخيار.

كذب الأخيطل إن قومي فيهم تاج الملوك وراية النعمان
منهم عتيبة والمحل وقعب والحنتفان ومنهم الردفان
إنى ليعرف فى السرادق منزلى عند الملوك وعند كل رهان
ما زال عيص بنى كليب فى حمى أشب ألف منابت العيصان
الضارين إذا الكماة تنازلوا ضربا يقد عواتق الأبدان
وحمى الفوارس من غدانة إنهم نعم الحماة عشية الإرنان
إننا لنستلب الجبابر تاجهم قابوس يعلم ذاك والجونان
ولقد شفوك من المكوى جنبه والله أنزله بدار هوان^(١)

(١) تاج الملوك: يشير إلى أن الخلافة فى قومه مضر إذ ذاك. راية النعمان: أى قديماً لأنهم أسروا قابوس بن المنذر.
هؤلاء المذكورون من يربوع رهط جرير يفخر بمحامدهم.
السرادق: ما يمد فوق صحن البيت. ويريد المجتمع أو النادى.
العيص: الأصل. أشب: شجر متكاثف. العيصان: جمع عيص. بنو كليب: قبيلة جرير من تميم. يقول إن أصلنا عزيز منيع لا يرام.
يقد: يقطع. عواتق جمع عائق: ما بين المنكب والعنق. الكماة: الأبطال المفرد كرمى.
الأبدان: الدروع المفرد بدن.
الفوارس: هم وكيع بن حسان ومن شاهده من بنى غدانة حين قتل قتيبة بن مسلم وغلب على منابر خراسان. عشية الإرنان: يريد عشية تكثر فيها الأصوات.
نستلب الخ: نقتصب الملوك نفوسهم يشير إلى حادثة قابوس. الجونان: حسان ومعاوية من كندة. (راجع كتاب النقائض بين جرير والفرزدق صفحة ٤٠٥ طبع أوروبا).
المكوى جنبه: رجل يسمى الشمردى من بكر حرق جنبه ثم قتله قيس بالبليخ.

جارت مطلع الجراء بنابه روق شبيبته وعمرك فانى
ما زلت مذ عظم الخطار معاوداً ضبر المثين وسبق كل رهان
ما زال منزلنا لتغلب غالباً والله شرف فوقهم بنيانى
فاقبض يديك فإنتى فى مشرف صعب الذرا متمنع الأركان
ولقد سبقت فما ورائى لاحق بدءاً وخلقى فى الجراء عنانى
نزع الأخطل حين جد جراؤنا حطم الشوى متكسر الأسنان
قل للمعرض والمشور نفسه من شاء قاس عنانه بعنانى^(١)

(١) المطلع: الضابط الأمر القوى عليه. الجراء: المفاخرة، روق الشباب أوله: أى فاخرت من هو أقوى منك.
الخطار: جمع خطر: السبق يتراهن عليه. الضبر: الوثب: المثين: أراد المثين من الغلاء جمع غلوة: رمية السهم، والمعنى أى ما زلت غالباً مذ قامت المهاجة والمفاخرة بيننا.
أى أعلى منزلتنا وشرفنا عليهم، المشرف العالى: يريد نسبه. صعب الذرا لا يرام لصعوبته والذرا جمع ذروة أعلى الشئ.. متمنع الأركان: صعب الجوانب لا يرتقى.
بدء: أول الأمر: أى منذ بدأ السباق. العنان: سير اللجام، وترك العنان يكون للفرس غير الصعب معتاد السباق، وإنما يصف الشاعر نفسه باعتياده المفاخرة والغور فيها.
نزع: كف لما علم أنه مسبوق بالشرف. حطم: متكسر. الشوى: القوائم: يشبه الأخطل فى تخلفه بالكلب الذى تكسرت قوائمه وأسنانه فى العراك ففر هارباً.
المشور: المجلل أو المروض المختبر. يريد من شاء مفاخرتى بالمجد تقدم ليرى مكانتى.

وقال جرير يهجو الأخطل:

لا يتصلن إذا افتخرن بتغلب	ورزقن زحرف نعمة وجلالا
طرق الخيال لأم حزرة موهنا	ولحب بالطيف الملم خيالا
إنى جعلت فلن أعافى تغلبا	للظالمين عقوبة ونكالا
قبح الاله وجوه تغلب إنها	هانت على مراسنا وسبالا
عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد	وبجبرئيل وكذبوا ميكالا
ولو ان تغلب جمعت أحسابها	يوم التفاخر لم تزن مثقالا
قبح الإله وجوه تغلب كلما	شبح الحجيج وكبروا إهلالا
لا تطلبن خثولة فى تغلب	فألزنج أكرم منهم أخوالا
لولا الجزى قسم السواد وتغلب	فى المسلمين فكنتم أنفالا
ورجا الأخطل من سفاهة رأيه	ما لم يكن وأب له لينالا ^(١)

(١) لا يتصلن: الحديث عن الظغائن، تغلب: قبيلة الأخطل، أم حزرة: زوجة جرير، وحزرة: ابنه الأكبر، مراسن: جمع مرسن، وهو الأنف، السبال: جمع سيلة: ما على الشارب من الشعر، أو ما على الذقن إلى طرف اللحية، شبح: رفع يده بالدعاء، الجزى: جمع جزية، السواد: المراد به سواد العراق، وهى مساكن تغلب.

مر على الفرزدق رجل فيه لين، فقال له: من أين أقبلت عمتنا؟
فقال: نفاها الأغر بن عبد العزيز، فكأن الفرزدق صب عليه الماء، لأنه
عرض له بقول جرير فيه، حين نفاه عمر بن بعد العزيز من المدينة:

نفاك الأغر بن عبد العزيز وحقك تنفى من المسجد

وقد نظم جرير فى نسب الفرزدق، وادعى عليه، وادعى أنه صحيح
فقال:

من ثم أنت بعلة بأشر شيخ فى جميع نزار
لا تفخرن بغالب ومحمد وافخر بعبس كل يوم فخار^(١)
ومن موجه هجاء جرير للفرزدق:

كذب الفرزدق لن يجارى عامرا يوم الرهان بمقرف مبهور
ولقد جهلت بشتيم قيس بعد ما ذهبوا بريش جناحك المكسور
لن تدركوا غطفان لو أجريتم يا ابن القيون ولا بنى منصور
فخروا عليك بكل سام معلم فافخر بصاحب كلبتين وكير
كم أنجبوا بخليفة وخليفة وأمير صائفتين وابن أمير^(٢)

(١) العمدة ١ / ٦٣.

(٢) مقرف: أبوه أعجمى، وكان يرمى جد الفرزدق بأن أباه قين أعجمى، صائفتين:
تغليب الصيف على الشتاء، أى أمير الجيش فى الصائفتين، والصائفة: الكتيبة تغزو الروم
فى الصيف بسبب برد بلادهم.

وقال الأخطل يفضل الفرزدق على جرير: (١)

ما بال قوم لا تغب أذاتهم قعس الظهور من الحبين بطن
هم هيجوا حربى وما لهم بها لو واجهتهم باللقاء يدان
حرب امرئ ما إن يرث سلاحه أبدا ولا يغتر بالحدثان
قيح الإله بنى كليب إنهم لا يحفظون محارم الجيران
وإذا تنودب للمكارم والعلا لم يندبوا لترادف الأعوان
أجرير إنك والذى تسمو له كأسيمة فخرت بحدج حصان
حملت لربتها فلما عوليت نسلت تعارضها مع الأظعان (٢)

(١) المنتخب من أدب العرب ٤ / ١٠٨ - ١١١.

(٢) ما بالهم: أى ما حالهم وما حصل لهم. لا تغب: لا تنقطع. قعس الظهور، مفرده أقعس، وهو: من خرج صدره ودخل ظهره، ضد الأحدب، الحين: وجع فى البطن. بطن: هظام البطن، المفرد: بطن وبطين. بطن صفة لقوم (جرير).
ما لهم بها يدان: أى ليست عليها قدرة. يرث: يبلى. الحدثان: النوائب. لا يغتر بالحدثان: لا تأخذ النوائب على غرة لاستعداده لها دائماً.
بنو كليب: رهط جرير. محارم، جمع محرم وهو: ما لا يحل انتهاكه، تنودب: ندب الناس ودعوا. الترادف هنا: التعاون، يقول: لا يصلحوا للمكارم والمعالى.
تسمو له: تتعلق به من مفاخر ليست لك. الأسيمة الأمة. الحدج: مركب النساء على البعير كالهودج. الحصان هنا: الحرة ضد الأمة. يقول: إن فخرك بما ليس لك كفخر الأمة بحدج سيدتها. أى: حملت حدج سيدتها. عوليت: علت الحدج. نسلت: أسرع. تعارضها: أى تعدو حيالها. الأظعان: النساء فى الهودج.

أتمد مأثرة لغيرك فخرها وسناؤها فى سالف الأزمان
تاج الملوك وفخرهم فى دارم أيام يربوع مع الرعيان
متلف فى بردة حبيقة بفناء بيت مذلة وهوان
يعذو بنيه بثلة مُذمومة ويكون أكبر همه ريقان
سبقوا أباك بكل مجمع تلة بالمجد عند مواقف الركبان
اخسأ كليب، إليك. إن مجاشعاً وأبا الفوارس نهشلاً أخوان
قوم إذا خطرت عليك قرومهم طرحوك بين كلا كل وجران^(١)
وقال الفرزدق يذكر تفضيل الأخطل إياه على العشرة ويمدح بنى
تغلب ويهجو جريراً:
يا ابن المراغة والهجاء إذا التقت أعناقه وتماحك الخصمان^(٢)

(١) مأثرة: محمودة ومفخرة. السناء: الشرف. سالف الأزمان: ماضيها. يقول له: تفخر
بماثر مضروئت من فخذ حقيرو وهو يربوع لا مجد له.
دارم: رهط الفرزدق، ويريد الأخطل تفضيله على جرير بهذا الشعر. الرعيان جمع راع،
وهو: من يقوم على الماشية يخدمها. حبيقة: نسبة إلى صانع أو إلى نوع من الغنم.
الثلة: الصوف أو جماعة الغنم. الريقان مثنى ريق: جبل يشد فى عنق البهم. التلة: ما
علا من الأرض. عند مواقف الركبان: أى عند المفاخرة والتحاكم. اخسأ: ابتعد محترقاً.
إليك: تنح وأبعد. مجاشع: قبيلة الفرزدق. نهشل: قبيلة من تميم كمجاشع.
خطر الجمل بذنيه: رفعه مرة بعد أخرى. القروم: الفحول والأماجد، جمع قروم. والكلا كل
جمع كلكل وهو: الصدر. والجران: صفحة العنق. يقول: إن رجالهم يعلنون عليك مفاخرة.
(٢) ابن المراغة: جرير. خبر الهجاء متعلق إذا، أى حاصل وذائع... الخ أعناقه: جماعته،
يكون إذا تناشده القوم بعضهم على بعض. تماحك: تخاصم وتنادى.

يا ابن المراغة إن تغلب وائل رفعوا عناني فوق كل عنان
كان الهذيل يقود كل طمرة دهماً مقربة وكل حصان
يصهلن بالنظر البعيد كأنما إرناها ببوائن الأشطان
يقطعن كل مدى بعيد غوله خيب السباع يقدن بالأرسان
وكان رايات الهذيل إذا بدت فوق الخميس كواسر العقبان
وردوا إراب بجحفل من وائل لجب العشى ضبارم الأركان
ويبيت فيه من المحافة عائداً ألف عليه قوائس الأبدان^(١)

(١) تغلب من ربيعة قوم الأخطل. العنان بالكسر: سير اللجام، وبالفتح: الجانب، وهو الأنسب هنا. أى: الهذيل بن هبيرة. الطمرة: الفرس الطويلة السريعة. الدهماء: السوداء. مقربة: أى قرية إليهم لكرمها وسرعتها يعمدون إليها حين الفزع. الصهيل: صوت الخيل. الإرنا: التصويت. البوائن: الآبار، المفرد بيون وهى البئر التى يصيب حبلها نواحيها، الأشطان، جمع شطن: الخيل. يقول: كأنها تصل من آبار بوائن لسعة أجوافها، ومعنى يصهلن بالنظر البعيد: أنها تصهل إذا رأت شيئاً من بعد لحدة نظرها ونشاطها. كل مدى: كل غاية بعيدة. غوله: بعده. الخيب للفرس: عدو فيه يقوم على رجله تارة وعلى يديه تارة أخرى. الأرسان جمع رسن: الخيل. يشبه الخيل بالسباع فى العدو. الخميس: الجيش الضخم. كواسر العقبان: أى المنقضة من العقبان، جمع عقاب: طائر من الجوارح، وهذا وصف لإسراع الخيل. إراب: موضع، وهو يوم بين بنى يربوع ويكر بن وائل، يقودهم الهذيل هذا. الجحفل: الجيش الكثير الخيل. لجب العشى: كثير الأصوات بالعشى وقت النزول للعلف، فالأصوات كثيرة. الضبارم: الغليظ. الأركان: النواحي، فأركان هذا الجيش شديدة ضخمة. عائداً: محتمياً. القوائس: أعالي البيض من الحديد، المفرد قونس. الأبدان: الدروع غير السوابغ، يقول: يعتاد بهذا الجيش جيش فيه ألف مسلحون.

تركوا لتغلب إذ رأوا أرماحهم بإرباب كل لثيمة مدران
تدمى - وتغلب يمنعون بناتهم - أقدامهن حجارة الصوان
يمشين فى أثر الهذيل وتارة يردفن خلف أواخر الركبان
لولا أناتهم وفضل حلومهم باعوا أباك بأوكس الأثمان
والخوفزان أميرهم متضائل فى جمع تغلب ضارب بجران
أحبين تغلب إذ هبطن بلادهم لما سمن وكن غير سمان
يمشين بالفضلات وسط شرويهن يتبعن كل عقيرة ودخان
يتتابعون إذا انتشوا بيناتكم عند الإياب بأوكس الأثمان
واسأل بتغلب كيف كان قديمها وقديم قومك أول الأزمان
قوم همو قتلوا ابن هند عنوة عمراً، وهم قسطوا على النعمان^(١)

(١) مدران: كثير الوسخ. أى خلوا نساعهم وهربوا.
تدمى: تسيل دمها، والفاعل حجارة، وأقدامهن مفعول. وذلك لأنهن يسقن حفاة.
يردفن، الردف: الراكب خلف الراكب.
أوكس: أبخس. يظهر معنى هذا البيت من أن الهذيل غزا بلاد سعد فى تغلب وكذلك
غزاها الخوفزان بن وائل، فلما التقى الجيشان سار الخوفزان تحت لواء الهذيل. متضائل:
متصاغر. الجران: مقدم عنقى البعير، وضرب بجرائه: برك.
الفضلات: الخمر، أى يسقين الرجال ويخدمهم. الشروب: القوم يشربون الخمر، يتبعن
كل عقيرة: يستمعن الغناء. دخان: أى موضع الطبخ والشواء. انتشوا: سكروا.
ابن هند: عمرو بن هند ملك الحيرة. يروون أن عمرو بن كلثوم التغلبي قتله فى قصة
مشهورة. قسطوا: جاروا. النعمان بن المنذر: من ملوك الحيرة أيضاً.

قتلوا الصنائع والملوك ، وأوفدوا نارين قد علتنا على النيران
لولا فوارس تغلب ابنة وائل نزل العدو عليك كل مكان
حبسوا ابن قيصر وابتنوا برماحهم يوم الكلاب كأكرم البنيان
إن الأراقم لن ينال قديمها كلب عوى متهتم الأسنان
قوم إذا وزنوا بقوم فضلوا مثلى موازنهم على الميزان^(١)
وقال الفرزدق يهجوا جريراً^(٢):

إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول
بيتاً بناه لنا المليك ، وما بنى حكم السماء فإنه لا ينقل
بيتاً زرارة محتب بفنائه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل
يلجون بيت مجاشع وإذا احتبوا برزوا كأنهم الجبال المثل^(٣)

(١) صنائع الملوك: أنصارهم، المفرد صتيعة. أوقدوا نارين: إشارة إلى يوم خزازى لتغلب على كندة وعلى بكر بن وائل.

يوم الكلاب الأول حيث قتلوا شرحبيل بن الحارث الكندى عم امرئ القيس.

الأراقم: حى من تغلب، متهتم: متكسر، والمراد بالكلب جرير الذى يهجوهم.

(٢) المنتخب من أدب العرب ٤ / ١١٤ - ١١٩.

(٣) سمك: رفع الدعائم، جمع دعامة وهى: عمود البيت. أعز: أقوى. المليك: الله جل جلاله. حكم السماء: أى القوى المقتدر. لا ينقل لا يزول. يريد بيت شرف وعز، زرارة ومجاشع ونهشل: أولاد دارم جد عشيرة الفرزدق، يفخر على جرير، يلجون: يدخلون. احتبوا: اشتملوا بالشوب. المثل: الراسيات، جمع مائل.

لا يحتبى بفناء بيتك مثلهم أبداً إذا عد الفعال الأفضل
من عزهم حجرت كليب بيتها زرباً كأنهم لديه القمل
ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليه به الكتاب المنزل
أين الذين بهم تسامى دارماً أم من إلى سلفى طهية تجعل؟
يمشون فى حلق الحديد كما مشت جرب الجمال بها الكحيل المشعل
والمانعون إذا النساء ترادفت حذر السباء جمالها لا ترحل
يحمى إذا اخترط السيوف نساءنا ضرب تخرله السواعد أرعل^(١)

(١) فناء البيت: الساحة أمامه. الفعال بفتح الفاء: الفعل الحسن، والخطاب لجرير، أى ليس لك رجال أشرف كهؤلاء المعدودين تفاخرنى بهم.
كليب: قوم جرير. حجرت: دخلت زرباً كأنه الجحر. الزرب: حفيرة تتخذ لحبس الجداء.
القمل، جمع قملة: كالجرادة وأقل منها.
يعنى أنه بيت جرير فى الوهن والذل كببت العنكبوت. والشطر الثانى إشارة إلى الآية الكريمة «وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت».
تسامى: تفاخر. طهية: أم جماعة من قوم الغرزدق يفخر بهم على جرير. تجعل هنا: معناها تقرن بها وتباهى.
الحلق، جمع حلقة وهى الدرع. جرب الجمال: أى الجمال المصابة بداء الجرب. الكحيل: القطران.
المشعل: الكثير. يشبه الرجال فى عظمتهم ولون الحديد عليهم بالجمال المهنوءة بالقطران.
ترادفت: ركب بعضهن خلف بعض. السباء: الأسر فى الغارات. لا ترحل: لا توضع عليها الرحالة للعجلة. يقول: إن قومي يتعنون حرءهم إذا كانت الغارات وفزعت النساء فركبت الجمال عزيزات.
اخترط: سل. تخر: تسقط: أرعل: مسترخ مائل، وهو صفة لضرب. وإنما يريد أنه يميل ما قطع فيسترخى.

ومعصب بالتاج يخفق فوقه خرق الملوك له خميس جحفل
ملك تسوق له الرماح أكفنا منه تعل صدورهن وتنهل
قد مات فى أسلاتنا أو عضه غضب برونقه الملوك تقتل
ولنا قراسية تظل خواضعا منه مخافتسه القروم البزل
متخبط قطم له عادية فيها الفراقذ والسماك الأعزل
ضخم المناكب تحت شجر شئونه ناب إذا ضغم الفجولة مقصل
وإذا دعوت بنى فقيم جاءنى مجر له العدد الذى لا يعدل^(١)

(١) معصب: متوج، والواو واو رب، وما بعدها مبتدأ، وقد مات خبره - يعنى حسان وقابوس ابنتى المنتذر. خرق الملوك: الرايات. الخميس: الجيش الضخم. الجحفل: الكثير الخيل. منه: أى من الملك - تعل وتنهل من الدم، والنهل: يريد به الطعن الأول، والعلل: الطعن الثانى.
الأسلات: الرماح، المفرد أسلة. العضب: السيف القاطع. رونقه: فرنده وجوهره. القراسية: الضخم الغليظ من الإبل. يقول: لنا عز قديم سببه بالفحل وهو القراسية. القروم: جمع قرم، وهو السيد أو الفحل الكريم. البزل: جمع بازل، وهو الذى نبت نابه.
متخبط: متغضب فى كبر. قطم: هائج. عادية: أولية قديمة. وأصل الفرقد نجم يهتدى به، والسماك الأعزل يكون فى نوء المطر، أى لنا عز وشرف عال كمكان النجوم التى لا تنال، بعضنا يقتدى به والبعض كريم يستقى منه.
الشجر: مجتمع اللحيين. الشئون: ملتقى قبائل الرأس، الواحد شأن. ضخم: عض. مقصل: قاطع.
فقيم: من دارم، عشيرة الشاعر. المجر: الجيش الكثير العدد - لا يعدل: ليس له عدل من غيره، أى نظير.

وإذا الرماح جاعى ذباها
موجاً كأنهم الجراد المرسا
هذا وقضى دولته جرثومة
صعب وتآكلها نياق سيوف
وإذا البراجم بالقوم تغاطروا
تولى بأغلب حمزه لا ينزل
وإذا بذخت ورايتي يحشى بها
سفيان أو تدس الفعال وجنودها
الأكثرون إذا يحد مصاصهم
والأكثرسون إذا يحد الأول
وزحلت بن عتب الطريق ولم تنبأ
قدماءك حيث تقوم سد المنقل
إن الزحام لغيركم فتجهينوا
ورد الشئ إليه يغزل الذرول^(١)

(١) الرماح، جمع ربيعة وهي: ربيعة الكبرى والصغرى والوسطى. الدفاع: دفاع السيل
حين يكثر ويمتد. شبه كثرة الرجال بالسيل حين يدفع.
العدوية: فكيوة بنت مالك من زيد مناة نسب إليها بنوها. الجرثومة: الأصل والتراب
يجتمع فى أصل الشجرة فيرتفع على ما حولها. صعب متأكجها: يدنى نواحيها. ثناء: طويلة
مشرقة. عيطل: طويلة.
البراجم فى الأصل: رموس الأشاجع التى هى أصول الأصابع؛ والمراد هنا: بنو حنظلة بن
مالك، وهم خمسة ترجموا على سائر إخوانهم. القوم: الفحول؛ تغاطروا كما تغطر الفحول
بأذنايها إذا تهدد بعضها بعضاً. الأغلب: الغليظ العنق.
بذخت: فخرت فى كبر. والأسماء المذكورة فى البيت من بنى دارم.
مصاصهم: عددهم. الأول: يعنى من الآباء والأجداد أو المساعى والأفعال.
زحلت: تنحيت، والمخطاب لجرير. المتب: الغلظ فى ارتفاع. أى عن وضع الطريق.
المنقل: الطريق فى الحبل. يقول: إذا سكنا تنحيت لنا، وسد عليك الطريق، فلم تدر أين
تسير وتضع قدميك.
ورد العشى: ورود الماء ليلاً. يقول: إنكم لضعفكم ومهانتكم لا قبل لكم بالزحام، بل
تشربون من فضل غيركم.

حلل الملوك لباسنا فى أهلتنا والسايغات إلى الوغى نتسريل
 أحلامنا تزن الجبال رزانة وتخالنا جنا إذا ما نجهل
 فادفع بكفك إن أردت بناءنا ثهلان ذا الهضبات هل يتحلل
 وأنا ابن حنظلة الأغر وإننى فى آل ضبة للمعم المخول
 فرعان قد بلغ السماء ذراهما وإليهما من كل خوف يعقل
 فلئن فخرت بهم لمثل قديمهم أعلو الحزون به ولا أتسهل
 زيد الفوارس، وابن زيد منهم وأبو قبيصة، والرئيس الأول
 أوصى عشية حين فارق رهطه عند الشهادة فى الصحيفة دغفل
 أن ابن ضبة كان خيراً والدا وأتم فى حسب الكرام وأفضل^(١)

(١) الحلة: إزار ورداء. السايغات: الدروع. الوغى: الحرب. نتسريل: نتقمص، فهم فى السلم ملوك، وفى الحرب ليوث. الأحلام، جمع حلم: الصبر أو الأناة أو العقل، وضده الجهل والسفه. رزانة: وقاراً. ثهلان: جبل عظيم بنجد. الهضبات، جمع هضبة: الجبل الصغير. هل يتحلل: أى هل يزول ويتحرك، فكذلك عزنا.

حنظلة: هو ابن مالك بن زيد من رهط الشاعر، وأمه من ضبة. الأعز: المشهور بالعز والشرف. المعم المخول: الكريم الأعمام والأخوال. ذروة كل شئ: أعلاه. يعقل: يلجأ إليهما الناس عند المخاوف. الحزون: ما غلظ من الأرض، مفردة حزن. السهل: ما سهل ولان. يعنى أن فخره بهؤلاء يسمو به. زيد الفوارس: هو زيد بن حصين. سى بذلك لأنه والى بين سبعة فوارس فى ثأر أبيه حصين. وابنه: هو الحصين بن زيد. وأبو قبيصة: خوار بن عمرو منهم أيضاً. والرئيس الأول: محلم بن سويط من سعد بن ضبة. رهط الرجل: قومه الأدنون. دغفل: هو ابن حنظلة النسابة من وائل. وهو فاعل أوصى. بنو ضبة: رهط الشاعر لأمه. الحسب: مفاخر الآباء.

ممن يكون بنو كليب رهطه أو من يكون إليهم يتخول
 وهم على ابن مزينة تنازلوا والخييل بين عجاجتيها القسطل
 وهم الذين على الأميل تداركوا نعماً يشل إلى الرئيس ويعكل
 ومحرقاً صفدوا إليه، يمينه بصفاد مقتسر أخوه مكبل
 ملكان يوم بزاة قتلوهما وكلاهما تاج عليه مكلل
 وهم الذين علوا عمارة ضرية فوهاً فوق شتونه لا توصل
 وهم إذا اقتسم الأكابر ردهم وافٍ لضية، والركاب تشلل^(١)

(١) بنو كليب: رهط جرير. يتخول: من الخؤولة، أى يدعيهم أخوالاً، فهو فى هذه
 الأبيات يفضل نفسه نسباً وحسباً على جرير.
 ابن مزينة: هو الحارث بن عامر قتله أحد بنى ضبة، وابناه محرق وزباد قتلها زيد
 الفوارس. تنازلوا: نزلوا فى ساحة القتال فتضاربوا. العجاجتان، مثنى عجاجة: الدخان
 والغبار. القسطل: الغبار. والمقصود أن الغبار سائر بين الجيشين المتحاربين.
 الأميل: رمل يعرض ويستطيل مسيرة يوم أو يومين. وهو كذلك اسم يوم لبنى ضبة
 على بنى شيبان، وذلك أن بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني أغار على بنى ضبة،
 فاستاق ألف بعير لملك بن المنتفق رئيس بنى ضبة، فتداركت ضبة الخيل وردت النسم. يشل:
 يطرد. يعكل: يرد يحبس. محرق: سبق ذكره. صفدوا: جمعوا، أى أسروه واستوثقوا منه.
 الصفاد: القيد أو الحديد الذى قيد فيه. أخوه: صاحبه، أى صاحب هذا الصفاد مقتسر
 ومقتصب.

بزاة: واقعة لضبة على غسان. والملكان: محرق وزباد كما سبق. مكال: معقود فوق
 رأسه. عمارة بن زياد العيسى قتله شرحاف الضبى يوم أعيار. فوهاً: واسعة ذات قم واسع.
 الشئون: ملتقى قبائل الرأس، الواحد شأن، ومن الشئون تجرى الدموع. لا توصل: لا تلتئم.
 اقتسم الأكابر: أسروا وتوزعوا. والأكابر: شيبان وعامر وجليحة من بنى تميم الله بن ثعلبة،
 وأجارهم بدر بن حمراء الضبى، فوفى لهم. تشلل: تطرد.

جار إذا غاب اللثام ونفى به
وعشيرة الجمل المجلد ضاربوا ضرباً شديداً فراشه تنزل

☆ ☆ ☆

يا ابن المراغة أين خالك إننى خالى محبب ذوالفصال الأفضل
خالى الذى غصب الملك نفوسهم وإليه كان حياء جنة ينقل
إنا لنضرب رأس كل قبيلة وابوك خلف ألسانه يتحمل
وشغلت عن حسب الكرام وما بنوا إن اللئيم عن المكارم يشغل
إن التى فقتت بها أبصاركم وهى التى دمغت أباك الفصيل^(١)

(١) جار: يعنى بدر بن حمراء الضبى. الماجد: جيرانه من بنى نعيم الله الذين التجأ إليهم فى إحدى المنين قوفوا له.
الجمل: وقعة الجمل مع السيدة عائشة وقتل فيها من بنى ضبة كثير. الفراش، جمع فراشة: كل رقيق من العظم أو الحديد. تنزل: تتفرق.
ابن المراغة: جرير. حبش: من ضبة أسر عمرو بن الحارث الفسائى، فهجز ناصيته، واشترط عليه أن يبعث إليه كل سنة بهجاء حتى يموت.
الحياء: العطية، والمراد هنا الضريبة. جفنة: من آباء القساسنة إليه ينسبون، ويسمون آل جفنة ملوك الشام فى الجاهلية.
الرأس: الرئيس. الأتان: الحمارة. يتحمل: يكتر قمله.
اللئيم الدنى الأصل والبخيل.
دمغت: أى بلغت دماغه. الفصيل: مقطع الحق فيما بيننا وبينكم. وهذه القصيدة كانت تسمى الفصيل.

وقال الفرزدق يهجو جريراً:

ولو ترمى بلؤم بنى كليب فجوم الليل ما وضحت لसार
ولو يرمى بلؤمهم نهار لدنس لؤمهم وضح النهار
وما يغدو عزيز بنى كليب ليطلب حاجة إلا يجار

ومن موضع هجاء الفرزدق فى جرير قوله:

أرى الليل يجلوه النهار ولا أرى عظام المخازى عن عطية تنجلي
أمن جزع أن لم يكن مثل غالب أبوك الذى يمشى بريق موصل
وإن تهج آل الزيرقان فإنما هجوت الطوال الشم من هضب يذبل
وقد ينبح الكلب النجوم ودونها فراسخ تضنى العين للمتأمل
فما ثم فى معد ولا آل مالك غلام إذا ما قيل لم يتبهدل
لهم وهب النعمان بردى محرق بمجد معد والقديد المحصل^(١)

* * *

(١) آل الزيرقان: هم آل بهدلة، لم يتبهدل: لم ينتسب إلى بهدلة بن عرف، أى إلى هذه القبيلة.

وهؤلاء الشعراء الذين ذكرهم الهمذاني في هذه المقامة يعدون من المشاهير، كما ذكر ابن رشيق، حيث قال: (١)

والشعراء أكثر من أن يحاط بهم عدداً، ومنهم مشاهير قد طارت أسماؤهم، وسار شعرهم، وكثر ذكرهم، حتى غلبوا على سائر من كان في أزمانهم، ولكل أحد منهم طائفة تفضله وتتعصب له، وقل ما يجتمع على واحد، إلا ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في امرئ القيس «أنه أشعر الشعراء وقائدهم إلى النار» يعنى شعراء الجاهلية والمشركين. قال دعبيل بن علي الخزاعي: ولا يقود قوماً إلا أميرهم.. وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للعباس بن عبد المطلب رحمه الله وقد سأله عن الشعراء: امرؤ القيس سابقهم: خسف لهم عين الشعر فافتقر عن معان عور أصح بصر. يعنى أن امرأ القيس من اليمن، وأن اليمن لهم فصاحة نزار، فجعل لهم (معانى) عوراً فتح منها امرؤ القيس أصح بصر، وامرؤ القيس يمانى النسب، نزارى الدار والمنشأ، وفضله على رضى الله عنه بأن قال: رأيت أحسنهم نادرة، وأسبقهم بادرة، وأنه لم يقل لرغبة ولا لرهبة.

وقد قال العلماء بالشعر: إن امرأ القيس لم يتقدم الشعراء؛ لأنه قال ما لم يقولوا، ولكنه سبق إلى أشياء فاستحسنها الشعراء واتبعوه فيها، لأنه قيل أول من لطف المعانى، واستوقف على الطلول، ووصف

(١) النعمة ١ / ٧٦ - ٨٢.

النساء بالطباء والمها والبيض، وشبه الخيل بالعقبان والعصى، وفرق بين النسب وما سواه من القصيد، وقرب مأخذ الكلام: فقيده الأوابد. وأجاد الاستعارة والتشبيه.

روى الجهمي أن سائلاً سأل الفرزدق: من أشعر الناس؟ قال: ذو الفروج، قال: حين يقول ماذا؟ قال: حين يقول:

وقاهم جدهم بينى أبيهم وبالأشقين ما كان العقاب

وأما دعبل فقدمه بقوله في وصف عقاب:

ويلمها من هواء الجو طالبةً ولا كهذا الذي في الأرض مطلوب

وهذا عنده أشعر بيت قالته العرب.

وسئل لبيد: من أشعر الناس؟ قال: الملك لضيعل، قيل: ثم من؟ قال: الشاب القتيل، قيل: ثم من؟ قال: الشيخ أبو عقيل - يعني نفسه -.

وكان الحذاق يقولون: الفحول في الجاهلية ثلاثة، وفي الإسلام ثلاثة متشابهون: زهير والفرزدق والنابعة والأخطل، والأعشى وخزير^(١).

وحكى الأصمعي عن ابن أبي طرفة: كفاك من الشعراء أربعة:

(١) العمدة ١ / ٧٧.

زهير إذا رغب، والنايغة إذا رهب، والأعشى إذا طرب، وعنتره إذا كلب، وزاد قوم: وجريز إذا غضب.

وقيل لكثير - أو لنصيب -: من أشعر العرب؟ فقال: امرؤ القيس إذا ركب، وزهير إذا رغب، والنايغة إذا رهب، والأعشى إذا شرب.

وكان أبو بكر رضى الله عنه يقدم النايغة؛ ويقول: هو أحسنهم شعراً، وأعذبهم بحراً، وأبعدهم قعرأً. وسئل الفرزدق مرة: من أشعر العرب؟ فقال: بشر بن أبى خازم؛ وسئل جرير أيضاً فقال: بشر بن أبى خازم.

وقال محمد بن أبى الخطاب فى كتابه الموسوم بجمهرة أشعار العرب: إن أبا عبيدة قال: أصحاب السبع التى تسمى السمط: امرؤ القيس، وزهير، والنايغة، والأعشى، وليبيد، وعمرو بن كلثوم، وطرفة. قال: وقال المفضل: من زعم أن فى السبع التى تسمى السمط لأحد غير هؤلاء فقد أبطل. فأسقط من أصحاب المعلقات عنتره، والحارث بن حلزة، وأثبت الأعشى والنايغة^(١).

وقال الجهمى فى كتابه: سأل عكرمة بن جرير أباه جريراً: من أشعر الناس؟ قال: أعن الجاهلية تسألنى أو الإسلام؟ قال: ما أردت إلا الإسلام فإذا ذكرت الجاهلية فأخبرنى عن أهلها، قال: زهير شاعرهم،

(١) العمدة ١ / ٧٨.

قال: قلت: فالإسلام؟ قال: الفرزدق نبعة الشعر فى يده، قلت
فالأخطل؟ قال يجيد مدح الملوك ويصيب صفة الخمر، قلت: فما تركت
لنفسك؟ قال: دعنى فإنى نحرت الشعر نحرًا.

وكتب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم يسأله عن أشعر
الشعراء فى الجاهلية وأشعر شعراء وقته، فقال: أشعر شعراء الجاهلية
امرؤ القيس، وأضر بهم مثلاً طرفة، وأما شعراء الوقت فالفرزدق
أفخرهم، وجرير أهماهم، والأخطل أوصفهم.

وسأل ابن عباس الخطيئة:

فقال الذى يقول:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره، ومن لا يتق الشتم يشتم

وليس الذى يقول:

ولست بمستبق أخاً لا تلمه على شعث، أى الرجال المهذب^(١)

وزعم ابن أبى الخطاب أن أبا عمرو كان يقول: أشعر الناس أربعة:
امرؤ القيس، والنابغة، وطرفة، ومهلhel. قال: وقال المفضل: سئل
الفرزدق فقال: امرؤ القيس أشعر الناس، وقال جرير: النابغة أشعر
الناس، وقال الأخطل: الأعشى أشعر الناس، وقال جرير: زهير أشعر
الناس.

(١) العمدة ١ / ٧٩.

وقيل لنصيب مرة: من أشعر العرب؟ فقال: وليس لأحد من الشعراء بعد امرئ القيس ما لزهير والنابغة والأعشى فى النفوس...

والذى أتت به الرواية عن يونس بن حبيب النحوى أن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس، وأن أهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيراً والنابغة، وكان أهل العالية لا يعدلون بالنابغة أحداً، كما أن أهل الحجاز لا يعدلون بزهير أحداً.

وروى ابن سلام يرفعه عن عبد الله بن عباس أنه قال: قال لى عمر بن الخطاب رضى الله عنه: أنشدنى لأشعر شعرائكم، قلت من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: زهير، قلت: ولم كان كذلك؟ قال: كان لا يعاظر بين الكلام، ولا يتتبع حوشيه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه، ثم قال ابن سلام على عقب هذا الكلام: قال أهل النظر: كان زهير أحصفهم شعراً، وأبعدهم من سخف، وأجمعهم لكثير من المعانى فى قليل من المنطق، وأشدّهم مبالغة فى المدح^(١).

وأما النابغة فقال من يحتج له: كان أحسنهم ديباجة شعر، وأكثرهم رونق كلام، وأذهبهم فى فنون الشعر، وأكثرهم طويلة جيدة، ومدحاً، وهجاء، وفخراً، وصفة.

وقال بعض متقدمى العلماء: الأعشى أشعر الأربعة، قيل له: فأين

(١) العدة ١ / ٨٠.

الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأ القيس بيده لواء الشعراء؟ فقال بهذا الخبر صح للأعشى ما قلت، وذلك أنه ما من حامل لواء إلا على رأس أمير، فامرؤ القيس حامل اللواء، والأعشى الأمير.

وقالت طائفة من المتعقبين: الشعراء ثلاثة: جاهلي، وإسلامي، ومولد، فالجاهلي امرؤ القيس^(١).

(١) العمدة ١ / ٧٦ - ٨٢.

الفصل السابع

القضاء والمحدثون

أما قضية القدماء والمحدثون:

فأنصار الشعر القديم، هم حماد الراوية، والخليل بن أحمد، وخلف الأحمر، والأصمعي، وأبو عبيدة، وابن الأعرابي.

وكان ابن الأعرابي يقول: إن أشعار هؤلاء المحدثين، مثل أبي نواس وغيره، مثل الريحان، يشم يوما، ويذوي يوما، فيرمى به، وأشعار القدماء مثل العنبر، والمسك، كلما حركته ازداد طيباً^(١).

قال ابن منذر لخلف الأحمر، وقد التقيا على مائدة: يا أبا محرز، إن يكن النابغة، وامرؤ القيس، وزهير قد ماتوا فهذه أشعارهم مخلدة، فقس شعري إلى شعرهم، واحكم فيهما بالحق، فغضب خلف^(٢).

وروى أن مروان بن أبي حفصة عرض قصيدته التي مطلعها:

طرتك زائرة فحي خيالها بيضاء تخلط بالجمال دلالها

(١) الموشح ص ٢٤٦.

(٢) الأغاني، الساسي، ١٧ / ١١.

عرض شعره هذا على خلف الأحمر حين لقيه في حلقة يونس بن
حبیب^(١).

ذكر الرواة أن بشار بن برد أنشد خلفا الأحمر قصيدته في سلم بن
قتيبة:

بكرا صاحبي قبل الهجير إن ذاك النجاح في التبكير

فلاحظ فيها إكثاره من الغريب، وسأله عن سبب ذلك، فقال له:
بلغنى أن سلما يتباصر بالغريب، فأحببت أن أورد عليه ما لا يعرفه،
فقال له خلف: لو قلت مكان: إن ذاك النجاح في التبكير، بكرا
فالنجاح في التبكير، لكان أحسن، فأجابه بشار: إننى بنيتها أعرابية
وحشية، فقلت: إن ذاك النجاح، كما يقول الأعراب البدويون، ولو
قلت: بكرا فالنجاح، كان هذا من كلام المولدين، ولا يشبه ذلك
الكلام، ولا يدخل في معنى القصيدة، فقام خلف فقبل بين عينيه^(٢).

قال قائل لخلف الأحمر: إذا سمعت أنا بالشعر أستحسنه، فما أبالي
ما قلت فيه أنت وأصحابك، قال له: إذا أخذت أنت درهما فاستحسنته،
فقال لك الصيرفى إنه ردى، هل ينفعك استحسنك له^(٣).

(١) الأغاني، الساسى، ١٧ / ١٢.

(٢) الأغاني ٣ / ١٩٠.

(٣) مقدمة طبقات فحول الشعراء، ص ٨، العمدة ١ / ٩٧.

وكان أبو عمرو بن العلاء متعصباً للقدماء، وكان يقول: لا أدرك
الأخطل يوماً واحداً من الجاهلية ما قدمت عليه أحداً^(١).

سئل أبو عمرو بن العلاء عن المولدين فقال: ما كان من حسن فقد
سبقوا إليه، وما كان قبيح فهو من عندهم، ليس النمط واحداً، ترى
قطعة ديباج، وقطعة مسيح، وقطعة نطع^(٢).

وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين^(٣) من الجاهليين
والمخضرمين، إذ جعل جريراً والفرزدق من المولدين، وجعل شعرهما
مولداً، وهم أن يأمر الصبيان بروايته لما حسن وراق^(٤).

وكان يختم الشعر بذي الرمة، والرجز برؤية قائلها في المحدثين: إنهم
كل على غيرهم^(٥).

وقال أبو عمرو بن العلاء عن شعر ذي الرمة: إنما شعره نقط عروس
يضمحل عن قليل، وأبعاد طباء لها مشم في أول شمها، ثم تعود
إلى أرواح البعر^(٦).

(١) العمدة ٩ / ٩٠ - ٩١.

(٢) العمدة ١ / ٩٠.

(٣) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٥٠.

(٤) العمدة ١ / ٩٠.

(٥) الأغاني، ماسى، ١٦ / ١٠٩.

(٦) طبقات الشعراء ص ٢٠٧.

وكان الأصمعى يختم الشعر بابن ميادة، وابن هرمة، وأضرابهما
من شعراء نجد والحجاز الذين أدركوا الدولة العباسية^(١).

وحين أنشده إسحاق بن إبراهيم الموصلى:

هل إلى نظرة إليك سبيل يرو منها الصدى ويشفى الغليل

إن ما قل منك يكثر عندي وكثير ممن تحب القليل

أعجب بالشعر، وراقه حسنه، ورقته، فمضى يقول: هذا الديباج
الخسروانى، هذا الوشى الإسكندرانى، فلما عرف أن هذا الشعر
لإسحاق، قال له: أفسدته، أفسدته، أما أن التوليد فيه لبين^(٢).

روى أن الخليل بن أحمد قال لابن مناذر الشاعر: إنما أنتم معشر
الشعراء تبع لى، وأنا سكان السفينة، إن قرظتكم، ورضيت قولكم
نفقتم، وإلا كسدتكم، فقال ابن مناذر: والله لأقولن فى الخليفة قصيدة
أمتدحه بها، ولا أحتاج إليك فيها عنده، ولا إلى غيرك، فقال فى
الرشيد قصيدته:

(١) الأغاني، دار الكتب، ٢٧٣ / ٤.

(٢) الأغاني ٣١٧ / ٥، ٣١٨.

ما هيج الشوق من مطوقة أوفت على بائة تغينا
وفيها يقول:

ولو سألنا بحسن وجهك يا هارون صوب الغمام أسقيننا^(١)

وسئل أبو عبيدة: أى الرجلين أشعر: أبو نواس، أم ابن أبى عينية؟
فقال: أنا لا أحكم بين الشعراء الأحياء، فقليل له: سبحانه الله، كأن
هذا ما تبين لك؟ فقال: أنا ممن لم يتبين له هذا؟

وكان أبو عبيدة يقول: افتتح الشعراء بامرئ القيس، وختم بابن
هرمة، فأهدر بذلك الشعراء من بعد ابن هرمة، وأزرى بما يقولون من
الشعر.

وقال ابن مناذر لحماذ الأرقط حين لقيه: أقرئ أبا عبيدة السلام،
وقل له: يقول لك ابن مناذر: اتق الله، واحكم بين شعري وشعر عدى
بن زيد، ولا تقل: ذلك جاهلى، وهذا إسلامى، وذاك قديم، وهذا
محدث، فتحكم بين العصرين، ولكن احكم بين الشعريين، ودع
العصبية^(٢).

(١) الأغاني. الساسى ١٧ / ١٦.

(٢) الأغاني، الساسى ١٧ / ١٢.

* * *

جاء مروان بن أبى حفصة إلى حلقة يونس بن حبيب، فقال له: إنى أرى قوما يقولون الشعر، لأن يكشف أحدهم عن سواته، ثم يمشى كذلك فى الطريق أحسن له من أن يظهر مثل ذلك الشعر، وقد قلت شعراً أعرضه عليك، فإذا كان جيداً أظهرته، وإن كان رديئاً سترته، فأنشده قوله:

طرقتك زائرة فحى خيالها^١ بيضاء تخطط بالجمال دلالتها

فقال له يونس: يا هذا، اذهب، فأظهر هذا الشعر، فأنت والله فيه أشعر من الأعشى فى قوله:

رحلت سمية غدوة أجمالها

لأنه قال فى قصيدته هذه:

فأصاب حبة قلبها وطحالها

والطحال لا يدخل فى شئ إلا أفسده، وقصيدتك سليمة من هذا وشبهه^(١).

فلما أنشدها مروان بن أبى حفصة المهدي زحف المهدي من صدر

(١) الأغاني ١٠ / ٨٢.

مصلاه حتى صار إلى البساط إعجاباً بما سمع، ثم قال: كم هي؟ قال:
مائة بيت، فأمر له بمائة ألف درهم، فكانت أول مائة ألف درهم
أعطيتها شاعر في أيام بني العباس^(١).

روى أن أبا جعفر المنصور حين فجع بموت ابنه جعفر طلب من ينشده
من أهل بيته قصيدة أبي ذؤيب الهذلي في رثاء بنيهِ:

أمن المنون وريبها تتوجع والدهر بمعتب من يجزع

فلما لم يجد فيهم من يحفظها أسف على جهلهم بها أسفاً أشد من
حزنه لفقد ابنه، ولما جئ بشيخ مؤدب، لينشده إياها استعاد إنشاده
المطلع مرات، حتى إذا بلغ الشيخ في إنشاده قول أبي ذؤيب:

والدهر لا يبقى على حدثانه

استعاد مرات، وهو يقول: سلا أبو ذؤيب عند هذا القول^(٢).

ولذلك كانوا يتناشدون الشعر القديم.

(١) الأغاني ١٠ / ٧٧ - ٨٢.

(٢) الأغاني ٦ / ٢٧٢ - ٢٧٤.

قال الأصمعي: قرأت على أبي محرز خلف بن حيان الأحمر شعر جرير، وقلت: هكذا قرأته على أبي عمرو بن العلاء^(١). وكان من أشهر مختاراتهم من الأدب المفضليات للضبي، وهي طائفة من القصائد جمعها من أجود قصائد الشعر العربي، ودونها كاملة، وقد روى أنه عملها للمهدي، وهي مائة وثمان وعشرون قصيدة، وقد تزيد وتنقص، وتتقدم القصائد، وتتأخر، بحسب الرواية عنه، والصحيحة هي التي رواها عنه ابن الأعرابي^(٢).

والأصمعيات، وهي مجموعة من القصائد، عددها سبع وسبعون قصيدة، منسوبة إلى الأصمعي.

وجمهرة أشعار العرب للقرشي، أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، وهي مختارات من الشعر الجاهلي والمخضرم، وصنعها في سبع مراتب، في كل مرتبة سبع قصائد، على الترتيب التالي: المعلقات، والمجمهرات، والمنتقيات، والمذهبات، والمراثي، والمشويات، والملحمات^(٣).

(١) معالم النقد الأدبي، ص ٨٢.

(٢) الفهرست ص ٦٨.

(٣) الفهرست ص ١٧٠.

واضطر الشعراء إلى الاتجاه إلى القديم.

قيل: إن أبا نواس كان يحفظ دواوين سستين امرأة فضلا عن الرجال^(١)، وأنه حفظ سبعمئة أرجوزة.

وفيه يقول الجاحظ: ما رأيت أحداً كان أعلم باللغة من أبي نواس، ولا أفصح لهجة مع حلاوة ومجانبة لاستكراه^(٢).

ويقول أبو عمرو الشيباني العالم اللغوي المشهور: لولا ما أخذ فيه أبو نواس من الرفث لاحتججنا بشعره، لأنه محكم القول.

وروى أبو الفرج الأصفهاني أنه استمع إلى عقبة بن ربيعة، وهو ينشد عقبة بن سلم وإلى البصرة أرجوزة يمدحه بها، فلما فرغ منها قال له: هذا طراز لا تحسنه يا أبا معاذ، فغضب بشار، وقال له: ألى يقال مثل هذا الكلام؟ أنا والله أرجز منك، ومن ابنك، وجدك، يريد العجاج، ومضى إلى منزله، فألف أرجوزة بديعة، وغدا فأنشدها عقبة بن سلم، وعنده عقبة بن ربيعة، وهى التى يستهلها بقوله:

يا طلل-الحى بذات الصمد بالله خبر كيف كنت بعدى

(١) طبقات الشعراء ص ١٢٧ - ١٢٨.

(٢) فى الأدب العباسى، العصر الأول ص ١٢٨.

فطرب عقبة بن سلم، وكافأه مكافأة كبيرة، وانكسر عقبة بن روية
انكساراً شديداً^(١).

ويروى أن بشار بن برد أنشد في شعر الأعشى الكبير:
وأنكرتنى وما كان الذى نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا
فأنكره، وقال: هذا بيت مصنوع ما يشبه كلام الأعشى، ولم يلبث
الرواة أن تحققوا من قوله^(٢).

قال رزين أخو دعبل: كان الأدب يجمعنا كثيراً، فيؤنسنا التناشد
والمذاكرة، فاجتمعنا يوماً عند أبي نواس، وهو إذ ذاك فى رهج محمد
بن زبيدة، وفيما دعبل بن على، ومسلم بن الوليد، وأبو الشيص،
فقال أبو نواس: قد اتفق اجتماعنا، فلم لا نتمم يومنا بما يذكرنا به
المتأدبون؟ قلنا له: إنه ليوم ذلك، فابتدأ مسلم فى قوله: أجزرت جبل
خليع، فلما انتهى إلى قوله:

موف على مهج فى يوم ذى رهج كأنه أجل يسعى إلى أمل

قال أبو نواس: ما أراه يجئ بعد هذا الكلام ما يفى بوزنه^(٣).

(١) الأغاني ٣ / ١٧٤، تاريخ الأدب العربى، العصر العباسى الأول ص ١٤٤ -
١٤٥، الموشح ص ٣٦٦.

(٢) الأغاني ٣ / ١٤٣، المصدر السابق أيضاً.

(٣) الأغاني، غوطة ص ٢٧٧، نقلاً عن ذيل ديوان مسلم بن الوليد ص ٣٩٨ فى
تاريخ الأدب العباسى ص ١٢٤.

واجتمع الحسن بن هانئ، وصريع الغوانى، وأبو العتاهية فى مجلس
بالكوفة، فقليل للحسن بن هانئ: أنشدنا، فأنشد:

يا ابنه الشيخ أصبحينا ما الذى تنتظرينا

قيل: هذ الهزل، فهات الجد، فأنشد:

لمن طلل عارى المحن دفين عفا عهده إلا روائم جون

فقام صريع الغوانى يبجر ذيله، وخرج، وهو يقول: إن هذا مجلس ما
جلسته أبدا^(١).

ويروى أن مسلم بن الوليد قال لأبى نواس، وقد اجتمعا فى مجلس،
فتلاحيا على نبيذ: والله ما تحسن الأوصاف، فقال: لا، والله ما
أحسن أن أقول:

سلت فسلت ثم سل سليلها فأتى سليل سليلها مسلولاً

والله لو رميت الناس فى الطرق لكان أحسن من هذا^(٢).

وحدث رزين بن على الخزاعى أخو دعبيل، قال: كنا عند أبى نواس
أنا، ودعبيل، وأبو الشيص، ومسلم بن الوليد الأنصارى، فقال أبو

(١) العقد الفريد ٥ / ٣٧٦ - ٣٧٨.

(٢) الموشح ص ٢٨٩، فى تاريخ الأدب العباسى ص ١٢٦.

نواس لأبى الشيص: أنشدنى قصيدتك المخزية، قال: ما هي؟ قال:
الضادية، فما خطر بخلدى قولك:

ليس المقل عن الزمان براض

إلا أخزيتك استحسانا لها، فإن الأعشى كان إذا قال القصيدة
عرضها على ابنته، وقد كان ثقفها، وعلمها ما بلغت به استحقاق
التحكيم، والاختيار لجيد الكلام، ثم يقول لها: عدى لى المخزيات،
فتعد قوله:

أغر أروع تستقى الغمام به لو قارع الناس عن أحسابهم قرعا
وما أشبهها من شعره، قال أبو الشيص: لا أفعل، إنها ليست
عندى عقد در مفصل، ولكنى أكاثر بغيرها، ثم أنشد قوله:

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى متأخر عنه ولا متقدم
فقال أبو نواس: قد أردت صرفها عنها، فأبيت أن تخلصى عن
سلبك، أو تدرك فى هربك، قال: بل أقول فى طلبى، فكيف رأيت هذا
الطراز؟ قال: أرى نمطاً خسروانياً مذهباً، فكيف تركت؟

فى رداء من الصفيح صقيل وقميص من الحديد مزال
قال: تركته كما تركت مختار الدرّتين إحداهما بما سبق فى الحاظه،
وزين فى ناظره^(١).

(١) الأغاني ١٦ / ٤٠٣ - ٤٠٤.

وكان للشعراء أيضاً رأيهم فى النقد بسبب هذه القضية.

روى أن أبا نواس فضل جريراً على الفرزدق حين سئل عنهما ، فلما قيل إن أبا عبيدة لا يوافقك على هذا ، قال: ليس هذا من علم أبى عبيدة ، فإنما يعرفه من دفع إلى مضائق الشعر^(١).

وكذلك روى أن البحتري فضل أبا نواس على مسلم بن الوليد حين سئل عنهما ، فلما قيل له: أن ثعلباً لا يوافقك على هذا ، قال: ليس هذا من علم ثعلب ، وأضربه عن يحفظ الشعر ، ولا يقوله ، فإنما يعرف الشعر من دفع إلى مضايقه^(٢).

وقيل للمفضل الضبي: لم لا تقول الشعر وأنت أعلم الناس به؟ فقال: علمى به هو الذى يمننى من قوله ، وأنشد:

وقد يقرض الشعر البكى لسانه وتعيى القوافى المرء وهو لبيب

وقال الأصمعى على تقدمه فى الرواية ، وميزه بالشعر:

أبى الشعر إلا أن يفئ رديه على ويأبى منه ما كان محكما

فيا ليتنى إذ لم أجد حوك وشيه ولم أك من فرسانه كنت مفحما^(٣)

(١) العمدة ٢ / ١٠٤ .

(٢) العمدة ٢ / ١٠٤ .

(٣) العمدة ١ / ٩٧ - ٩٨ .

وثمة فريق وقف موقفاً وسطاً بين القديم والجديد، ومن هؤلاء الجاحظ، والمبرد، وابن قتيبة، وحذا حذو ابن قتيبة من جاء بعده من الكتاب، كالشعالبي، وابن رشيق، وابن خلدون، الذي نادى بأن الشعراء يجب أن يتغنوا بذكر الطبيعة، وأن ينشدوا الحقيقة، لا أن يصفوا ما لم يركبوا، وما لم يشاهدوا.

وقد أورد الجاحظ شعراً لأبى نواس، وامتدحه بجودة السبك، وجودة الطبع، والحدق فى الصنعة، ثم قال: وإن تأملت شعره فضلته، إلا أن تعترض عليك فيه العصبية، أو ترى أن أهل البدو أبداً أشعر، وأن المولدين لا يقاربونهم فى شئ، فإن اعترض هذا الباب عليك، فإنك لا تبصر الحق من الباطل ما دمت مغلوياً^(١)، ثم يذكر فى أن الجهالة من النقد أولى العصبية يغفلون أمر الجودة، ولا يلتفتون إلى القدماء، ولو كان له بصر لعرف موضوع الجيد ممن كان، وفى أى زمان كان.^(٢)

وهو القائل: ولم أر غاية النحويين إلا كل شعر فيه إعراب، ولم أر غاية رواة الأشعار إلا كل شعر فيه غريب، أو معنى صعب يحتاج إلى الاستخراج، ولم أر غاية رواة الأخبار إلا كل شعر فيه الشاهد والمثل^(٣).

(٢) الحيوان ٣ / ٤٠.

(١) الحيوان ٢ / ٢٧.

(٣) البيان والتبيين ٣ / ٣٢٣.

وهو القائل أيضاً: طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه، فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار، وتعلق بالأيام والأنساب، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب^(١).

قال المبرد: وليس لقدم عهد يفضل القائل، ولا لحدثان عهد يهضم المصيب، ولكن يعطى كل ما يستحق.

قال ابن قتيبة في مقدمة الشعر والشعراء: ولم أقصد فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختاراً له سبيل من قلد، أو استحسناً باستحسان غيره، ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه، ولا المتأخر بعين الاحتقار لتأخره، بل نظرت بعين العدل إلى الفريقين، وأعطيت كلا حقه، ووقرت عليه حظه، فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله، ويضعه موضع متخير، ويرذل الشعر الرصين، ولا عيب له عنده، إلا أنه قيل في زمانه، ورأى قائله، ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص به قوماً دون قوم، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده، وجعل كل قديم منهم حديثاً في عصره^(٢).

(١) العمدة ٢ / ١٠٥.

(٢) الشعر والشعراء ص ٧.

قال ابن رشيق^(١):

كل قديم من الشعراء فهو محدث فى زمانه بالاضافة إلا من كان قبله، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: لقد أحسن هذا المولد حتى هممت أن أمر صبياننا بروايته، يعنى بذلك شعر جرير والفرزدق، فجعله مولداً بالاضافة إلى شعر الجاهلية والمخضرمين، وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين.

قال الأصمعى: جلست إليه ثمانى حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامى وسئل عن المولدين فقال: ما كان من حسن فقد سبقوا إليه، وما كان من قبيح فهو من عندهم، ليس النمط واحداً: ترى قطعة ديباج، وقطعة مسيح، وقطعة نطع. هذا مذهب أبى عمرو وأصحابه: كالأصمعى، وابن الأعرابى - أعنى أن كل واحد منهم يذهب فى أهل عصره هذا المذهب، ويقدم من قبلهم - وليس ذلك الشئ إلا لحاجتهم فى الشعر إلى الشاهد، وقلة ثقتهم بما يأتى به المولدون، ثم صارت لـ الحاجة.

فأما ابن قتيبة فقال: لم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن

(١) العدد ١ / ٧٣ - ٧٦.

دون زمن، ولا خص قوماً دون قوم، بل جعل الله ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر، وجعل كل قديم حديثاً في عصره.

ومما يؤكد كلام ابن قتيبة كلام على رضى الله عنه «ولولا أن الكلام يعاد لنفد» فليس أحدنا أحق بالكلام من أحد، وإنما السبق والشرف معاً في المعنى على شرائط.

وقول عنتره * هل غادر الشعراء من متردم * يدل على أنه يعد نفسه محدثاً، قد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه ولم يغادروا له شيئاً، وقد أتى في هذه القصيدة بما لم يسبقه إليه متقدم، ولا نازعه إياه متأخر.

وعلى هذا القياس يحمل قول أبى تمام - وكان إماماً في هذه الصناعة غير مدافع:

يقول من تقرع أسماعه كم ترك الأول للآخر

فنقض قولهم «ما ترك الأول للآخر شيئاً».

وقال في مكان آخر فزاده بياناً وكشفاً للمراد:

فلو كان يقنى الشعر أفناه ما قرت حياضك منه في العصور الذواهب

ولكنه صوب العقول : إذا انجلت سحائب منه أعقبت بسحائب

وإنما مثل القدماء والمحدثين كمثلي رجلين: ابتداءً هذا بناء فأحكمه

وأتقنه ثم أتى الآخر فنقشه وزينه، فالكلفة ظاهرة على هذا وإن حسن،
والقدرة ظاهرة على ذلك وإن خشن^(١)..

وقال ابن وكيع وقد ذكر أشعار المولدين: إنما تروى لعذوبه ألفاظها،
ورقتها، وحلاوة معانيها، وقرب مأخذها، ولو سلك المتأخرون مسلك
المتقدمين في غلبة الغريب على أشعارهم ووصف المهامه والقفار، وذكر
الوحوش والحشرات - ما رويت؛ لأن المتقدمين أولى بهذه المعانى، ولا
سيما مع زهد الناس في الأدب في هذا العصر وما قاربه، وإنما تكتب
أشعارهم لقربها من الأفهام، وأن الخواص في معرفتها كالعوام، فقد
صار صاحبها بمنزلة صاحب الصوت المطرب: يستميل أمة من الناس
إلى استماعه وإن جهل الألحان وكسر الأوزان.. وقائل الشعر الحوشى
بمنزلة المغنى الحاذق بالنغم غير المطرب الصوت: يعرض عنه إلا من
عرف فضل صنعته، على أنه إذا وقف على فضل صنعته لم يصلح
لمجالس اللذات، وإنما يجعل معلماً للمطربات من القينات: يقومهن
بحذقه، ويستمتع بحلوقهن دون حلقه، ليسلمن من الخطأ فى
صناعتهن، ويطرين بحسن أصواتهن.

وهذا التمثيل الذى مثله ابن وكيع من أحسن ما وقع، إلا أن أوله
من قول أبى نواس:

(١) العمدة ١ / ٧٤.

صفة الطلول بلاغة القدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم
لا تخذعن عن التى جعلت سقم الصحيح وصحة السقم
تصف الطلول على السماع بها أفذو العيان كأنت فى الحكم؟
وإذا وصفت الشئ متبعاً لم تخل من غلط ومن وهم^(١)

ولم أرفى هذا النوع أحسن من فصل أتى به عبد الكريم بن
إبراهيم فإنه قال: قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد، فيحسن فى
وقت ما لا يحسن فى آخر، ويستحسن عند أهل بلد ما لا يستحسن
عند أهل غيره، ونجد الشعراء الخذاق تقابل كل زمان بما استجيد فيه
وكثر استعماله عند أهله، بعد أن لا تخرج من حسن الاستواء، وحد
الاعتدال، وجودة الصنعة، وربما استعملت فى بلد ألقاظ لا تستعمل
كثيراً فى غيره: كاستعمال أهل البصرة بعض كلام أهل فارس فى
أشعارهم، ونوادح كإياتهم، قال: والذى أختاره أنا التجويد
والتحسين الذى يختاره علماء الناس بالشعر، ويبقى غابره على
الدهر، ويبعد عن الوحشى المستكره، ويرتفع عن المولد المنتحل،
ويتضمن المثل السائر، والتشبيه المصيب، والاستعارة الحسنة.

وقال ابن رشيق فليس من أتى بلفظ محصور يعرفه طائفة من

(١) العمدة ١ / ٧٥.

الناس دون طائفة لا يخرج من بلده، ولا يتصرف من مكانه كالذى لفظه
سائر فى كل أرض، معروف بكل مكان، وليس التوليد والرقعة أن يكون
الكلام رقيقاً سفسافاً، ولا بارداً غثاً، كما ليست الجزالة والفصاحة أن
يكون حوشياً خشناً، ولا أعرابياً جافياً، ولكن حال بين حالين..

ولم يتقدم امرؤ القيس والنابغة والأعشى إلا بحلاوة الكلام
وطلاوته، مع البعد من السخف والركاكة، على أنهم لو أغربوا لكان
ذلك محمولاً عنهم؛ إذ هو طبع من طبائعهم، فالمولد المحدث - على
هذا - إذا صح كان لصاحبه الفضل البين بحسن الاتباع، ومعرفة
الصواب، مع أنه أرق حوكاً وأحسن ديباجة^(١).

وربما كانت هذه القضية قد سبقت بدء العصر العباسى.

فقد وازنت سكينه بنت الحسين بين شعر كثير عزة، وبين شعر امرئ
القيس، قالت سكينه لكثير: يا ابن أبى جمعة، أخبرنى عن قولك:

وما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جثجاؤها وعرارها
بأطيب من أردان عزة موهنا وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها
ويحك، وهل على الأرض زنجية منتنة الإبطين، توقد بالمندل الرطب
نارها إلا طاب ريحها، ألا قلت كما قال عمك امرؤ القيس
ألم تريانى كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباً وإن لم تطيب^(١)

(١) العمدة ١ / ٧٣ - ٧٦.

(١) معالم النقد الأدبى ص ١٢٢ - ١٢٣.

الفصل الثامن

الألفاظ والمعاني في المقامة القريضية
وعلاقتها بالشعر القديم

- القريضية: نسبة إلى القريض، وهو الشعر.

قال الأغلب العجلي:

أرجزا تريد أم قريضاً.

كليهما أجد مستريضاً^(١).

أى أتريد رجزاً، وهو من أبحر العروض العربى، بوزن مستفعلن ست مرات، ثلاث منها فى كل شطر، أم تريد قريضاً، أى شعراً على وزن بحر آخر من أبحر العروض العربى الستة عشر.

* * *

- طرح: رمى وأبعد، قال المثقب العبدى:

فإما أن تكون أخى بحق فأعرف منك غثى من سمينى

والأ فاطرحنى واتخذنى عدواً أتقيك وتتقينى

فإنى لو تعاندنى شمالى عنادك ما وصلت بها يمينى^(٢)

أى فأبعدنى عنك، واتخذنى عدواً لك، يكون بيننا ما يكون بين الأعداء.

(١) لسان العرب ٨٤/٩.

(٢) نهاية الأرب فى فنون الأدب ٦٩/٣.

وقال المرقش الأصغر:

أمن بنت عجلان الخيال المطرح ألم ورحلى ساقط متزحزح
فلما انتبهت بالخيال وراعنى إذا هو رحلى والبلاد توضع
ولكنه زور ييقظ نائما ويحدث أشجاناً بقلبك تجرح
بكل مبيت يعترينا ومنزل فلو أنها إذ تولج الليل تصبح
فولت وقد بثت تباريح ما ترى ووجدى بها إذ تحدر الدمع أبرح^(١)
أى الخيال الذى يطرح نفسه من مكان بعيد، أى يلقيها، لأن بنت
عجلان بعيدة عنه، فخيالها قد طرح نفسه من حيث هى إلى منام
الشاعر.

(١) المفضليات ص ٢٤٢.

يتحدث عن زورة الطيف، وكيف انتبه لروعته، وكيف أن الطيف يطرقه فى كل منزل
ينزل، ثم استعاد ذكرى الوداع، وما جرى فيه من الدمع. بنت عجلان: هى هند بنت عجلان
جارية فاطمة بنت المنذر، المطرح: الذى يطرح نفسه من مكان بعيد، أى يلقيها، متزحزح:
متباعد، إذا هو رحلى: يريد أنه رأى الخيال فى نومه، فلما انتبه لم يجد إلا رحله، توضع:
تتوضع، أى تظهر، يريد أنها خالية، الزور: الزائر، يعترينا: يصير إلينا، يعنى الخيال،
تدلج: تسير ليلاً، أى ليتها إذا زارنا خيالها ليلاً بقى إلى الصباح، بثت: فرقت، التباريح:
الشدة، أبرح، أفعل تفضيل، من البرح، وهو الشدة.

- النوى: البعد.

قال بشامة بن عمرو:

هجرت أمانة هجراً طويلاً وحملك النأى عبثاً ثقيلاً
وحملت منها على نأيتها خيلاً يوافى ونياً قليلاً
أتننا تسائل ما بثنا فقلنا لها قد عزمنا الرحيل
وقلت لها كنت قد تعلمي ن منذ ثوى الركب عنا غفولاً
فبادرتها بمستعجل من الدمع ينضح خذاً أسيلاً
كأن النوى لم تكن أصقبت ولم تأت قوم أديم حلولا^(١)

أى إن النوى لا تترك أحداً، حتى على القوم من الملوك والأشراف،
ذوى قباب الأدم التى تدل على رفعتهم، ومكانتهم العالية.

(١) المفضليات ص ٥٥، يتحدث عن هجرته بلاد خليلته، ونأيه عنها، وما كان يعاوده من طيفها، ووصف موقف الوداع، النأى: البعد، ثم يقول فى البيت الثانى: حملت مع بعدها عنك أن ترى خيالها، فيزيدك شوقاً، البث: الحال، ثوى وأثرى بمعنى أقام، غفولاً: غافلة، يقول فى البيت الثالث: كنت غافلة عنى، فاعلمى بذلك، بادرناها: يعنى عينيها، أضمرهما، ولم يجر لهما ذكر، الخد الأسيل: السهل اللين الدقيق المستوى، النوى: البعد، أصقبت: دنت وقاربت، الأديم: الجلد، وأضافه إلى القوم، بمعنى أنهم أشراف ملوك لهم قباب الأدم، وهى لا تكون إلا للملوك والأشراف، حلولا: حالين مقيمين، يعنى أن الزمن يفرق بين الناس، لا يعزه شريف.

وقال زهير بن أبى سلمى:

شطت أميمة بعدما صقبت ونأت وما فنى الجنب فيذهب
باءت بعاقبة وكان نوالها طيف يشق على المبعاد منصب
فى كل مثنوى ليلة سار لها هاد يهيج بحزنه متأوب
أنى قطعت وأنت غير رجيلة عرض الفلاة وأين منك المطلب
هل تبلغينها على شحط النوى عنس تخب بى الهجير وتنعب^(١)
أى على بعد الرحلة، أو السفر، أو المكان.

(١) شرح ديوان زهير بن أبى سلمى ص ٣٦٩.

شطت: بعدت، صقبت: قريت، الجنب: بكسر الجيم المجانبة، باءت: رجعت، الطيف: ما
أطاف من خيالها فى النوم، العاقبة: أى عاقبة أمرها، أى آخر ما كان منها إلينا، يشق عليه،
لأنه يذكره إياها، ولا سبيل له إليها، رجيلة: أى قوية على الرحلة والمشى، والرجلة بضم
الراء: المشى راجلاً، ويفتح الراء أو كسرهما شدة المشى، النوى: البعد، الشحط: البعد، عنس:
ناقة صلبة، تخب: سير الخبي، الهجير: الهاجرة مع الزوال، تنعب: تهز رأسها فى سيرها.

أو النوى: وجهك الذى تريده فى سفرك، وهو أوقع فى المعنى.

قال عبد الله بن عنمة الضبى:

أشت بليلى هجرها وبعادها بما قد تواتينا وينفع زادها
سنلهو بليلى والنوى غير غربة تضمنها من رامتين جمادها
ليالى ليلى إذ هى الهم والهوى يريد الفؤاد هجرها فيصادها^(١)
هاج الشاعر بعد ليلى وهجرها، وتوقع أن تتبدل الحال، فيلتئم
الشملى مرة أخرى، والنوى يقصد وجهة السفر.

(١) المفضليات ص ٣٧٩.

أشت: فرق، بما: الباء للبدل، أى هذا بذاك، هجرها لنا اليوم بمؤاتاتها قبل هذا، النوى: وجهك الذى تريده فى سفرك، الغربة: بفتح الغين، البعد والنوى، والغربة: البعيدة، رامتين: رامة موضع بالبادية يكثرون ثنيتته فى الشعر الجماد: بفتح الجيم، الأرض الصلبة التى لا يمكن فيها الحفر، وبالكسر موضع، وأراد بالتضمن أنهم نزلوا بذلك المكان، يصادها: يصير صيداً لها.

وقال زهير بن أبي سلمى:

تحمل أهلها عنها فبانوا على آثار من ذهب العفاء
فلما أن تحمل أهل ليلى جرت بينى وبينهم الظباء
جرت سنحا فقلت لها أجزى نوى مشمولة فمتى اللقساء
لقد طالبتها ولكل شئ إذا طالت لجاجته انتهاء^(١)

النوى: الوجه الذى تنويه.

وقال عمرو بن الداخل:

تذكر أم عبد الله لما نأته والنوى منها لجوج^(٢)

أى الوجه الذى تريده فى سفرها.

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٥٨ - ٦١.

يقول على آثار الذى ذهب الدرس، أى من ذهب لم أس عليه، أى على آثار الشئ الذاهب من الدار العفاء، يكون خبراً، ويكون دعاء، أو العفاء: التراب سنحا: جمع سنيح، وقد تشاءم به زهير، والسانح: ما ولاك ميامنه من ظبي، أو طائر، والعرب تتيمن به، وتشاءم بالبارح، وقيل عكس ذلك، والعرب تختلف فى العيافة، فأهل نجد يتيمنون بالسانح، ويشاءمون بالبارح، وأهل الحجاز عكسهم، وقيل: السانح: ما جاءك عن يمينك، يريد شمالك، والبارح: ما جاءك عن يسارك يريد يمينك، أجزى: من أجاز: قطع وخلف وراء ظهره، أو سار، مشمولة: يريد سريعة الانكشاف، أو مأخوذة بها ذات الشمال، لأن الريح الشمال إذا كانت مع السحاب لم يلبث أن يذهب به، النوى: الوجه الذى تنويه، والنية، لجاجته: لجابة الإنسان فيه.

(٢) - ديوان الهذليين ٩٨/٣.

فى غربة النوى قال عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبى معيط:
وأنزلى طول النوى دار غربة إذا شئت لاقيت امرأ لا أشاكله
فحامقته حتى يقال سجية ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله^(١)
أى طول البعد أنزله دار غربة، أى صيره غريباً.

فى النوى الطروح قال أبو ذؤيب الهذلى:
فقلت تحببن سخط ابن عم ومطلب شلة ونوى طروح^(٢)
أى نوى تطرح بعيداً، أو تلقى فى مهوى سحيق.
وقال أبو ذؤيب الهذلى أيضاً:
وأما يحين أن تهجرى وتنأى نواك وكانت طروحا^(٣)
أى نواك وبعدك كانت طروحا، فأبعدتك بعداً شديداً، أو ألفت بك
بعيداً.

(١) البيان والتبيين ٢٤٧/١، ٢٣٩/٢، ٣٢١/٣.

(٢) ديوان الهذليين ٦٩/١.

(٣) ديوان الهذليين ١٣٣/١.

وقال صخر الغى:

فإما يحين أن تهجرى وتنأى نواك وكانت قذوفاً^(١)

أى نواك وبعدك كانت قذوفاً، قد قذفت بك بعيداً.

وقال المعطل:

ألا أصبحت ظمياء قد نزحت بها نوى خيتعور طرحها وشتاتها^(٢)

أى أبعدتها نوى مبعدة طرحت بها بعيداً.

وقال صخر الغى:

عاردنى حبها وقد شحطت صرف نواها فإننى كمد^(٣)

أى بعدت نواها، أو أبعدتها النوى فهو كمد لبعدتها عنه، ومعاودة حبها إياه.

وقال ذو الرمة:

ألمأ بحى قبل أن تطرح النوى بنا مطرحاً أو قبل بين يزيلها^(٤)

أى قبل أن تبعد النوى بناكل مبعداً.

(١) ديوان الهذليين ٧٣/٢.

(٢) ديوان الهذليين ٤٩/٣.

(٣) ديوان الهذليين ٥٨/٢.

(٤) شرح ديوان ذى الرمة، ص ٨٥.

وقال جميل:

ولا مَرَّ يوم مذ ترامت بك النوى ولا ليلة إلا هوى منك رادف^(١)
أى منذ رمت بك النوى بعيداً.

وقال كثير

أمنى صرمت الحبل لما رأيتنى طريد حروب طرحته الطوارح^(٢)
أى أبعدته المبعاد، مبالغة فى البعد، والطرح بعيداً.
وأنشد ابن برى:

أقول وقد ناءت بها غربة النوى نوى خيتعور لا تشط ديارك^(٣)
أى أبعدتها النوى التى تقذف فى كل مكان بعيد.
وأنشد أبو عبيدة:

وشط ولى النوى إن النوى قذف تياحة غربة بالدار أحياناً^(٤)
أى النوى تقذف فى مكان بعيد.

(١) شرح ديوان جميل بثينة، ص ٤٤.

(٢) ديوان كثير عزة، ص ١٨٢.

(٣) لسان العرب ١٧١/٢٠.

(٤) لسان العرب ٢٩٣/٢٠.

وقال السموأل، أو ورقة بن نوفل:

رحلت قتيلة غيرها قبل الضحا وإخال أن شحطت بجارتك النوى^(١)
أي أبعدت النوى جارتك قتيلة.

وقال أبو نواس:

خف من المريد القطين وأقلقتهم نوى شطون^(٢)

أي أبعدتهم نوى مبعدة.

وقال النابغة الذبياني

أتاركة تدللها قطام وضنا بالتحية والكلام

فإن كان الدلال فلا تلجى وإن كان الوداع فبالسلام

فلو كانت غداة البين منت وقد رفعوا الخدور على الخيام

صفحت بنظرة فرأيت منها تحيت الخدر واضعة القرام

فدغنها عنك إذ شطت نواها ولجت من بعادك فى غرام^(٣)

أي بعدت فى مذهبها، وجهتها التى نوتها.

(١) الأغاني ١١٨/٣.

(٢) ديوان أبي نواس، ص ٢٥٦.

(٣) ديوان النابغة الذبياني، ص ١٣٠ - ١٣٣.

يقول: لا تترك تدللها قطام، وضنها بالسلام، فإن كان فعلك هذا تدللاً، وتحفياً فكفى =

وقال امرؤ القيس:

صرمتك بعد تواصل دعد ويدا لوعد بعض ما يبدو
طال المطال وليس حين تقاطع لاه ابن عمك والنوى تعدو
وزعمت أنى قد كبرت وإنما تلك المكاذب ليس لى عهد
إن تصرمى يا دعد أو تبدلى غيرى فليس لمخلف وعد^(١)
أى والبعد يظلم بشدة بعاده.

= منه، ولا تلجى فيه، وإن كان سببا للفراق والتوديع فودعينا بسلام، أى بتسليم منك علينا، أو تحية تمتعينا بها، الحدور: كل ما تخذرت فيه، فاستترت به، والحيام هنا الهوادج، وهى من خشب، صفحت بنظرة: أى نظرت والتفت، يقول: لو منت على بالوداع غداة البين لنظرت إليها، ومتعت نفسى بها، القرام: الستر الرقيق، شطت نواها: بعدت، نواها: مذهبا وجهتها التى نوتها، لجت: تمادت، فى غرام: فى تعذيب لها، أى فيما يكون عليك منها عذابا، والغرام: أشد العذاب.

(١) ديوان امرؤ القيس، ص ٢٣٠.

صرمتك: قطعتك، ويدا: بمعنى عرض لها، ثم يقول فى البيت الثانى وليس هذا المطل بحين ووقت تكون فيه القطيعة، ولم يكن منى ما يوجب ذلك، والنوى: النية والجهة التى يقصدونها، تعدو: أى تظلم، لاه ابن عمك: لله ابن عمك.

وقال عمرو بن الأهتم يأسف لرحلة صديقتة عنه، ويصف خيالها،
وطروقه فى النوم:

ألا طرقت أسماه وهى طروق وبانت على أن الخيال يشوق
بحاجة محزون كآن فؤاده جناح وهى عظماء فهو خفوق
وهان على أسماء أن شطت النوى يحن إليها واله ويتوق^(١)
أى بعدت بها النية التى انتوتها فى سفرها ورحلتها.

وقال شبيب بن البرصاء:

ألم تر أن الحى فرق بينهم نوى يوم صحراء الغميم لجوج
نوى شطنتهم عن نوانا وهيجت لنا طربا إن الخطوب تهيج
فلم تذرف العينان حتى تحملت مع الصبح أحفاض لهم وحدوج^(١)

(١) المفضليات ص ١٢٥.

الطروق: الإتيان بالليل، يريد أن خيالها جاءه فشاقه، ثم يقول فى البيت الثانى بانته
بحاجة محزون، أى مضت وحاجته عندها لم تقضها له، وهى: ضعف، أى يخفق فؤاده، كما
يخفق الجناح، يضطرب ويتحرك، شطت: بعدت، النوى: النية التى ينوونها فى سفرهم،
الواله: الذاهب العقل من شدة الوجد، يتوق: تتطلع نفسه إلى الشئ.

(٢) المفضليات ص ١٧٠. النوى: النية التى ينوونها فى سفرهم، الغميم: موضع،
للجوج: المنقادة المتتابعة، شطنتهم: أخذت بهم على غير قصد، الطرب: خفة تلحق للفرح
والجزع، وهو هنا للجزع، الأحفاض: جمع حفص، يفتحتين، وهو اليعير الضعيف يحمل عليه
الأمته والآتية، الحدوج: جمع حدج، بكسر فسكون، وهى مراكب النساء.

وحتى رأيت الحى تذرى عراصم يمانية تزهى الرغام دروج
فأصبح مسرور بينك معجب وياك له عند الديار نشيج
فإن تك هند جنة حيل دونها فقد يعزف اليأس الفتى فيعيج^(١)
يبكى فراق حبيبته. ويذكر النوى المبعدة التى تقذف بعيداً، والتى
تأخذ على غير قصد.

وقال بشر بن أبى حازم:

عفت من سلمى رامة فكثيبها وشطت بها عنك النوى وشعوبها
وغيرها ما غير الناس قبلها فبانَتْ وحاجات الفؤاد تصيبها
ألم يأتها أن الدموع نطافة لعين يوافى فى المنام حبيبها
تحدروا الغرب عن جرشية على جربة تعلو الديار غروبها
بغرب ومربوع وعود تقيمه محالة خطاف تصر ثقبها^(٢)
أى بعدت بها عنه نية السفر، أو جهته، أو ناحيته.

(١) المرجع السابق، تذرى من ذرى، وأذرى: تطير العراصم: جمع عرصة، وهى البقعة
الواسعة بين الدور، الرغام، بالفتح: التراب اللين، تزهاه: تستخفه، الدروج من الرياح:
السريعة المر، النشيج: مثل البكاء، للصبى إذا ردد صوته فى صدره، ولم يخرج، يعزف
اليأس الفتى: يمنعه ويصرفه، يعيج: يقنع ويرضى.

(٢) المفضليات ص ٣٣٠.

عفت: درست، رامة: بلد، شطت: بعدت، النوى: نية السفر، الشعوب: جمع شعب، وهو
القبيلة أو البلد الذى شعب إليه، أى ذهب، تصيبها: تريدها، نطافة: بكسر النون، سائلة، =

فى الطرح كل مطرح قال الأخطل:

فقلت اجتنبنى لا أبالك واطرح

فى الأرض عنى إذ تباعدت مطرح^(١)

أى ابتعد، ففى الأرض إذ تباعدت مطرح بعيدة.

وقال الأخطل أيضاً:

ألا أيها الليل الطويل ألا اصبحن بهم وما الإصباح فيك بأروح

على أن للعينين فى الصبح راحة يطرحهما طرفيهما كل مطرح^(٢)

أى بطرح العينين كل مطرح.

= ويفتح النون: مفسدة وقرح لكثرة دموعها، الجرشية: ناقة منسوبة إلى جرش، وهى أرض باليمن، وأهلها يستقون على الإبل، الجرية: المزرعة، الدبار: جمع دبرة، وهى القطعة من المزرعة، الغروب: جمع غرب، وهو الدلو الضخمة، شبه تحدر دموعه بتحدر ماء على جرية من غروب يستقى عليها، المربوع: حبل قتل على أربع قوى، العود: البعير المسن، أو المعترض المحور، والمحالة: البكرة، الخطاف: الحديد الذى فى جانبها.

(١) شرح ديوان الأخطل، ص ٦٤٢.

(٢) ديوان أبى تمام ٢١٤/١ فى هامش الصحيفة. أى إن الإنسان عند الصبح يشتغل بما يفتح عينيه عليه، فيخف عنه بعض الهم الذى يجشو على قلبه فى الليل، لأن الليل إذا جاء خلا بكده.

فى سبب الطرح قال عمرو بن الورد:

ومن يك مثلى ذا عيال ومقترا من المال يطرح نفسه كل مطرح
ليبلى عذرا أو ليبلى حاجة ومبلغ نفس عذرها مثل منجج^(١)
يبرر طرح نفسه كل مطرح بأنه ذو عيال ومقتر من المال، إذ يطرح
نفسه ليبلى العذر بأنه سعى، أو ليبلى حاجته، ومبلغ العذر مثل المنجج.
وقال آخر:

فقلت لها الحاجات يطرحن بالفتى وهم تعفاه معنى ركائبه
يبرر طرح الفتى بالحاجات التى تطرحه.

أما استظهاره على الأيام، قال البحتري:

صنت نفسى عما يدنس نفسى وترفعت عن جدا كل جيس^(١)

(١) البخل، ص ١٩٢، الأمالي ٢/٢٣١.

(٢) لسان العرب ١٩/٣٤٠.

(١) ديوان البحتري ١١٥٢/٢ - ١١٥٣

الجدا: العطاء، الجيس: بكسر الجيم، الجبان واللثيم والفاسق والثقليل الروح.

وقما سكت حين زعزعتني الدهر ر التماسا منه لتعسى ونكسى
بلغ من صباية العيش عندي طففتها الأيام تطفيف بخس
وبعيد ما بين وارد رفه علل شربه ووارد خمس
وكان الزمان أصبح محمو لا هواه مع الأخس الأخس^(١)

أجال: اللفظة تدل على الحركة والعمل، قال حاجب بن حبيب الأسدي:
هل أبلغنها بمثل الفحل ناجية عنس عذافرة بالرحل مذعان
كأنها واضح الأقرب حلاه عن ماء ما وان رام بعد إمكان
فجال هاف كسفود الحديد له وسط الأماعز من تقع جنابان^(٢)
جال: تدل على الحركة.

(١) المرجع السابق. النكس: انقلاب الرجل على رأسه، أو سقوطه كلما نهض، بلغ: جمع بلغة، وهي ما يتبلغ به في العيش ولا يفضل منه شيء، الصباية: البقية من الماء، التطفيف: النقص في الوزن والتقدير، الرفة: طيب العيش ولينه، رفعت الإبل: وردت الماء متى شاءت، العلل: ورود الماء ثانية بعد الورود الأول الذي يسمى النهل، الخمس: من أظماء الإبل، وهي أن ترعى ثلاثة أيام، وترد في اليوم الرابع.

(٢) المفضليات ص ٣٧٠. الناجية: السريعة، العنس: الناقة القوية الصلبة، العذافرة: الضخمة، المذعان: المطيعة المتقادة، الواضح: الأبيض. يصف حماراً وحشياً، الأقرب: جمع قرب، وهو الخاصرة، حلاه: منعه، ماوان: موضع، الرامي: الصائد، جال: جاء وذهب، الهافى: السريع. شبه بسفود الحديد في النفاذ، الأماعز: أرض ذات حصى، النقع: الغبار، الجنابان: الجنابان، أراد أنه من شدة عدوه، ووقعه على الأرض يرتفع له غبار في موضع لا يكون فيه غبار.

وقت: حبس، وجعل الشيء وقفا، قال كعب بن سعد

مع القدر الموقوف حتى يصيبني حمامى لو ان النفس غير عجل^(١)

أى القدر المحبوس على من قدر عليه.

والخانوت: محل الخمار، قال الأعشى:

وقد غدوت إلى الخانوت يتبعنى شاو مثل شلول شلشل شول^(٢)

أى غدا إلى محل الخمار.

(١) الأصمعيات ص ٧٤.

(٢) الشعر والشعراء ٧١/١، مقامات أبى الفضل بديع الزمان الهمذاني وشرحها ص ١٤٧، شرح بديع الزمان الهمذاني، ص ١٩٦ - ١٩٧.

الشاوى: الذى شوى، الشلول: الخفيف، المثل: المطرد، الشلشل: الخفيف القليل، وكذلك الشول، والألفاظ متقاربة، أريد بذكرها والجمع بينها المبالغة، ويروى شاء من شأى يشأو إذا سبق أى سابق من سباق، وقيل: المثل: الخفيف السريع، ويرى شليل تصغير شلل بضمين بمعنى المثل، يصف خادمه بغاية الخفة والسرعة فى الحاجة، وقيل: المثل: بكسر الميم وفتح الشين، المستحث والجيد السوق، وقيل: الذى يشل اللحم فى السفود، ويروى نشول: بفتح النون، وهو الذى يأخذ اللحم من القدر، والشلشل: الخفيف اليد فى العمل والمتحرك، والشول: بفتح فكسر: هو الذى يحمل الشيء، وقيل: هو المعنى بحاجته، ويروى شمل، وهو الطيب النفس والرائحة.

وقال الأخطل:

ولقد شربت الخمر فى هانوتها ولعبت بالقينات كل الملعب^(١).
أى شرب الخمر فى محل الخمار.

وقال المتنخل:

يمشى بيننا حانوت خمر من الخرس الصراصة القباط^(٢)
أى صاحب حانوت خمر.
وقال أوس بن حجر:

كأن ريقها بعد الرى اغتبت

من ماء أصهب فى الحانوت نضاح^(٣)
أى من ماء خمر فى الحانوت.

* * *

وقد يكون الحانوت للعطار، قال ابن الرومى:

(١) شرح ديوان الأخطل، ص ٣٢٨، لسان العرب ٢/ ٣٣٠، مع تغيير فى الشطر الثانى.

(٢) ديوان الهذليين ٢/ ٢١.

(٣) ديوان أوس بن حجر، ص ١٤.

كأنما نشرة أنفاسها تصدر عن حانوت عطار^(١)
أى أنفاسها عطرة كأنها العطر الذى يصدر عن حانوت العطار.

المثابة: المرجع والمآب، قال معاوية بن مالك يفخر بتحملة العظام:
وكننت إذا العظيمة أفضعتهم نهضت ولا أدب لها ديابا
بحمد الله ثم عطاء قوم يفكون الغنائم والرقابا
إذا نزل السحاب بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا
بكل مقلص عبل شواه إذا وضعت أعنتهن ثابا^(٢)
أى رجع هذا الفرس بجري جديد، لقوته ونشاطه.

وقال عبد الله بن عنيسة يمدح الحرث بن شريك، ويصف قراره وهربه
إلى عجوز اضطربت وقلقت، ولم تطعمه سوى الفصيد:

(١) ديوان ابن الرومى ١٠٣٦/٣.

(٢) الفضليات ص ٣٥٩.

أفضعتهم: عظمت عليهم، الدباب والديبب واحد، وهو المشى على هيئة، يقول: قمت بها
إذا ضعفوا عنها بقوة، ولم أضعف عن حملها فأدب بها ضعفا، وأراد بالسحاب الغيث الذى
يكون منه النبات، المقلص: الطويل، أراد الفرس، شوى الفرس: قوائمه، الواحدة شواة، عبل
الشوى: ضخمها فى اكتناز، ثاب: رجع، أى إذا وضعت أعنتهن عند التقصير منهن فى
الجري عند اللغوب والإعياء ثاب هذا الفرس عند ذلك بجري جديد، للفضل الذى فيه.

فأب إلى عجروفة باهلية يخل عليها بالعشى بجادها
حذنة لما ثابت الخيل تدعى بمرة لم تمنع وفررقادها
تقول له لما رأت خمع رجله أهذا رئيس القوم راد وسادها
رأت رجلا قد لاحه الغزو معلما له أسرة فى المجد راس عمادها
فباتت تعشيه الفصيد وأصبحت يفزع من هول الجنان فؤادها^(١)
أى رجعت الخيل بأسير.

وقال امرؤ القيس يصف قرصا:

وخيل كأسراب القطا قد وزعتها

بذى ميعة ثبت الفؤاد إذا جرى^(٢)

(١) المفضليات ص ٣٨١.

قاب: أى الممدوح، عجروفة: عجوز، البجاد: الكساء، يخل: يدخل فيه الخلال، حذنة: اسم المرأة العجوز، ثابت بمرة: رجعت بأسير اسمه مرة، تدعى: تنسب، فررقادها: خافت العجوز وأحست بالشر ففارقها النوم والهدوء، تقول له: تقول العجوز مقصرة بالممدوح ومزوية، الخمع: العرج، راد: قلق، دعا عليها بأن تبلى بما يقلقها، فلا تستقر على فراشها، لأنها ازدورته لما رآته يجمع، لاحه: غيره وأشحب لونه، المعلم: الجاعل لنفسه علما يعرف به فى الحرب، ولا يفعل ذلك إلا الشجاع، الراسى: الثابت، العماد: جمع عمود، أى بيته راس فى الكرم، تعشيه الفصيد: أى فصدت له جملا فأطعمته دم الفصيد، وكان قوم من العرب يفعلون ذلك فيعيرون به.

(٢) ديوان امرؤ القيس ص ٣٣٣ - ٣٣٤

السرب: سرب القطا، وزعتها: كفتها، الميعة: النشاط.

طويل القرا نهّد التليل مشذب

سليم الشظا عبل الشوى شنج النسا

أشق شخيص طامح الطرف سابح

جواد إذا هيجه عاند الهوى

شديد اعتزام الشد يعطيك عفوه

إذا ابتل بعد الجهد من مائة طغى

إذا ثاب بعد الكبو مر كأنه

حفيف قطا من رابئ الصيد قد ضفا^(١)

أى رجع بعد السقوط.

(١) المرجع السابق.

القرا: بفتح القاف، الظهر، النهّد: المرتفع، التليل: العنق، المشذب: القصير الشعر، الشظا: عظيم فى يد الفرس، إذا تحرك ضعف عنه، العبل: الضخم، الشوى: القوائم، النسا: بفتح النون المشددة، عرق فى باطن الفخذ ينزل إلى الساقين إذا استرخى ضعفت رجلاه، الشنج: تقبض الجلود والأصابع، وفرس شنج النسا: متقبضه، وهو مدح له، لأنه إذا تقبض نسا وشنج لم تسترخ رجلاه، الأشق: الطويل، الشخيص: الضامر، السابح: الذى يمد يديه فى الجرى، الجواد: السابق، الشد: العدو، عفوه: سيره من غير أن يقرع بسوط ولا غيره، ماؤه: عرقه، ثاب: رجع، الكبو: السقوط، الحفيف: الصوت، الرائي: الديدبان، وهو الذى يرقب، أى يحرس، ضفا: ارتفع.

أما قول الهمذاني: وحانوت جعلته مثابة، ورفقة اتخذتها صحابة
فهو كقول طرفة بن العبد:

ولست بحلال التلاع مخافة ولكن متى يسترفد القوم أرفد
فإن تبغني في حلقة القوم تلقني وإن تقتنصني في الحوانيت تصطد
وإن يلتق الحى الجميع تلاقني إلى ذروة البيت الرفيع المصمد
ندامى بيض كالنجوم وقينة تروح علينا بين برد ومجسد^(١)
أى إنه إما أن يكون فى محفل القوم، أو فى بيت الخمار.

(١) شرح المعلقات السبع ص ٤٥ - ٤٦.

التلاع: جمع تلعة: ما ارتفع من مسيل الماء، وانخفض من الجبال، أو قرار الأرض، الرقد: الإعانة، يقول: أنا لا أحل التلاع مخافة حلول الأضياف بى، أو غزو الأعداء إياى، ولكن أعين القوم إذا استعانوا بى إما فى قرى الأضياف، وإما فى قتال الأعداء، الحانوت: بيت الخمار، يقول: إن تطلبني فى محفل القوم وجدتني هناك، وإن تطلبني فى بيوت الخمارين صدتني هناك، يريد أنه يجمع بين الجد والهزل، المصمد: المقصود، أى إن اجتمع الحى للافتخار تلاقني أنتنى وأعتزى إلى ذروة البيت الشريف، أى إلى أعلى الشرف، يريد أنه أوفاهم حظاً من الحسب، وأعلاهم سهماً من النسب، وصف الندامى بالبياض لإشراق ألوانهم، وتلاؤ غرهم فى الأندية والمقامات، إذ لم يلحقهم عار يعبرون به فتتغير ألوانهم، أو وصفهم بالبياض لنقايتهم من العيوب، أو لاشتهارهم كالفرس الأغر، القينة: الجارية المغنية، المجسد: الثوب المصبوغ بالزعفران، أو الثوب الذى أشبع صبغة، أو الثوب الذى يلى الجسد، يقول: ندامى أحرار كرام تتلأأ ألوانهم، وتشرق وجوههم، ومغنية تأتينا رواحاً لابسة برداً أو ثوباً مصبوغاً بالزعفران، أو ثوباً مشبع الصبغ.

ورفقة اتخذتها صحابة، قال أبو الأسود فى مثل هذا التعبير:

أريت امرأ كنت لم أبله أتانى فقال اتخذنى خليلاً^(١)
أى اتخذ منى صديقاً، وأخاً أى اجعلنى خليلك.

حاشيتا النهار: طرفاه، ومنه حاشيتا الثوب، طرفاه، وحواشى كل
شئ، أطرافه، قال عبدة بن الطبيب:

ثم اصطبحت كميتا قرقفا أنفاً من طيب الراح واللذات تعليل
صرفاً مزاجاً وأحياناً يعللنا شعر كمذهبة السمان محمول
تذرى حواشيه جيداً أنسة فى صوتها لسماع الشرب ترتيل
تغدو علينا تلهينا وتصفدها تلقى البرود عليها والسرابيل^(٢)
أى ترفع أطراف الشعر أو الصوت أو الغناء هذه المرأة.

(١) لسان العرب ٤/١٩، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص ١٨٦.

(٢) المنضليات ص ١٤٥.

الكميت: الخمر، سميت بها للونها، القرقف: التى تنسب شاربها رعدة، أنف: مستأنفة،
يريد أنها لم يزلها أحد قبله، ولم يشربها، صرفاً مزاجاً: نشربها صرفاً لذبيبها، وكأنها وإن
كانت صرفاً ممزوجة بالماء لسهولتها، يعللنا شعر: يلهينا غناء القيان به، السمان: وشى
مقارب، مأخوذ من سم الإبرة، أو السمان: الأصباغ التى تزوق بها السقوف، محمول: يحمله
الناس ويرونه لحسنه، حواشيه: أطرافه: تذريه: ترفعه من الذروة، أو تسقط حواشى =

تلقاء: ناحية، أو قبل، أو قبالة.

قال النابغة الذبياني يعتذر للنعمان بن المنذر:

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني وتلك التي تستك منها المسامع
مقالة أن قد قلت سوف أناله وذلك من تلقاء مثلك رائع
لعمري وما عمري على بهين لقد نطقت بطلا على الأقارع^(١)
أى من ناحيتك، أو قبلك.

=أغانيها تطربا وترجيحا، الجيداء: الطويلة الجيد، الآتية: المنبسطة المتحدثة، الشرب، بالفتح، الشاربون، نصفها: تغطيها، البرود: جمع برد، السراويل: الثياب.
(١) ديوان النابغة الذبياني، ص ٣٤.

تلك: أى الملامة التى أتتني عنك أصمت مسامعى كراهة لسماعها، وتستك: تشتد وتضيق، فلا تسمع، والمسامع: الأذان، والسكك: ضيق الصماخ، مقالة: تبين لقوله: أنك لمتني، وذلك: أى وذلك القول رائع من تلقاء مثلك، أى يفزع من قبلك، ولم يرد أنه يروع من مثله خاصة، وإنما أراد أنه رائع منه، ومن هو مثله من أهل السلطان والقدرة، لعمري: معناها البقاء، وإنما حلف بها، لأنها بين كثرت فى الاستعمال، ولم يقصد أن يقسم ببقائه، البطل: بضم الباء وسكون الطاء، الباطل، وأراد بالأقارع بنى قريع بن عوف، وهم من بنى تميم، وكانوا قد وشوا به عند النعمان، وذكروا أنه يصف فى شعره المتجردة.

وقال النابغة الذبياني أيضاً:

هلا سألت بني ذبيان ما حسبي

إذا الدخان تغشى الأشمط البرما

وهبت الريح من تلقاء ذي أرل

تزجي مع الليل من صرادها صرما

صهب الظلال أتين التين عن عرض

يزجين غيما قليلاً ماؤه شيما

ينبتك ذو عرضهم عنى وعالمهم

وليس جاهل شيء مثل من علما^(١)

تلقاء: أى قبالة.

(١) ديوان النابغة الذبياني، ص ٦٢ - ٦٣.

يخاطب صاحبه سعاد، إذا الدخان تغشى: إذا اشتد الزمان، وقوى البرد فغشى الناس النار، فأحاط بهم الدخان، الأشمط: الذى بدا الشيب فى رأسه، وخصه لأنه أجراً على البرد من الشاب، فيغشى النار، ولأنه أشد احتمالاً، وأجلد من الشاب، إذ كان قد جرب الأمور وذاق حلوها ومرها، وقيل: إذا قال الشاب كان أبلغ فى شدة الزمان، ويرد، البرم - بفتحتين - الذى لا يدخل فى الميسر إذا نحر القوم جزورا، بخلا منه ولؤما، أرل: جبل بأرض غطفان، بينها وبين عذرة، وإذا كانت الريح شمالاً كانت أشد الريح برداً، وأقلها خيراً، تلقاء: قبالة، تزجي: تسوق وتدفع، الصراد: سحاب بارد لا ماء فيه، بضم الصاد، وتشديد الراء، =

وقال البحتري:

الله جارك فى انطلاقك تلقاء شامك أو عراقك^(١)

أى ناحية، أو قبل.

وجر الجدال فينا ذيله، أى طال الجدل، وامتد، أو كاد أن ينزوى
الجدال خجلاً، أو كاد الجدل أن يصيبه العجب حين نال منهم ما نال،
أو حين كثر وزاد وفاض.

قال الشاعر:

أنته الخلافة منقادة إليه تجرر أذيالها

فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها

أى بكل ما فيها، أو بطولها، أو بخجلها.

=الصرم: يكسر الصاد وفتح الراء، القطع من السحاب، صهب: قطع، ولا تكاد السحب تكون
كذلك إلا عند هبوب الشمال، وأشد ما يكون البرد عند ذلك، التين: جبل مستطيل، وإذا
كانت الرياح شمالاً أنته من عرضه، أى جانبه، يزجى: بعضهن يزجى بعضاً، أى يتدافعن
ويتلو بعضهن بعضاً، الشم: الماء البارد، أو تزجى: أى الرياح يزجى هذا الغيم، وأشد ما
يكون البرد إذا كان غيم وريح، ذو عرضهم: أى الذى له فيهم عرض، وهو الكريم الذى يتقى
الشم.

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص ١١١.

وقال المزار بن منقذ:

لا تمس الأرض إلا دونها عن بلاط الأرض ثوب منعفر
تطأ الخنز ولا تكرمه وتطيل الذيل منه وتجر
وترى الریط مواديع لها شعرا تلبسها بعد شعر
ثم تنهد على أنماطها مثل ما مال كتيب منقعر^(١)
أى دلالة على العجب.

وقال آخر:

ولقد شربت الخمر حتى خلتنى لما خرجت أحمر فضل المنزر
قابوس أو عمرو بن هند قاعدا يحبى له ما بين دارة قيصصر
فى فتية بيض الوجوه خضارم عند الندام عشيرهم لم يخسر^(٢)

(١) المفضليات ص ٩١ - ٩٢.

الريط: جمع ربطة، وهى الملاءة إذا كانت قطعة واحدة كلها نسيج واحد، مواديع: جمع ميدع، بكسر الميم، وهو الثوب يسان به الثوب والمبازل، شعر، بضم الشين والعين، جمع شعار، وهو الثوب يلى الجسد، والمراد أنها فى مياذله تلبس نفيس الثياب لا تصونها، وتبذلها ثوباً بعد ثوب، تنهد: كأنها تنكسر، الأنماط: ضرب من البسط، الكتيب: التل من الرمل، منقعر: منقطع، كما تنقطع النخلة.

(٢) البيان والتبيين ٣/ ٢٨٥ - ٢٨٦.

يقول الراوية عيسى بن هشام للبطل أبى الفتح الإسكندري: فما
تقول فى جرير والفرزدق؟ وأيهما أسبق؟

قال مروان بن أبى حفصة:

ذهب الفرزدق بالفخار وإنما حلو القصيد ومرة لجرير
ولقد هجا فأمض أخطل تغلب وحوى اللهأ ببيانه المشهور
كل الثلاثة قد أبر بمدحه وهجاؤه قد سار كل مسير^(١)

تاح: أي تهيأ وتيسر.

قال الحرث بن حلزة:

ياأيها المزمع ثم انثنى لا يشنيك الحازى ولا الشاحج
ولا قعيد أعضب قرنه هاج له من مرتع هائج^(٢)

(١) طبقات الشعراء، ص ٤٦.

اللهأ: العطاء.

(٢) البيان والتبيين ٢٥٤/٣

الحازى: الكاهن الذى يزجر الطير، الشاحج: القراب.

القعيد الأعضب: الطبقى المكسور القرن الذى يأتى من الخلف.

بينما الفتى يسعى ويسعى له تاح له من أمره خالج
يترك ما رفع من عيشه يعيث فيه همج هامج^(١)
أى تهيأ أو تيسر.

وأعرض عنا فراح، أعرض: ولى، أو أبدى عرضه.

قال زهير بن أبى سلمى:

وأبيض فياض يده غمامة على معتضيه ما تغب فواضله
بكرت عليه غدوة فوجدته قعودا لديه بالصريم عواذله
يفدينه طورا وطورا يلمنه وأعيا فما يدرين أين مخاتله
فأعرضن منه عن كريم مرزئ جموع على الأمر الذى هو فاعله
أخى ثقة لا تتلف الخمر ماله ولكنه قد يتلف المال نائله
تراه إذا ما جنته متهللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله
وذى نسب ناء بعيد وصلته بمال وما يدرى بأنك واصله^(٢)

(١) المرجع السابق، ما رفع: ما أصلح، همج هامج: رعا ع أو شاب.

(٢) شرح ديوان زهير بن أبى سلمى، ص ١٣٩ -

الأبيض: يريد به النقى من العيب، والعرب إذا وصفوا بالبياض لا يريدون به بياض اللون، وإنما يريدون المدح بالكرم، ونقاء العرض من الدنس والعيوب، يده غمامة: تظمر يده =

أعرضن: أى ولين.

وقال أبو ذؤيب الهذلى:

بأحسن منها حين قامت فأعرضت توارى الدمع حين جد انهماهما^(١)

يقول الراوية: فجعلت أنفيه وأثبتته، وأنكره وكأنى أعرفه، ثم دلتنى عليه تناياه، فقد حار بين معرفته وإنكاره، ونفيه وإثباته.

= بالإعطاء كما تظفر الغمامة، فواضله: يريد خصالاً فاضلة، أو عطاياه لأنها تفضل كل عطاء، أو النعم الجسيمة أو الجميلة، ولازم الخصال الفاضلة السخاء والفضل، فياض: سخى: المعتفون: الذين يأتونه يطلبون ما عنده، ما تغب: أى عطاؤه كل يوم، أى إنها دائمة لا تنقطع، لا تكون غاية، أو لا تأتى يوماً وتترك يوماً، أو ما تتأخر، الصريم: جمع صريمة، وهى القطعة من الرمل تنقطع من معظمه، عواذله: يعذله على إنفاق ماله، وقيل: الصريم: الليل، وقيل: النهار، ينصرم كل منهما من الآخر، وقيل الصريم الصبح، وهو أشبه بالمعنى، لأنه يسكر العشى، فإذا أصبح وقد صحا من سكره لئنه، يفديته: يقلن له: قديناك بأنفسنا وأبائنا وأمهاتنا ليستنزله بذلك حتى يقبل عذلهن، ولكنه أعياهن فما يدري كيف يخدعنه، أى أين الأمر الذى يختلته فيه، أعرضن: ولين، مرزأ: يصاب منه الخير ويزر أماله، جموع على الأمر: أى ماض عليه مجمع الرأى، إذا هم بأمر لم يتردد، ولم يساوره شك، وإذا قدر فعل أمر عزم عليه، وأمضاه، ولم يرد عنه، أخو ثقة: أى يوثق بما عنده من الخير لما علم من جوده وكرمه، ناثله: عطاؤه، ثم يقول: هو مسرور بمن سألته مستبشر به، كما يستبشر الإنسان بأن يوصل ويعطى، ولم يرد أنه حريص على الأخذ مستبشر به، ولكنه قال هذا على ما جرت به العادة من محبة النفس للأخذ، وكراهيتها للإعطاء، متهللاً: مستبشراً، ثم يقول: إنه وصل قوماً فوصلوا غيرهم من صلته، فكان هو سبب ذلك الوصل، وهم لا يعرفون ذلك، وإنما قال هذا إشارة إلى كثرة معروفيه، وسعة إفضاله، حتى يفنى من سألته، فيفضل سائلوه على غيرهم، لغناهم وكثرة ما عندهم.

(١) لسان العرب ٩/ ٣٠.

قال أبو المثلّم:

متى ما تنكروها تعرفوها على أقطارها علق نفيث^(١)
أى عندما تنكرونها، تتذكرونها فتعرفونها، فلن يبق الإنكار،
وستحل محله المعرفة.

وقال الحارث بن خالد المخزومي:

إنى وما نحروا غداة منى عند الجمار تؤودها العقل
لو بدلت أعلى منازلها سفلا وأصبح سفلا يعلو
فيكاد يعرفها الخبير بها فيرده الإقواء والمحل
لعرفت مغناها بما احتملت منى الضلوع لأهلها قبل^(٢)
أى يعرف الدار لو بدلت أعلى منازلها سفلا، وأسفل منازلها علوا.
وقال امرؤ القيس:

لمن طلل درست آية وغيره سالف الأحرس
تنكره العين من حادث ويعرفه شغف الأنفس^(٣)

تنكره العين، وتعرفه النفس بشغفها.

(١) ديوان الهذليين ٢/٢٢٤، لسان العرب ٢٠/٣٦٥.

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب ١/٢٨٥.

العقل: يضم العين وسكون القاف: جمع عقال، الإقواء: خلاء الديار، المحل: الجذب.

(٣) زهر الآداب وثمر الألباب ١/٢٨٧، الأحرس: الدهر.

وقال طريح بن إسماعيل الشقي:

تستخبر الدمن القفار ولم تكن لترد أخبارا على مستخبر
فظللت تحكم بين قلب عارف مغنى أحبته وطرف منكر
أى قلبه يعرف منازل أحبته، وعينه تنكرها.

وقال الحسن بن وهب:

أبليت جسمي من بعد جدته فما تكاد العيون تبصره
كانه رسم منزل خلق تعرفه العين ثم تنكره
تجار العين بين معرفته وإنكاره.
وقال يحيى بن منصور الذهلي:

أما يستفيق القلب إلا انبرى له تذكر طيف من سعاد ومربع
أخادع عن عرفانه العين إنه متى تعرف الأطلال عيني تدمع
بخادع عينه عن معرفة الأطلال، حتى لا تدمع العين عند رؤية
الأطلال.

وقال آخر:

هي الدار التي تع رف لم لا تعرف الدارا

ترى منها لأجبا بك أعلما وآثارا

فيبدى القلب عرفانا وتبدى العين إنكارا^(١)

أى يظهر القلب المعرفة، وتبدى العين الإنكار.

وقال أبو نواس:

ألا لا أرى مثلى امترى اليوم فى رسم

تغص به عينى ويلقظه وهمى

أتت صور الأشياء بينى وبينه

فظنى كلا ظن وعلمى كلا علم^(٢)

ظنه كلا ظن وعلمه كلا علم، لأنه امترى فى رسم تضيق به عينه، ويرفضه وهمه، وقد تغيرت صور الأشياء، فوقفت حائلاً بينه وبين الصور الجميلة التى كان يرى هذا الرسم عليه.

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ٢٨٧/١.

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب ص ٢٨٧.

الخشف: ولد الظبية.

قال تأبط شرا:

إنى إذا خلة ضنت بنائلها وأمسكت بضعيف الوصل أحذاق
 نجوت منها نجائى من بجيلة إذ ألقيت ليلة خبت الرهط أرواقى
 ليلة صاحوا وأغروابى سراعهم بالعيكتين لدى معدى ابن براق
 كأنما حثحثوا حصا قوادمه أو أم خشف بذى شث وطباق
 لا شئ أسرع منى ليس ذا عذر وذا جناح بجانب الريد خفساق
 حتى نجوت ولما ينزعوا سلبى بواله من قبض الشد غيسداق
 ولا أقول إذا ما خلة صرمت يا ويح نفسى من شوق وإشفاق^(١)
 يصف سرعته بسرعة الظليم، وهو ذكر النعام، وسرعة الظبية.

(١) المفضليات ص ٢٨، الروائع من الأدب العربى، ١/ ٤٤٤ - ٤٤٦.

الحلة: الصداقة، وتقال للصديق، وللمذكر والمؤنث، والواحد والجمع، وأنث الضمان من أجل اللفظ، النائل: ما ينال، بضعيف الوصل: بحبل ضعيف، أحذاق: متقطع، بجيلة: القبيلة التى أسرت، الخبت: اللين من الأرض، الرهط: موضع ألقيت أوراقى: استفرغت مجهودى فى العدو، يقول: إذا ضن عنى صديقى بنائله، وكان وصاله ضعيفا أحذاقا، خليته ونجوت منه كنجائى من بجيلة، العيكتان: مريض، معدى: مصدر ميمى، أو اسم مكان =

وقال الحارثى من قصيدة يرثى بها قرضها على روى قصيدة متمم
بن نويرة التى يرثى بها أخاه مالكا، ويصور الجزع عليه كجذع أم
خشف على خشفها حين أكله الذئب أو السبع.

يقول الحارثى فى وصف الخشف:

فما أم خشف أودعته قرارة من الأرض وانساحت لترعى وتهجعا
خليس كلون الأيهقان ابن ليلة أمر قواه أن ينوء فيركعا
ويهتز فى الممشى القريب كأنه قضيب من البان التوى فترعرعا^(١)

=من عدا يعدو، ابن براق: هو عمرو، وهو والشنفرى صديقاً تأبط شرا، وكانا معه ليلة انفلاته
من بجيلة، وهو هنا يذكر حادث هربه من بجيلة، حين أُرصدوا له كميناً على ماء، فأخذوه،
وكتفوه بوتر، ثم دبر حيلة بارعة هو وعمرو بن براق، والشنفرى، تمكن بها الثلاثة من النجاء
عدواً على الأقدام، وفيها تصوير جيد لقوة جريه، وشدة عدوه، حشحووا: حركوا، من الحث،
القوادم: قاوى الرأس من ريش الجتاح، الحص: جمع أحص، وهو ما تناثر ريشه وتكسر، يشير
بذلك إلى الظليم، وهو ذكر النعام، الخشف: ولد الظبية، الشث والطباق: نباتان طيبا المرعى،
يضمران راعبيهما، ويشدان لحمهما، أى كأنما حركوا بحركتهم إياى ظليما، أو ظبية، والتعام
والظباء مضرب المثل فى سرعة العدو، لعذر: جمع عذرة، وهى ما أقبل من شعر الناصية على
وجه الفرس، الريد: الشمراخ الأعلى من الجبل، يقول: لا شئ أسرع منى إلا الفرس، وإلا الطائر
الجارج الذى يأوى إلى الجبل، إذ هو أسرع طيرانا من جارج السهل، السلب: ما يسلب فى
الحرب، الواله: الذاهب العقل، الشد القبيض: الجرى السريع، الفيداق: الكبير الواسع، من
الغدق، وهو المطر الكثير، يريد أنه نجا من بجيلة مسرعاً كالواله، فيكون قد جرد من نفسه
شخصا كاد يذهب عقله من سرعة الهرب، والطلب وراءه، صرمت: قطعت.

(١) طبقات الشعراء ص ٢٧٧.

الخليس: الأحمر، أو الذى خالط بياضه سواد، الأيهقان: عشب يطول، وله وردة حمراء،
أمر قواه: أى أقوى قواه، ترعرع: تحرك.

فظلت بمستن الصبا من أمامه تنعم فى المرعى إليه ليسمعا
إذا أغفلت نادت وإن ناب نبأة على سمعها تذكر طلاها فترعاً^(١)
أم خشف أى أم الطبقى.

وقال عبد الله بن قيس الرقيات:

شبه أدماء مغزل ضل عنها خشفها فانتحت مكانا سهوياً^(٢)
خشفها: ولدها، أى ولد الطبية.

وقال كثير بن عبد الرحمن:

وما أم خشف ترعى به أراكا عميما ودوحا ظليلاً^(٣)
أى الطبية أم الطبقى.

وقال ذو الرمة:

كأن عرى المرجان منها تعلقت على أم خشف من ظباء المشاقر^(٤)
أى على ظبية أم ولد، من ظباء المشاقر.

(١) المرجع السابق.

مستن الصبا: موضع جريها، ناب: مقلوب نبأ، بمعنى صوت صوتاً خفيفاً، النبأة: الصوت
ليس بالشديد، الطلى: ولد الطبقى، ترعى: تتوقف.

(٢) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص ١٠٨.

(٣) ديوان كثير عزة، ص ٣٩١.

(٤) لسان العرب ١٨/١٩١.

والتصوير بالخشف ورد فى الشعر القديم كثيراً.

قال امرؤ القيس فى وصف الفرس والربى:

وقد أعتدى قبل العطاس بهيكل شديد مشك الجنب فعم المنطق
بعثنا ربيثا قبل ذلك مخملا كذب الغضى يمشى الضراء ويتقى
فظل كمثل الخشف يرفع رأسه وسائره مثل التراب المدق
وجاء خفيا يسفن الأرض بطنه ترى التراب منه لاصقا كل ملصق
فقال ألا هذا صوار وعانة وخط نعام يرتعى متفرق^(١)
يصور الربيثة بالخشف، وهو ولد الظبية.

(١) ديوان امرؤ القيس، ص ١٧٢.

قبل العطاس: يعنى قبل أن يقوم الناس فيسمع صوت أو عطاس، الهيكل: الفرس
الضخم المرتفع، شبهه بهيكل النصارى، وهو أكبر بيت لهم، شديد مشك الجنب: يعنى شديد
مغرز الجنب فى الصلب، فعم المنطق: تمتلئ الجوف، الربى والربيثة: الذى يربأ للقوم، أى ينظر
الصيد من مكان مرتفع، مخملا: يعنى يخل نفسه، أى يسترها ويخفيها، الغضى: شجر،
وأخبث الذئاب ما كان منشؤه ومأواه الغضى، يمشى الضراء: هى مشية فيها اختيال وتبخر،
استتارا من الصيد، ويتقى أن يراه، كمثل الخشف: هو ولد الظبية، يصور الربى، يرفع
رأسه: ينظر هل يرى شيئا، وسائره مثل التراب: قد لصق بالأرض، يعنى أنه يخفى شخصه
من الصيد لئلا ينفر، يسفن: أى يمسخ الأرض بطنه، يعنى يزحف زحفا، الصوار والصيار:
القطيع من البقر، العانة من الحمر: الجماعة، وكذلك الخط من النعام.

وقال المعلى الطائى فى وصف مغنية:

إذا سمعت أذنائى منطق عودها وأفصحت الأوتار عنها بما تخفى
وغنت كصوت الصنج تحت لهاثها تجاوبه النايات فى نغم الأنف
فيجمع بين الرجز والشج حذقها وتسكت من غنج على مقطع الحرف
موردة الخدين مضمومة الحشا معقبة الصدغين فاترة الطرف
تقمص أثواب الرجال تمرداً وتأنف من لبس القلادة والشنف
كأن قضيب البان يهتز فى الثرى تأود متنيها على الخصر والردف
لهاثيه معشوف وذلة عاشق وفطنة جماش وناظرتا خشف
واقدام ليث وانخزال مؤنث وقسوة شارحين حكم فى الزحف
أراها بعين ثم أمضى بمنسرة كأن فؤادى فون نار من الرصف
تقدمنى رجلى إلى البعد والهوى يحول وجهى بالتفات إلى الخلف^(١)
يصور ناظرتيها بناظرتى ولد الطيبة، لشهرتها بجمال العينين.

(١) طبقات الشعراء، ص ٣٢٤

الشف: ما علق فى الأذن

وقال أبو نواس:

نُظرت بعيني جُوذِر خرق وتلفتت بسوالف الخشف^(١)

يصور عينيها بعيني الجُوذِر، وهو ولد البقرة الوحشية، ثم يصورها
كذلك بالخشف، وهو ولد الطيبة.

وقال أبو نواس أيضاً:

إن في المكتب خشفا جعلت نفسي فداه^(٢)

يصور الفتاة بولد الطيبة في جمال العينين.

وقال أبو نواس أيضاً:

إنما العيش يا أخي حب خشف من العرب^(٣)

أى فتاة من العرب كولد الطيبة.

وقال أبو ذؤيب الهذلي:

فما أم خشف بالعلالية شادن تنوش البربر حيث اهتصارها

مولعة بالطرتين دنا لها جنى أيكة يضفو عليها قصارها

(١) ديوان أبي نواس، ص ٦٦.

(٢) ديوان أبي نواس، ص ٣٣١.

(٣) ديوان أبي نواس، ص ٧١٤.

به أبلت شهرى ربيع كليهما فقد صار فيها نسؤها واقتزارها
وسود ماء المرء فاها فلونه كلون النور فهي أدماء سارها
بأحسن منها يوم قامت فأعرضت

توارى الدموع حين جد انحدارها^(١)

يعقد مقارنة بين صاحبه والطبية أم الخشف.

وقال أبو ذؤيب الهذلي أيضاً:

وما أم خشف بالعلاية ترمى وترمق أحيانا مخاتلة الحبل

بأحسن منها يوم قالت كليمة أتصرم حبلى أم تدوم على الوصل^(٢)

يعقد مقارنة بين صاحبه والطبية أم الخشف.

وقال أبو ذؤيب الهذلي أيضاً:

كان ابنة السهمى يوم لقيتها موشحة بالطرتين هميج

بأسفل ذات الدير أفرد خشفها فقد ولهت يومين فهي خلوج^(٣)

يصف صاحبه بالطبية، وابنها بالخشف.

(١) ديوان الهذليين ٣٣/١ - ٣٤.

(٢) ديوان الهذليين ٣٦/١.

(٣) ديوان الهذليين ٥٩/١ - ٦٠.

- الجلف: بكسر الجيم، جلد الشاة والبعير، فكأن المعنى أنه أعرابي بيدويته وجفائه، أعرابي جلف، أى هو أعرابي بجلده، ولم يتزى بزى أهل الحضرة وأخلاقهم، فيكون قد نزع جلده الذى جاء فيه وليس غيره، كقولهم: هذا كلام العرب بغباره، أى لم يتغير من جهته.

وقيل: أصله من أجلاف الشاة المسلوخة بلا قوائم، ولا رأس، ولا بطن، فكأنه جسم فقط، أى ليس يفهم ما يراد منه. وقيل: جلف كل شئ: قشره، فكأن المعنى فيه أنه متزى بزى العرب متشبه بهم، وليس منهم، والاول أصح فى المعنى^(١).

وفى الوصف بالجلف قال عيسى بن فاتك يتحدث عن بناته:

وأن يضطرهن الدهو بعدى إلى جلف من الأعمام جاف^(٢)
جعل أعمامهن أجلافا جافين.

وقال على بن الخليل:

فصار تشبها بالقو م جلفا جافيا جشبا^(٣)

جعله جلفا جافيا خشنا.

(٢) الوحشيات ص ٩٠.

(١) الفاخر ص ٨٠.

(٣) مختار الأغاني فى الأخبار والتهانى ص ١٦٩/٥.

وقال أبو نواس:

ومن عجب لعشقتهم الـ جفاة الجلف والصحرا^(١)

فجعلهم جفاة جلفا.

وقال عمرو الهذلي:

فلا تتمننى وتمن جلفا جراهمة هجفا كالخيال^(٢)

جعله جلفا غليظاً خشنا.

وقال المزار:

ولم أجلف ولم يقصرن عني ولكن قد أنى لى أن أريعا^(٣)

أى لم أصر جلفا جافيا.

* * *

وقال ثعلب: الجلف: ذكر النخل الذى يلقي منه، ويقال له الفحال
ولعل معنى الجلف من هذا المعنى، لأنه يدل على البداوة، وعدم
التغير.

(١) ديوان أبى نواس ص ٥٥٨.

(٢) لسان العرب ٢٦٤/١٤.

(٣) لسان العرب ٣٧٥/١٠ - ٣٧٦.

کتابخانه عمومی "فرهنگستان" در

موسسه عالی علمی و تحقیقاتی

کتابخانه عمومی "فرهنگستان" در

کتابخانه عمومی "فرهنگستان" در
کتابخانه عمومی "فرهنگستان" در

کتابخانه عمومی "فرهنگستان" در

کتابخانه عمومی "فرهنگستان" در

کتابخانه عمومی "فرهنگستان" در

کتابخانه عمومی "فرهنگستان" در

کتابخانه عمومی "فرهنگستان" در

کتابخانه عمومی "فرهنگستان" در

کتابخانه عمومی "فرهنگستان" در

کتابخانه عمومی "فرهنگستان" در

کتابخانه عمومی "فرهنگستان" در

کتابخانه عمومی "فرهنگستان" در

کتابخانه عمومی "فرهنگستان" در

کتابخانه عمومی "فرهنگستان" در

کتابخانه عمومی "فرهنگستان" در

- على إثره، أى خلفه.

قالت الخنساء:

مضى وسنمضى على إثره كذاك لكل فتى مصرع^(١)

أى سنمضى خلفه.

وقال جميل بثينة:

رحل الخليط جمالهم بسواد وحدا على إثر الحبيبة حادى^(٢)

أى حدا خلفها.

وقال كعب بن زهير:

ربعد ليال قد خلون وأشهر على إثر حول قد تجرم كامل^(٣)

أى خلف حول، أو بعد حول.

وقال أبو ذؤيب الهذلى:

على إثر أخرى قبلها قد أتت لها إليك فجاءت مقشعرا شواتها^(٤)

(٢) شرح ديوان جميل بثينة ص ٢٤.

(١) شرح ديوان الخنساء ص ٩٥.

(٣) شرح ديوان كعب بن زهير ص ٨٩.

(٤) لسان العرب ١٧٨/١٩.

أى خلف أخرى.

وقال النابغة الذبياني يمدح النعمان بن الحارث الأصغر، وكان قد خرج فى غزوه:

إن يرجع النعمان نفرح ونبتهج ويأت معدا ملكها وربيعها
ويرجع إلى غسان ملك وسؤدد وتلك المنى لو أننا نستطيعها
وإن يهلك النعمان تعرمطيه وتلف إلى جنب الفناء قطوعها
وتنحط حصان آخر الليل نحطة تقضتقض منها أو تكاد ضلوعها
على إثر خير الناس إن كان هالكا

وإن كان فى جنب الفراش ضجيعها^(١)

أى خلف خير الناس بعد هلاكه، يقصد النعمان.

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ١٠٧ - ١٠٨.

الابتهاج: المسرة، ويأت معدا ملكها: أى يرجع إليها ملكها الذى كان لها بهذا المدوح، ويرى بفتح الميم، لأنه كان مالكا لهم ولغيرهم، ولم يكن منهم، فيكون الملك لهم، ربيعها: خصبها وصلاح حالها، غسان: قبيلة المدوح، السؤدد: الشرف، تلك المنى: أى رجعة النعمان هى المنى لو أستطيعها، تعرمطيه: يريد إن هلك النعمان ترك الوفاة والوفد، وحطوا رحالهم عن مطبيهم، وألقوها إلى جنب أفئنتهم، لاستغنائهم عنها، القطوع: بضم القاف، أداة الرجل، كالطنافس ونحوها، تنحط حصان: أى تزفر حزنا لفقده، وتذكر المعروفه وفضله، تقضتقض منها: أى تزفر حتى تكاد ضلوعها تكسر من شدة الزفير، والتقضتقض التكسر، الحصان: المرأة العفيفة، أو ذات الزوج، وخص آخر الليل لأنه وقت هبوبها من نومها، فعند ذلك =

- ويقال: فى إثره أيضاً.

قال صخر الغى:

كأن إرنانها إذا ردمت هزم بغاة فى إثر ما فقدوا^(١)
أى خلف ما فقدوا.

- ويقال أيضاً إثره.

قال أبو ذؤيب الهذلى:

وإن دموى إثره لكثيره لو أن الدموع والبكاء يربح^(٢)
أى خلفه، أو بعده.
وقال أبو جندب:

تخذت غراز إثرهم دليلاً وفروا فى الحجاز ليعجزوني^(٣)
أى خلفهم.

=تذكره، وتزفر من أجله، وأيضاً فإنه وقت يرغب فيه العدو الغارة، فتذكر النعمان لذهبه عنها، ونصره لها، على إثر خير الناس: أى تنحط هذه الحصان خلف النعمان بعد موته، وإن كان معها زوجها، فهى تكيه وتذكر أياديه ومعروفه.

(١) ديوان الهذليين ٦٠ / ٢. (٢) ديوان الهذليين ١١٤ / ١.

(٣) ديوان الهذليين ٩٠ / ٣.

الفصل التاسع

المقامة الخيلانية تحليل ونقد

المقامة الغيلانية

حدثني عيسى بن هشام قال: بينا نحن بجرجان^(١) في مجتمع لنا نتحدث ومعنا يومئذ رجل العرب حفظاً ورواية وهو عصمة بن بدر الفرازى فأفضى بنا الكلام إلى ذكر من أعرض عن خصمه حلماً. ومن أعرض عن خصمه احتقاراً. حتى ذكرنا الصلتان العبدى والبعيث وما كان من احتقار جرير والفرزق لهما. فقال عصمة: سأحدثكم بما شاهدته عيسى ولا أحدثكم عن غيري. بينما أنا أسير في بلاد تميم مرتحلاً نجيبة. وقائداً جنيبة. عن لى راكب على أورق جعد اللغام فحاذاني حتى إذا صك الشبح بالشبح رفع صوته بالسلام عليك. فقلت:

(١) مقامات أبي الفضل وشرحها ص ٣٥ - ٤٠.

قال الأستاذ الأمام: جرجان مدينة من مدن بلاد خوارزم الصلتان بتحريك اللام اسم لجملة من الشعراء منهم العبدى هذا وآخر ضبي وثالث فهمى والبعيث بفتح الباء وكسر العين مثال فعيل وهؤلاء الذين يذكروهم جميعهم من شعراء الدولة الأموية مشاهير.

ناقة نجيبة أى كريمة. والجنيبة ما تستصحبه من المراكب لتراوح بينها وبين ما تركب إذا تعبت إحداها ركبت الأخرى. والمذكر منه جنيب والأنثى جنيبة.

عن لى أى ظهر لى. والأورق من الإبل الآدم أو ما فى لونه بياض وساد قالوا: وهو من أطيب الإبل لحماً لا سيراً و عملاً. واللغام زيد الجمل يقذفه من فيه وجعد اللغام متراكمه وهو صفة الأورق.

الشبح الشخص كأنهما تقابلا حتى تلاطما وصك شخص أحدهما شخص الآخر. وفى نسخة: فاجتاز بهى رافعاً بالسلام فقلت من الراكب الخ. وهى أدنى إلى الصواب من هذه النسخة لأن المار بسرعة قد يسكت عن السلام حتى يجوز فيسلم. ولا يصح للمقبل عليك أن يسكت حتى يلمطك بنفسه ثم يسلم.

۱. مقدمه
 ۲. تاریخچه
 ۳. مبانی
 ۴. روش‌ها
 ۵. نتایج
 ۶. بحث و نتیجه‌گیری
 ۷. منابع
 ۸. پیوسته‌ها
 ۹. فهرست
 ۱۰. تذکره

۱- در این کتاب، که در سال ۱۳۱۳ خورشیدی در تهران چاپ شده است، به بررسی و تحلیل آثار و اندیشه‌های علامه مجلسی پرداخته شده است. این کتاب به عنوان یکی از منابع مهم برای شناخت اندیشه‌های علامه مجلسی در زمینه فقه و اصول شناخته می‌شود.

۱- این کتاب در سال ۱۳۰۲ هجری قمری در شهر تبریز
 ۲- در روز ۱۵ بهمن ماه ۱۳۰۲ هجری قمری
 ۳- در منزلت آقای حاج میرزا محمد باقر
 ۴- در منزلت آقای حاج میرزا محمد باقر
 ۵- در منزلت آقای حاج میرزا محمد باقر
 ۶- در منزلت آقای حاج میرزا محمد باقر
 ۷- در منزلت آقای حاج میرزا محمد باقر
 ۸- در منزلت آقای حاج میرزا محمد باقر
 ۹- در منزلت آقای حاج میرزا محمد باقر
 ۱۰- در منزلت آقای حاج میرزا محمد باقر

صنيعه فوليت ظهري الأرض. وعيناي لا يملكهما غمض. فنظرت غير بعيد إلى ناقة كوما ء قد ضحيت وغبيطها ملقى. وإذا رجل قائم يكلاها كأنه عسيف أو أسيف فلهيت عنهما. وما أنا والسؤال عما لا يعنيني. ونام ذو الرمة غراراً. ثم انتبه. وكان ذلك في أيام مهاجاته لذلك المرى فرفع عقيرته. وأنشد يقول:

أمن مية الطلل السدارس أظ به العاصف الرامس
فلم يبق إلا شجيج القزال ومسترقد ما له قابس

= كوما ء أى عظمة السنام. وضحيت من ضحى يضحي ضحاً إذا أصابته الشمس أو ضحى يضحي ضحاً إذا انكشف بعد ستر وهذا الثانى هو الأظهر لقوله فيما بعد وغبيطها ملقى أى ناقة عظمة السنام قد انكشفت من غبيطها وهو ملقى على الأرض. والذبيط مركب مخصوص يتخذ لراكب الإبل وقالوا: هو الرجل يشد عليه الردح أو هو مركب يشبه اكف النجاتي أو رجل فتيه واحناؤه واحدة. والقتب من الإكاف ما كان على قدر سنام البعير. يكلاه أى يحفظه. والعسيف الأجير. والأسيف العبد ويستعمل كل مكان الآخر فى جل معانيه.

لهيت كرضيت أى تركتهما واعرضت عنهما. وقوله: وما أنا والسؤال أى لست فى شئ من السؤال عما لا يعنيني وأصله استفهام عما يجمعه السؤال على سبيل الإنكار أى لا تجمعه من السؤال عما لا يعنيني جامعة وجود. ذو الرمة غيلان بن عقبة، ونام غراراً أى قليلاً. مهجوه من بنى مرة ابن حجر.

رفع عقيرته أى صاح وأصله أن تعقر الرجل فيرفعها الرجل ويصيح من الألم ثم غلب فى الصباح مطلقاً.

رأى طللاً أى شاخصاً من آثار ديار فكأنه لم يدر من شدة الوله هل هذا الطلل من آثار مية مجربته فاستفهم عنه. والدارس العافى المضمحل. وأظ به أى لازمه. والعاصف الريح الشديدة. والرامس من رمس الشئ إذا غطاه ودفنه. أى لازمه الريح حتى دفنته وغطته بما تجلب من الإتربة.

شجيج فعيل من شج بمعنى مفعول أى مشجوج مكسور. والقزال ما اكتنف فأس القفا=

وحوض تثلم من جانبيه ومحتفل دارس طامس
وعهدى به وبه سكنة ومية والإنس والآنس -
كأنى بمية مستنفر غزالاً تراءى له عاطس
إذا جثتها ردى عابس رقيب عليها لها حارس

= عن اليمين والشمال. فالمراد من شجيج القذال مكسور الرأس. وقصد به هنا الوتد الذى كانت تربط فيه الأطناب أو تقيد إليه الدواب فيعد خلو المكان من السكان بقيت الأوتاد المكسرة الرؤوس من الدق أيام كانوا يستعملونها. وقوله ومستوقد معطوف على شجيج القذال. والمستوقد على صيغة اسم المفعول مكان اشتعال النار. والقابس من قيس إذا أخذ من النار شعلة. كنى بنفيه عن عدم وجود النار فيه لأنه إذا لم يكن فيه نار لم يكن منها قابس بالضرورة.

الحوض كانت إبلى أهل الحى تشرب منه فلما خلا منهم تثلم من جانبيه أى تهدم لعدم من يتعهده بالمحافظة والإصلاح. والمحتفل مكان الاحتفال أى الاجتماع فهو يفتح الفاء أى منتدى دارس عاف وفى نسخة: دائر بمعناه. طامس من طمس الشئ أى أغشى وذهب أثره.

عهدى به أى علمى متعلق به والضمير إلى (الطلل الذى هو مجموع تلك الآثار التى عددها وقد يرجع إلى المحتفل: يريد إنى أعلم هذا المكان فى حال كان به سكنه بتسكين الكاف أى ساكنوه فهو جمع ساكن كصاحب وصاحب أو هو اسم جمع له. ومية معطوف على سكنه وهى منهم خصصها لامتيازها من بينهم عنده لما شغف حبها قلبه. والإنس بكسر الهمزة الأليف وهو مية كرر ذكرها بلفظ آخر. والآنس ما يسكن قلبه إليك ضد المستوحش وهو هى أيضاً. وقد يراد بالأليف والآنس أخلاء آخرون كانوا له بحى مية. ويصح ان تقرأ الآنس بضم الهمزة ضد الوحشة والموضع إذا كان فيه ساكنوه كان فيه الآنس وارتفعت الوحشة وكان فيه الآنسون وهم من يسكن بعضهم إلى بعض.

كأنه مع مية أى نسبته إليها كنسبة المستنفر للغزال. فكما أن مستنفره أى منفرة لا يصل إليه كذلك الشاعر مع مية لا يصل إليها. وتراءى له ظهر بحيث يراه. والعاطس الصبح وإذا استنفرت غزالاً فى أول الصبح كان نفوره اشد ما يكون لان قربه من وحشة الليل تعظم الفزع فيه وضوء الصبح يريه سبيل المهرب.

بيان لسبب حرمانه منها كما يحرم مستنفر الغزال من الغزال وذلك أنه كلما جاءها يريد لقاءها يجد من أهلها عابساً غيوراً وهو رقيب عليها خيفة تعرض العاشقين لها حارس

=

حافظ لها من شرورهم.

ستأتى امرا القيس مأثورة يغنى بها العابر المجالس
ألم تر أن امراً القيس قد أظ به داؤه الناجس
هم القوم لا يألمون الهجاء وهل يآلم الحجر اليابس
فما لهم فى العلا راكب ولا لهم فى الوغى فارس
ممرطلة فى حياض الملام كما دعس الأدم الداعس
إذا طمع الناس للمكرمات فطرفهم المطرق الناعس
تعاف الأكارم إصهارهم فكل أياماهم عانس

= امرؤ القيس هذا هو مهجوه. والمأثورة المروية يريد القصيدة التى يهجو به أى إنه ستأتيه قصيدة تشتهر حتى يرويها الناس وتصير أغنية لا يتغنى بها السائرون فى الأسفار فقط بل والقائمون فى مساكنهم أيضاً فالجالس يغنى بها للعابر أى المار فى طريقه. وهذا البيت انتقال من ذكر الأطلال والآثار إلى الهجاء اقتضاباً لم يراع فيه حسن التخلص. أظ به لزمه. والناجس من الأدواء الذى لا يبرأ. وأراد من دائه ما يهيجه على هجاء ذى الرمة من الحسد أو الحقد أو اللؤم وخبت الطبيعة. ضمير الجماعة لقوم امرئ القيس يقول إن قوم هذا المهجو لا يألمون من الهجاء لأنهم أحجار والمهجو واحد منهم فلا يألم كما لا يألمون وذكر الحجر لمزلهم باسم أبيهم، الوغى: الحرب ممرطة أى ملطخة تقول ممرطت فلاناً بالطين ونحوه أى لطخته به وكأنه جعل الملام سائلاً من القدر يخبزن فى حياض وقد غمس هؤلاء القوم فيها بتلك الاقذار وثبت ذلك فى أعراضهم كما يثبت الدباغ فى الأدم جمع أديم وهو الجلد المدبوغ. ودعسه وطنه وطناً شديداً وهكذا يصنع بالجلد عند دبغه يدعس حتى يتشرب الدباغ وأنث وصف ممرطة لتأويل القبيلة. طمع الناس رموا بأبصارهم إلى المكرمات وأحاسن الفعال. وطرفهم بصرهم. والمطرق المنكس: إذا امتدت الابصار للجميل لتهدلى إلى فعله كان بصر المذمومين مغمضاً عنها. تعاف أى تكره وتستقذر. الأكارم جمع أكرم يريد اعالى الناس والإصهار مصدر =

فلما بلغ هذا البيت تنبه ذلك النائم وجعل يمسح عينيه ويقول: أذو
الرميمة يمنعنى النوم بشعر غير مثقف ولا سائر فقلت: يا غيلان من
هذا. فقال: الفرزدق وحمى ذو الرمة فقال:

وأما مجشاشع الأرذلسوم ن فلم يسق منبتهم راجس

سيعقلهم عن مساعى الكرام عقال ويحبسهم حابس

فقلت: الآن يشرق فيثور ويعم هذا وقبيلته بالهجاء. فوالله ما زاد
الفرزدق على أن قال: قبحا لك يا ذا الرميمة أتعرض لمثلنى بمقال
منتحل ثم عاد فى نومه كأن لم يسمع شيئاً. وسار ذو الرمة وسرت
معه وإنى لأرى فيه انكساراً حتى افترقنا.

=أصهر إليهم وفيهم إذا تزوج من بناتهم فهؤلاء يأبى الكرام أن يتزوجوا منهم لهذا نجد كل
أيامهم جمع أيم وهى التى لا زوج لها بكرة أو ثيباً عانساً أى لم تتزوج أصلاً ولا يقال لمن
تزوجت مرة عانس وفى نسخة: بدل أياماهم نساءهم أى جميع بناتهم بلا أزواج لكراهة الناس
فى مصاهرتهم.
المثقف المقوم المذهب الذى لا عوج به. والسائر الذى لجودته يسير فى البلاد رواية وحسن
شهرة.

مجشاشع قوم الفرزدق لأنه من مجشاشع ابن دارم. وقوله فلم يسق منبتهم دعاء عليهم أن لا
ينزل المطر بمنابتهم أى مواضع نباتهم فيجذبون. والراجس السحاب الشديد صوت رعده.
العقال ما تعقل به الناقة لتقف وتنع عن المشى ولا يريد من السين فى سيعقلهم حقيقة
الاستقبال ولكنه أتى بها للدلالة على أن ما عرف فيهم من الامتناع عن مساعى الكرام
سبيلزهم فى الآتى من الزمن فهم عنده محبسون عن مساعى الكرام دائماً قبل القول وبعده
وشبه ما فى طباعهم من الخسة التى تعقد عن مطالب الكرام بالعقال.
يشرق من شرق إذا شجى وغص بريقه كنى به عن شدة الغيظ. ويثور أى يهيج فيشمل
ذا الرمة وقومه بالهجو، تعرض أى تتعرض تقول عرضت لفلان بسوء أى تعرضت له.
والمنتحل المدعى أى بمقال مسروق ليس له.

تعقيب:

هذه المقامة لا تفسر وفق النظام الأمثل الذى ابتكره بديع الزمان الهمذاني لمقاماته، وإنما هى حكاية حدثت فى جلسة جمعت بين الراوية، وعصمة بن بدر الفزارى، الذى حكى قصة حدثت أمام عيني عصمة بين الفرزدق وذى الرمة، حيث هجا ذو الرمة الفرزدق، فما زاد الفرزدق على أن قال: قبحاً لك يا ذا الرميمة، أتعرض لثلى بمقال منتحل؟

وليس فى هذه المقامة شئ سوى حكاية أدبية أراد الهمذاني بها أن يقول رأياً معيناً فى الأدب، وليس فيها حيل المقامات، ولا دور فيها للبطل، وإنما هى حكاية رواها الهمذاني زاعماً أن الراوية رواها عن عصمة بن بدر الفزارى.

وهى حكاية ما حدث فى مقام أو مجلس معين، لكنها لم تنهج نهج المقامات، لا فى حكايتها، ولا فى عنصر التشويق، ولا فى حيلة البطل، ولا التكبسب بالأدب، فهى أشبه بما يكون من أخبار الأدباء والشعراء فى كتب التراث الأدبى.

أما الصلتان، والبعيث، وذو الرمة فهذا هو التعريف بهم!

الفصل العاشر

السلطان، البيث، ذو الرمة

الصلتان العبدى

هو قثم بن خبيثة، من عبد القيس^(١).

واجتمع إليه فى الحكم بين الفرزدق وجريز، فقال:

أنا الصلتانى الذى قد علمتم متى ما يحكم فهو بالحق صاعد
أتتنى تميم حين هابت قضاتها وإنى لبالفصل المبين قاطع
كما أنفذ الأعشى قضية عامر وما لتميم فى قضائى رواجع
ولم يرجع الأعشى قضية جعفر وليس لحكمى آخر الدهر راجع
سأقضى قضاء بينهم غير جائر فهل أنت للحكم المبين سامع
قضاء امرئ لا يتقى الشتم منهم وليس له فى المدح منهم منافع
قضاء امرئ لا يرتشى فى حكومة إذا مال بالقاضى الرشا والمطامع
فإن كنتما حكمتما نى فأنصتا ولا تجزعا، وليرض بالحق قانع
فإن ترضيا أو تجزعا لا أقلكما وللحق بين الناس راض وجازع
فأقسم لا آلو عن الحق بينهم فإن أنا لم أعدل فقل أنت ضالع

(١) الشعر والشعراء ٥٠٠/١ - ٥٠٢ الموشع ص ٢٢٩، خزانة الأدب ٣٠٤/١.

فإن يك بحر الحظليين واحداً فما تستوى حيتانه والضفادع^(١)
وما يستوى صدر القناة وزوجها وما يستوى شم الذرى والأكارع^(٢)
وليس الذنابي كالقدامى وريشه وما تستوى فى الكف منك الأصابع^(٣)
ألا إنما تحظى كليب بشعرها وبالمجد تحظى دارم والأقارع
ومنهم رؤوس يهتدى بصدورها والاذناب قدماً للرؤوس توابع
أرى الخطفى بذ الفرزدق شعره ولكن خيراً من كليب مجاشع
فيا شاعراً لا شاعر اليوم مثله جرير ، ولكن فى كليب تواضع
جرير أشد الشاعرين شكيمة ولكن علتة الباذخات الفوارع
ويرفع من شعر الفرزدق أنه له باذخ لذى الخسيصة رافع
وقد يحمد السيف الددان بجفنه وتلقاه رثا عمده وهو قاطع^(٤)

(١) «لأن كليب بن يربوع بن حنظلة: قوم جرير، ودارم ابن مالك بن حنظلة: قوم الفرزدق».

(٢) الأكارع: جمع كراع، وأكارع الأرض: أطرافها القاصية، شبهت بأكارع الشاة وهى قوائمها، ويقال «الكراع» ركن من الجبل يعرض فى الطريق، وفى الأمالى والخزانة: «والأجارع» وهى جمع «أجرع» وهو الأرض ذات الحزونة تشاكل الركل.

(٣) الأمالى ١٤١/٢، خزانة الأدب ١/٣٥٠، طبقات الشعراء ص ٩٥.

(٤) السيف الددان: الكهام الذى لا يمضى.

يناشدني النصر الفرزدق بعدما ألحت عليه من جرير صواقع
فقلت له: إني ونصر كك الذي يثبت أنفأ كشمته الجوادع^(١)
وقالت كليب: قد شرفنا عليكم فقلت لها: سدت عليك المطالع
وقال جرير للصلتان:

أقول ولم أملك سوابق عبرة: متى كان حكم الله في كرب النخل^(٢)
والصلتان هو القائل:

أشباب الصغير وأفنى الكب ركر الليالسى ومر العشى
إذا هرمت ليلة يومها أتى بعد ذلك يوم فتى
نروح ونغسـدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضى
تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقى
إذا قلت يوماً لمن قد ترى: أرونى السرى أروك الغنى
ألم تر لقمان أوصى بنيه وأوصيت عمراً ونعم الوصى

(١) كشمته: فسره القالى فى الأمالى قال: «كشم أنفه: إذا قطعه».

(٢) البيت فى اللاكـى ٧٦٦ وذكر بيتين أجاب بهما جريراً. وفى المؤلف: «فأما الفرزدق

فرضى بهذا القول، لما فضل قومه على بنى كليب، وقال: إنما شعره مروءة من لا مروءة له، وهو أخص حظ الشريف. وأما جرير فإنه غضب وقال: وذكر البيت.

بنى بدا خباء نجوى الرجال فكن عند سرك خباء النجى
وسرك ما كان عند امرئ وسر الثلاثة غير الخفى
فكن كابن ليل على أسود إذا ما سواد بليل خشى
فكل سواد وإن هبته من الليل يخشى كما تختشى
أرد محكم الشعر إن قلته فإن الكلام كثير الروى
لكما الصمت أدنى لبعض اللسا ن، وبعض التكلم أدنى لعي^(١)

* * *

(١) خزانة الأدب ٣٠٨/١، معاهد التنصيص ص ٣٥، الشعر والشعراء ٥٠٢/١.

البعيث

هو كدّاش بن بشر، من بنى مجاشع، من ولد خالد بن ببيعة. وأمه
أصبهانبة يقال لها مردة أو وردة. وإنما لقب بالبعيث بقوله:

تبعت منى ما تبعث بعد ما أمرت قواى واستمر عزمى^(١)

أراد أنه قال الشعر بعد ما أسن وكبر. ويكنى أباً مالك. وكان
البعيث أخطب بنى تميم إذا أخذ القناة. وله عقب بالبادية. وكان
يهاجى جريراً.

وقال أبو عبيدة: سألت بعض بنى كليب فقلت: ما أشد ما هجيتم
به؟ قال: قول البعيث.

ألست كليبياً إذا سيم خطة أقر كإقرار الحليلة للبعل

وكل كليبى صحيفة وجهه أذل لأقدام الرجال من النعل

وكل كليبى يسوق أتاناه له حاجة من حيث تشفر بالحبل

سواسية سود الوجوه كأنهم ظرابى غريان بمجرودة محل^(٢)

(١) الشعر والشعراء ٤٩٧/١، سبط اللاكلى ص ٢٩٦، النقاى ص ٣٨.

(٢) الطرابى: جمع «ظربى» بفتح الظاء وكسر الراء وفتح الباء، مقصور، ويجمع أيضاً.
على «ظربان» بوزن «قطران» أو «الظربان» مفرد أيضاً، وهو دويبة شبه الكلب أصم الأذنين
صماخه يهويان طويل الخرطوم أسود السراة أبيض البطن كثير الفسوس رائحة، يشبه
بالقرد. وإضافتها إلى الغريان لعلها على التشبيه فى اللون: أنها جمعت قبحاً وسواداً.
مجرودة: أرض أكل الجراد نبتها، اللسان ٥٩/٢.

وكان للبعيث أولاد: منهم مالك وبكر، وخرجا مع أبيهما إلى
المدينة فأرسلهما برعيان عليه الإبل، فمرض مالك، فأرسل بكراً إلى
أبيه ليقدم عليه، فقدم فوجده قد مات، فقال:

أرسل بكراً مالك يستحثنا يحاذر من رب المنون فلم يثل
أمالك مهما يقضه الله تلقه وإن حان ريث من رفيقك أو عجل^(١)

(١) الشعر والشعراء ٤٩٨/١.

ذو الرمة

غيلان بن عقبة من بنى عدى، ويكنى أبا الحرث.

لقب بذى الرمة لبيت قاله^(١).

كان بدوياً قحاً، ولكنه كان يتردد على البصرة والكوفة، فقليل: إنه تحضر، وقل ما عرف عن حياته، غير حبه لمية التى شبيب بها عشرين سنة، وللخرقاء أيضاً، قيل: إنه مات سنة مائة وسبع من الهجرة.

روى أن ذا الرمة بدأ فى الشعر بالرجز، ولكنه تركه لما رأى أنه لا يقع من العجاج، ورؤية موقعاً، فعول على الشعر^(٢).

وكان ذو الرمة آخر من ذهب مذهب البدو فى القصيد، الذى أخذه عن الراعى، وقد كان ذو الرمة راويته، وكان ربما تشكى من ذلك، وأنه كان لا يستطيع مجاراة شعراء عصره فى مذاهبهم التى أحدثوها.

وليس ذو الرمة من الشعراء المطبوعين.

ويرى المرزبانى أن ذا الرمة لم يكن له حظ فى المدح، إذ قال فى مدح بلال

(١) تاريخ الأدب العربى، كارل بروكلمان ٢٢٠/١، الأغانى ١٠٦/١٦، وفيات الأعيان ٥١٠/١.

(٢) الموشح ص ١٧٤.

سمعت الناس ينتجعون غيثاً فقلت لصيدح انتجعي بلالاً
ولما سمع بلال هذا البيت غضب، وقال: يا غلام، مر لها بقت ونوى.
روى أن جريراً قال فى شعر ذى الرمة: إنه نقط عروس، وأبعار
ظباء، وأن الفرزدق قال فيه: أرى شعراً مثل بعير الصيران.
وقد أعجب اللغويين شعره لإكثاره من استعمال الغريب وقال أبو
عمرو بن العلاء: إن امرأ القيس أول الشعراء، وذا الرمة آخرهم، وكاد
ذو الرمة يكون أكبر الشعراء، لو سكت بعد أن قال قصيدته:
ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كل مفرية سرب^(١)
وسئل جرير عن شعره، فقال: أبعار غزلان ونقط عروس!
وكان يوماً ينشد فى سوق الإبل شعره الذى يقول فيه:

عذبتهن صيدح

و«صيدح» ناقتة، فجاء الفرزدق فوقف عليه فقال له: كيف ترى ما
تسمع يا أبا فراس؟ قال: ما أحسن ما تقول! فقال فما بالى لا أذكر
مع الفحول؟ قال: قصر بك عن غاياتهم بكاؤك فى الدمن وصفتك
للأبعار والعطن، وأنشأ يقول:

(١) تاريخ الأدب العربى ٢٢٢/١.

(لم يبق منه أبد الأبد غير ثلاث ماثلات سود

وغير مرضوخ القفا موتود) أشعث باقى رمة التقليد^(١)

وكان ذو الرمة أحد عشاق العرب المشهورين بذلك، وصاحبته مية بنت عاصم أو مقاتل بن طلبية بن قيس بن عاصم بن سنان^(٢).

قال أبو سوار الغنوى: رأيت مية، وإذا معها يتنون لها صغار، فقلت: صفها لى، فقال: مسنونة الوجه طويلة الخد شماء الأنف عليها وشم جمال. فقالت: ما تلقيت بأحد من بنى هؤلاء إلا فى الإبل، قلت: أفكانت تنشدك شيئاً مما قال فيها ذو الرمة؟ قال: نعم، كانت تسح سحاً ما رأى أبوك مثله^(٣).

ومكثت مية زماناً لا ترى ذا الرمة وتسمع شعره، فجعلت لله عليها أن تنحر بدنه يوم تراه، فلما رآته رأت رجلاً دميماً أسود، وكانت من

(١) أبد الأبد: أى أبد الدهر، يقال «لا أفعل ذلك أبد الأبد» و«أبد الآباد» و«أبد الأبدية» ونحو ذلك.

مرضوخ: من الرضخ. وهو الدق والكسر. موتود: مثبت، يقال «وددت الودد أئده» أى أثبته.

(٢) ففى اللاكى أنها «بنت عاصم بن طلبية» وفى ابن خلكان «ابنة مقاتل بن طلبية».

(٣) مسنونة الوجه: مخروط وجهها أسيل كأنه قد سن عنه اللحم.

يقال: «تلقت المرأة» وهى متلق «أى علقته.

تسح سحاً: أصل «السح» سيلان الماء من فوق وشدة انصبابه، يريد أنها تكثر الإشاد وتسير فيه بقوة.

أجمل النساء، فقالت: واسوأته! وابؤساه! فقال ذو الرمة:

على وجه مى مسحة من ملاحه وتحت الثياب الشين لو كان باديا
ألم تر أن الماء يخبث طعمه وإن كان لون الماء أبيض صافيا
فيا ضيعة الشعر الذى لج فانقضى بمى ولم أملك ضلال فؤاديا
وكان يشيب أبيضاً بخرقاء، وهى من بنى البكاء بن عامر بن
صعصة. وكان سبب تشبيهه بها أنه مر فى سفر ببعض البوادي، فإذا
خرقاء خارجة من خباء (لها)، فنظر إليها، فوقعت فى قلبه، فخرق
إداوته ودنا منها يستطعم كلامها، فقالت: والله إنى ما أحسن
العمل، وإنى لخرقاء. والخرقاء: التى لا تعمل (بيدها شيئاً) لكرامتها
على أهلها. فشيب بها وسماها خرقاء.

وقال المفضل الضبى: كنت أنزل على بعض الأعراب إذا حججت،
فقال لى يوماً: هل لك إلى أن أريك خرقاء صاحبه ذى الرمة؟ فقلت:
إن فعلت فقد بررتنى، فتوجهنا جميعاً نريدها، فعديل بى عن الطريق
بقدر ميل، ثم أتينا أبيات شعر، فاستفتح بيتاً ففتح له وخرجت علينا
امرأة طويلة حسنة بها فوه^(١)، فسلمت وجلست، فتحدثنا ساعة ثم

(١) حسنة: بضم الحاء وتشديد السين: حسنة. وفى ابن خلكان: «الحسنة أشد حسناً
من الحسناء». القوة بفتح الفاء والواو: سعة الفم وعظمه، وهو أيضاً خروج الأسنان من
الشفتين وطولهما.

قالت لى: هل حججت قط؟ قلت: غير مرة، قالت: فما منعك من
زيارتى؟ أما علمت أنى منسك من مناسك الحج؟ قلت: وكيف ذاك؟
قالت: أما سمعت قول عمك ذى الرمة:

تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام؟!

وكان لذى الرمة أخوة، هشام وأوفى ومسعود، فمات أوفى، ثم
مات (بعده) ذو الرمة، فقال مسعود:

تعزيت عن أوفى بغيلان بعده عزاء وجفن العين ريان مترع

ولم تنسنى أوفى المصيبات بعده ولكن نكء القرح بالقرح أوجع

قال ابن أبى فروة: قلت لذى الرمة فى قوله:

إذا انجابت الظلماء أضحت رؤوسها

عليهن من جهد الكرى وهى ظلع

ما علمت أحداً من الناس أظلع الرؤوس غيرك؟ قال: أجل^(١).

وكان ذو الرمة كثير الأخذ من غيره. ومما أخذه من غيره قوله فى
الحرباء:

(١) لأن الظلع، بفتحتين، العرج، وهو فى الأرجل لا فى الرؤوس!

يظل بها الحرياء للشمس مائلاً لدى الجذل إلا أنه لا يكبر
إذا حول الظل العشى رأيت حنيفاً وفي قرن الضحى يتنصر^(١)
وقال ظالم بن البراء الفقيمي:

ويوم من الجوزاء أما سكونه فضح ، وأما ريحه فسموم
إذا جعل الحرياء والشمس تلتظى على الجذل من حر النهار يقوم
يكون حنيفاً بالعشى وبالضحى يصلى لنصرانية ويصوم^(٢)
روى الأصمعي عن رؤية قال: دخل على ذو الرمة فسمع قولي:

يطرحن بالدوية الأملاس لكل ذنب قفرة ولاس
موتى العظام حية الأتفاس أجنة فى قمص الأعراس^(٣)

(١) الحرياء: دوية نحو العظاءة أو أكبر، يستقبل الشمس برأسه ويكون معها كزيت دارت ويتلون ألواناً بحر الشمس، وهو مذكر، والأنثى «حرياءة» و«أم حيين». الجذل: ما عظم من أصول الشجر المقطع.

(٢) الضح: بكسر الصاد: ضوء الشمس إذا استمكن من الأرض، أصله «ضحى» فاستثقلوا الياء مع سكون الحاء فثقلوها وقالوا «الضح» بتشديد الحاء.

(٣) الأملاس: جمع «ملس» بفتح الحين، وهو المكان المستوي. الولا: المولس، أى المخادع، أو هو من «الولس» بسكون اللام، أى السرعة.

الأعراس: جمع «غرس» بكسر الغين وسكون الراء، وهو الجلدة التى تخرج على رأس الولد أو الفصيل ساعة يولد، فإن تركت قتلته. يريد أن النوق لسرعتها فى المفاوز تطرح فصلاتها وتدعها للذئاب.

فخرج من عندى، فبلغنى (بعد ذلك) أنه يقول:

يطرحن بالدوبة الأغفال كل جنين لثق السربال
حى الشهيق ميت الأوصال فرج عنه حلق الأقفال
من السرى وجرية الحبال ونغصان الرجل من معال^(١)
قال الأصمعى: فإذا رؤية يرى أن ذا الرمة يسرق منه^(٢).

وقال أيضاً فى قول ذى الرمة * يطفو إذا ما تلقته الجراثيم *
أخذه من قول العجاج: * إذا تلقته الجراثيم طفا *^(٣)
قال: وأخذ قوله:

إذا استهلكت عليه عيبة أرجت مرابض العين حتى يأرج الخشب
من معنى قول العجاج: * مشواه عطارين بالعطور *
وأخذ قوله: * كأنها فضة قد مسها ذهب *

(١) الأغفال: جمع «غفل» بضم الغين وسكون الفاء، وهى الأرض المجهولة الميعة التي لا أعلام فيها يهتدى بها. اللثق: اللزج المبتل.
(٢) القصة فى الأغنانى، وفى آخرها أن محمداً قال لرؤية: «فقلوه والله أجود من قولك وإن كان سرقة منك» فقال: ذلك أغم لى.
(٣) الجراثيم: ما اجتمع من التراب فى أصول الشجر. «العقاقيل» وهى جمع «عقنقل» وهو الكثيب العظيم المتداخل الرمل. «وسرقه العجاج من علقمة بن عبدة» فى قوله * تطفو إذا ما تلقته العقاقيل*.

من معنى امرئ القيس:

كبكر مقانة البياض بخضرة (غذاها غير الماء غير محلل)

وكذلك كان يرويه^(١).

وأخذ من كعب بن زهير فى صفة الآثار.

وقال ذو الرمة، وهو من حسن شعره.

وأرمى إلى الأرض التى من ورائكم لترجعنى يوماً عليك الرواجع

وقال آخر فى معناه:

وأذهب فى الأرض التى من ورائكم لأعذر فى إتيانكم حين أرجع

وسمع أعرابى ذا الرمة وهو ينشد:

تصغى إذا شدها بالكور جانحة

حتى إذا ما استوى فى غرز هاتشب^(٢)

فقال الأعرابى صرع والله الرجل! ألا قلت كما قال عمك الراعى:

(١) البيت من المعلقة، وروايتهم * كبكر المقانة: البياض بصفرة، والبكر: هنا أول بيض النعامة، المقانة: أى المخالطة أى التى قونى بياضها، أى خلط. البياض روى بالنصب والرفع والجذر، وتوجيهها فى شرح القصائد. النمر من الماء: الذى ينبع فى الشارب وإن لم يكن عذبا
(٢) الكور: الرجل. الغرز: ركاب الرجل.

(١) الصعر: الميل فى الخد خاصة، وكلاهما بفتحتين.

وواضعة خدها للزما م ، فالخذ منها له أصعر
ولا تعجل المرء قبل البرو ك ، وهى بركبتها أبصر
وهى إذا قام فى غرزها كمثل السفينة أو أوقر^(١)
وأخذ عليه قوله يصف الكلاب:

حتى إذا دومت فى الأرض راجعة كبير، ولو شاء نجى نفسه الهرب
قالوا: والتدويم إنما هو فى الجو، يقال: دوم الطائر فى السماء: إذا
حلّق واستدار (فى طيرانه)^(٢)، ودوى فى الأرض: أى ذهب
وقالوا: ذو الرمة أحسن الناس تشبيهاً، وإنما وضعه عندهم أنه كان
لا يجيد المدح ولا الهجاء. ولما أنشد بلال بن أبى برده (قوله):
رأيت الناس ينتجعون غيثاً فقلت لصيدح انتجعى بلالا^(٣)

(٢) هذا المأخذ نسب فى اللسان إلى الأصمعى. وذهب غيره إلى صواب ما قال ذو الرمة، ففيه: «قال الأخفش وابن الأعرابى: دومت: أبعدت، وأصله من دام يدوم، والضمير فى دوم على الكلاب. وقال على بن حمزة: لو كان التدويم لا يكون إلا فى السماء لم يجز أن يقال: به دوام، كما يقال: به دوار، وما قالوا: دومة الجنادل، وهى مجتمعة مستديرة».

(٣) صيدح: اسم ناقة ذى الرمة. والرواية المشهورة «سمعت الناس» برفع «الناس» وفى الصحاح: رأيت الناس، بدل سمعت، والمحفوظ: سمعت الناس، فالنصب ظاهر، وأما الرفع فعلى الحكاية، لأن سمعت فعل غير مؤثر، فجاز أن يعلق وتقع بعده الجملة، وتقدير المعنى: سمعت من يقول الناس ينتجعون غيثاً، وأما مع رأيت فلا يصح ذلك».

(١) مرثيات: منسويات لامرئ القيس، وقد غلب على القبيلة، وهذه النسبة مما تنسب

قال بلال: يا غلام أعطه جبل قت لصيدح.

وقالوا: وغلط في قوله في النساء:

وما الفقر أزرى عندهن بوصلنا ولكن جرت أخلاقهن على البخل

قالوا: والجيد قول علقمة:

يردن ثراء المال حيث علمنه وشرخ الشباب عندهن عجيب

وقول امرئ القيس:

أراهن لا يحببن من قل ماله ولا من رأين الشيب فيه وقوسا

وأشد هجائه قوله:

وأمثل أخلاق امرئ القيس أنها صلاب على طول الهوان جلودها

وما انتظرت غيابها لعظيمة ولا استعمرت في جل أمر شهودها

إذا مرثيات حللن ببسدة من الأرض لم يصلح ظهوراً صعيداً^(١)

ويستحسن له قوله في الظبية ورلدها:

إلى الأول دون الثاني، يقال «امرئ» يسكون الميم وكسر الراء، و«مرئى» بفتحها، كأنهم أضافوا إلى «مرء»، فكان قياسه فتح الميم وسكون الراء، ولكنه نادر معدول النسب.

(١) الصفصف: الفلاة لا نبت فيها، الصرعة: القطعة المتقطعة من معظم الرمل. نصت

إذا استودعنه صفصفاً أو صرمة تنحت ونصت جيدها للمناظر
حذاراً على وسان يصرعه الكرى بكل مقيل من ضعاف فواتر
وتهجره إلا اختلاساً بطرفها وكم من محب رهبة العين هاجر^(١)
ومما صحف فيه من شعره قوله:

براهن تفويزي إذا الآل أرقلت به الشمس إزر الخزورات الفوالك^(٢)
رواه أبو عمرو «أرقلت»، وقال الأصمعي: إنما هو «أرقلت» ومعناه
أسبغت وغطت، يريد أسبغت إزر الخزورات من الآل.

والقصة سيده التي ذكرها الهمذاني لذي الرمة في هجاء الفرزدق بدأها
ذو الرمة بالبكاء على الأطلال، شأن قصائد الشعير القديم، وقد قال
الهمذاني على لسان البطيل في معرض الحديث عن امرئ القيس: هو
أول من وقف بالديار وعربساتها، وقد ذكرت آنفاً أمثلة لذلك من شعر
امرئ القيس.

جيدها: رفعته.

(٢) التفويز: ركوب المفازة، يقال «فوز الرجل ببله» إذا ركب بها المفازة. يريد أن إبله
براه السرى في المفازة وأنضاه. الآل: السراب. أرقلت: بالقاف: أسرعت. الخزورات: جمع
«خزوة» وهي الزابية الصغيرة. الفوالك: المستديرات.
(١) شرح المعلقات السبع ص ٣٥.

وكذلك صنع أصحاب المعلقات، فقد بدأ معظمهم قصائدهم بوصف
الديار.

قال طرفة بن العبد فى مطلع معلقته:

لخولة أطلال ببرقة ثمهد تلوح كباقي الوشم فى ظاهر اليد
وقوفا بها صحبى على مطيهم . يقولون لا تهلك أسى وتجلد^(١)

ويروى هذا البيت بعد البيت الأول:

فروضة دعى فأكناف حائل وقفت بها أبكى وأبكى إلى الغد^(٢)

خولة: اسم امرأة كلبية، الطلل: ما شخص من رسوم الدار، البرقة: مكان اختلط ترابه
بحجارة أو حصى، ثمهد: موضع، الوشم: النقش فى اليد، وهى غرز ظاهر اليد بإبرة، وحشو
المغازز بالكحل، والنقش بالنيلج، الصحب: جمع صاحب، المطى: المراكب، سميت لأنه يركب
مطاعا، أى ظهرها، أو من المطر، وهو المد فى السير، التجلد: تكلف الجلادة، وهو التصبر،
يصف دروسها يقول: لهذه المرأة أطلال ديار بالموضع الذى يخالط أرضه حجارة وحصى من
ثمهد فتظهر تلك الآثار والأطلال بعد أن درست، كبقايا الوشم فى ظاهر الكف.

- (٢) جمهرة أشعار العرب ص ٣٤٠.

يعنى يبكى ويبكى عليه من كثرة بكائه على هذه الأطلال، وروضة دهمى: اسم جبل فى
بلاد بنى عقيل.

(١) شرح المعلقات السبع ص ٥٨.

وقال زهير فى مطلع معلقته:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالتثلم
ودار لها بالرقمتين كأنها مراجيع وشم فى نواشر معصم
بها العين والآرام يمشين خلفه وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم
وقفت بها من بعد عشرين حجة فلأيا عرفت الدار بعد توهم
أثافى سفعا فى معرس مرجل ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم
فلما عرفت الدار قلت لربيعها ألا انعم صباحا أيها الريع واسم^(١)

الحومانة: المكان الغليظ، الدمنة: ما اسود من آثار الديار بالبعر والرماد وغيرهما، الدراج والمتثلم: موضعان، أم أوفى: كنية محبوبته، الرقمتان: حرتان إحداهما قريبة من المدينة، والأخرى قريبة من البصرة، والمراجع: المجددة والمرددة، نواشر: عروق، والمعصم: موضع السوار من اليد، العين: البقر الواسعات العين، الآرام: الظباء خالصة البياض، خلفه: يخلف بعضها بعضا، والأطلاء: أولاد الظباء والبقر الوحشى، ويكون هذا الاسم للولد من حين ولد إلى شهر أو أكثر منه، المجثم: موضع البروك للوحوش، حجة: سنة، اللأى: الجهد والمشقة، الأثافى: حجارة توضع القدر عليها، سفع: سود، المعرس: المنزل من التعريس وهو النزول وقت السحر، والمقصود المكان الذى تنصب فيه القدر، المرجل: القدر، والنؤى: نهر يحفر حول البيت ليجرى فيه الماء الذى ينصب من البيت عند المطر، ولا يدخل البيت، الجذم: الأصل، ويروى الجد وهو البئر القريبة من الكلا، لم يتثلم: لم يتهدم. يقول: أمن دمن أم فى دمنة لم يتكلم أهلها، أى دمنة لا تجيب، وهذا توجع، ويقول: إن عهدى بهذه الدار قد قدم حتى أشكلت على، فعهدى بها من عشرين سنة، ولهذا عرفت هذه الديار بعد جهد ومشقة بعد تغرس وتبينى.

(١) شرح المعلقات السبع ص ٧٢ - ٧٥.

وقال لبید بن ربیعۃ العامری فی مطلع معلقته:

عفت الدیار محلها فمقامها بمنی تأبد غولها فرجامها
فمدافع الریان عری رسمها خلفا كما ضمن الوحى سلامها
دمن تجرم بعد بین أبیسیها حجج حلون حلالها وحرامها
رزقت مرابیع النجوم وصابها ودق الرواعد جودها فرهامها
من كل ساریة وغاد مدجن وعشیة متجاوب أرزامها
فعلا فروع الأیهقان وأطفلت بالجهلتین ظباؤها ونعامها
والعین ساكنة على أطلالها عودا تأجل بالفضاء بهامها
وجلا السیوف عن الطلول كأنها زبر تجدد متونها أقلامها
أو رجع واشمة أسف نؤورها كففا تعرض فوقها وشامها
فوقفت أسألها وكيف سؤلنا صما خوالد ما یبین كلامها
عريت وكان بها الجميع فأبکروا منها وغودر نؤیها وثمامها^(١)

عفت: انمحت، المحل من الدیار: ما حل فيه لأیام معدودة، والمقام منها: ما طالت الإقامة به، ومنی: موضع بحمی ضریة، تأبد: توحس، والغول والرجام: جبلان، المدافع: أماكن = یندفع عنها من الریى والأخیاف، والریان: جبل، الوحى: جمع وحى وهو الكتاب، الریان.

ويروى بعد البيت الأول:

لمية أطلال بحزوى دوائر عفتها السوافى والرياح المواطر^(١)

وقال عنترة بن شداد العبسى فى مطلع معلقته:

واد بنجد، عرى رسمها: خلا، السلام - يكسر السين - الحجارة، التجرم: التكمل والانتقطاع،
الخلو: المضى، الحرام: الأشهر الحرم، والحلال: أشهر الحل، مرابيع النجوم: الأنواء الربيعية،
وهى المنازل التى تحلها الشمس فصل الربيع، والصوب: الإصابة، الودق: المطر، الجود: المطر
التام العام، أو هو المطر الذى يرضى أهله، والرواعد: ذات الرعد من السحاب، الرهام: جمع
رهمة، وهى المطرة التى فيها لين، السارية: السحابة الماطرة ليلاً، المدجن: الملبس آفاق السماء
بظلامه لفرط كثافته، الأزام: التصويت، جمع لها أمطار السنة، لأن أمطار الشتاء أكثرها
يقع ليلاً، وأمطار الربيع أكثرها يقع غداة، وأمطار الصيف أكثرها يقع عشياً، الأيهقان -
بفتح الهاء وضمها - ضرب من النيت، وهو الجرجير البرى، وأطلقت: أى صارت ذات أطفال،
الجهلتان: جانيا الوادى، ونعامها: يقصد باضت نعامها، العين: واسعات العيون من البقر،
والكلا: ولد الوحش حين يولد إلى أن يأتى عليه شهر، العوذ: الحديثات النتاج، والأجل:
القطيع من بقر الوحش، والتأجل: صيرورتها أجلاً أجلاً، الفضاء: الصحراء، البيهام: أولاد
الضأن ورذا اختلطت بأولاد الضأن أولاد المعرقيل للجميع بهام وإن نفرت المعز عند العرب،
جلا: كشف، الطلول: جمع الطلل، والوزير: جمع زيور وهو الكتاب، تجدد: تجدد، الرجع:
الترديد والتجديد، والإسفاف: الذر، والنؤر: النقش المتخذ من دخان السراج والنار، وقيل:
النيلج، والكفف: جمع كفة، وهى الذرات، تعرض: ظهر ولاح، والوشام: جمع وشم، الصم:
الصلاب، خوالد: بواق، يبين: يظهر، أو يعرف، بكر: سار بكرة، المغادرة: الترك، والشمام:
ضرب من الشجر رخو يسد به خلل البيوت، عريت: لم يبق فيها أحد لما ذهب أهلها، النؤى:
حاجز يجعل حول البيوت.

(١) جمهرة أشعار العرب ص ٢٣٧.

الدوائر: التى قد امحت، السوافى: الرياح التى تسفى التراب، والمواطر: السحاب.

(١) شرح المعلقات السبع ص ١٠٩ - ١١٠.

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم
يا دار عيلة بالجواء تكلمي وعمى صباحا دار عيلة واسلمي
فوقفت فيها ناقتي وكأنها فدن لأقضى حاجة المتلوم
وتحل عيلة بالجواء وأهلنا يسألون فالصماء فالمتلوم
حييت من طلل تقادم عهده أقوى وأقفر بعد أم الهيثم^(١)
ومطلع القصيدة في الجمهرة هكذا:

أعيالك رسم الدار لم يتكلم حتى تكلم كالأصم الأعشى
ولقد حبست بها طويلا ناقتي ترغوا إلى سفح رواكد جشم
ويعد البيت الأول على الرواية السابقة بيت هو
إلا رواكد بينهن خصائص وبقية من نقيها المجرثم^(٢)

التردم: الموضع الذي يستتر فيه ويستصلح لما اعتراه من الوباء والوهن والرهى، والتردم أيضاً
مثل التردم وهو ترجيع الصوت مع قنن، أم بمعنى بل، توهم: شك، الجواء: الداءى وهو
موضع معين فى البيت، عيلة: اسم محبوبته، عمى صباحاً: كانت العرب تقول فى بيتها:
أنعم صباحاً أى نعمت صباحاً، أى طاب عيشك فى صباحك، وخص الصباح بهذا الدعاء لأن
الفارات والكارثة تقع صباحاً، ونبيها أربع لغات: انعم بفتح العين، وكسرهما، وعم بفتح العين
وكسرهما من نعم، وعم، الفدن: القصر، المتلوم: المتكلم، الجواء والحزن والصمان والمتلوم
مراضع، الإقواء والإقفار: الخلاء.

(٢) جمهرة أشعار العرب ص ٣٤٧، ٣٤٨.

الرواكد: الأثافي، والخصائص: الفروج بين الأثافي، المجرثم: المجتمع.

وقال الحارث بن حلزة اليشكري فى مطلع معلقته:

أذنتنا بينها أسماء رب ثاو وعمل منه الثواء
بعد عهد لنا ببرقة شما ء فأدنى ديارها الخلصاء
فالمحياة فالصفاح فأعنا ق فتاق فعاذب فالوفاء
فرياض القطا فأودية الشر بب فالشعبتان فالأبلاء
لا أرى من عهدت فيها فأبكى اليوم دلها وما يحير البكاء (١)

وقال النابغة:

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ماذا تخيمون من نوى وأحجار
أقوى وأقفر من نعم وغيره هوج الرياح بهابى الترب موار (٢)

(١) شرح المعلقات السبع ص ١٢٤

الإبذان: الإعلام، البين: الفراق، الثواء: الإقامة، العهد: اللقاء، برقة شما، وخلصاء،
والمحياة، والصفاح وأعنا فتاق، وعاذب، والوفاء ورياض القطا، وأودية الشريب،
والشعبتان، والأبلاء كلها مواضع عهد بها، الإحارة: من حار أى رجع، والدله: ذهاب العقل.
(٢) عوجوا: قفوا، الدمنة: ما بقى من آثار الديار، النوى: الخندق يكون حول الخباء
ليمنع المطر، أقوى: خلا، هوج: جمع هوجاء، وهى الشديدة العاصفة، الهابى: الذى يسغى
على النوى، الموار: الذى يجرى ويذهب.

دار لنعم بالحمات قد دثرت لم يبق إلا رماد بين أطار
وقفت بها سراة اليوم أسألها على آل نغم أمونا عبر أسفار
فاستعجمت دار نعم ما تكلمنا والدار لو كلمتنا ذات أخبار
فما وجدت بها شيئا ألوذ به إلا الشمام وإلا موقد النار^(١)

وقال الأعشى:

ما بكاء الكبير فى الأطلال وسؤالى وما ترد سؤالى
دمنة قفرة تعاورها الصب ف بريحين من صبا وشمال^(٢)

(١) الحم: التراب الأسود، الأطار: الحجارة التى تنصب عليها القدور، ويقال لها الأنافى، وسببت كذلك لتعطفها على الرماد لثلا يطير بها الرياح، السراة - بفتح السين - الوسط، أراد وسط النهار، الأمون: الناقة المريخة أمنت أن تكون ضعيفة، عبر - بضم العين - أى بقية، أو الكثير من كل شئ، أو مثل الفلك، أى لا يزال يسافر عليها، أو يعبر عليها للأسفار، الشمار - بضم الشاء - شجر، الموقد: حيث أوقد الحى نارهم.
(٢) جمهرة أشعار العرب ص ٢٠٢.

الأطلال: ما شخص من آثار الديار، الرسم: الأثر بلا شخص أو هو ما لصق بالأرض منها، أو الأثر، أو بقية الأثر، يقول: ما بكاء شيخ كبير مثلى، وسؤالى من لا يرد على، الدمنة: ما اجتمع من آثار القوم فى الديار، قفرة: خالية، تعاورها الصب مرة بعد مرة، وتداولها الريحان، والصبأ التى تأتى من ناحية الشرق، والشمال ما تأتى عن شمال الكعبة، وهى تخالف الجنوب.

وقال طرفة:

أشجاك الريع أم قدمه أم رماد دارس حممه^(١)

وقال سلامة بن حندل:

وقفت بها ما إن تبين لسائل وهل تفقه الصم الخوالد منطقي^(٢)

وقال ذو الرمة أيضاً بادئاً قصيدته بالبكاء على الأطلال:

لمية أطلال بحزوى دوائر عفتها السوافى والرياح المواطر^(٣)

وقال ذو الرمة:

دار لمية إذ مى تساعفنا ولا يرى مثلها عجم ولا عرب

(١) جبهة أشعار العرب ص ٨٧.

(٢) الأصمعيات ص ١٣٣.

الصم: الحجارة الصلبة، وجعلها خوالد لطول بقائها بعد دروس الأطلال.

(٣) جبهة أشعار العرب ص ٢٣٧.

ممة: اسم محبوبته، الدوائر: التي قد امحت، السوافى: الرياح التي تسقى التراب، المواطر: السحاب.

- أمّا قصائد الهجاء التى قال عنها ذو الرمة:

ستأتى امرأ القيس مأثورة يغنى بها العابر الجالس
فإن ذلك يدل على أنها قصيدة سائرة فى الهجاء، أثرها بعيد.
قال عبد المسيح بن عسلة:

وأنا امرؤ من آل مرة إن أكلمكم لا ترقنوا كلمى^(١)
مما يدل على أنه هجاء يسير كل مسير.

وقال مزرد الأبياني:

تركت ابن ثوب وهو لا ستر دونه ولو شئت غننتى بثوب ولائدى
صقعت ابن ثوب صقعة لا حجي لها يولول منها كل آس وعائد^(٢)

(١) المفضليات ص ٢٧٩.

أكلمكم: أخرجكم، لا ترقنوا: لا تقطعوا الدم، يكنى بالكلم والدم عن الهجاء، وأنه إن هجاهم ذاع شعره، فلم ينقطع ذكره.

(١) المفضليات ص ٧٧، ٧٨، لا ستر دونه: أى كان ممكنا لى لا يستره شئ عن هجائه، بثوب: والذرعة يقول: ولو شئت لهجوته هجاء تغنينى به الولائد، وهن الإماء الشواب، الصقع: الضرب على الرأس، وأصله الضرب على كل شئ يابس، لا حجي لها: لا تمالك لها، كالرجل لا حجي له: أى لا عقل له، الآسى: المتطيب المعالج.

فردوا لقاح الثعلبي أداؤها . أعف وأتقى من أذى غير واحد
فإن لم تردوها فإن سماعها لكم أبدا من باقيات القلائد (١) .

وقال سويد بن أبي كاهل البشكري:

وعدو جاهدنا ضلته فى تراخى الدهر عنكم والجمع
فتساقينا بمر ناقع فى مقام ليس يثنيه السورع
وارتمينا والأعدى شهد بنبال ذات سم قد نفع
بنبال كلها مذروسة لم يطق صنعتها إلا صنع
خرجت عن بغضة بينة فى شباب الدهر والدهر جذع
وتحارضنا وقالوا إنما ينصر الأقوام من كان ضرع (٢)

(١) العائد: من يعود المريض، اللقاح: جمع لقحة، وهى ذوات الألبان من الإبل، أتقى: أوقى من الوقاية، يريد أن أداها خير من أن يؤذى بسببها جماعة منهم، ويقول: فإن لم تردوها هجوتكم هجاء يبقى عليكم لازما لكم، كالقلائد فى الأعناق.

(٢) المفضليات ص ٢٠٩

يريد بالعدو والجماعة، الجمع: الجماعات، المر: أراد به الكلام، الناقع: المجتمع القاتل، شبه كلامه بالسم الناقع، الورع - بفتح الراء - الهيبوب الجبان، أى ليس يغنى فى ذلك المقام الرجل الضعيف، ارتمينا: ترامينا، النبال: السهام، أراد بها الحجة فى الافتخار ونشر المكارم، والأعدى شهد، لأنه أشد لتحززه فى كلامه من أن يغلب، مذروسة: محددة، الصنع: الحاذق الرفيق، الجذع: الشاب الحدث، أراد فى أول الدهر، تحارضنا: من الحرض وهو الهلاك، الضرع: الضعيف من الرجال

فرمنى هاربا شيطانه حيث لا يعطي ولا شيئا منع
فرمنى حين لا ينفعه موقر الظهر ذليل المتضع
ورأى منى لسانا صادقا ثابت الموطن كتام الوجع
ولسانا صيرفيا صارما كحسام السيف ما مس قطع^(١)

وقال المزرد:

ندع ذا ولكن ما ترى رأى عصبه أتتنى منهم منديات عضائل
يهزون عرضى بالمغيب ودونه لقرمهم منسذوحة ومآكل
على حين أن جريت واشتد جانبي وأنبح منى رهبة من أناضل
وجاوزت سن الأربعين فأصبحت قناتى لا يلقى لها الدهر عادل
فقد علموا فى سالف الدهر أننى معن إذا جد الجراء ونابل^(٢)

(١) أى: إنما ينصر الأقوام من ضعف عن حجتهم، حين لا ينفعه، أي الفرار، موقر الظهر: مثقله، كتام الوجع: صبور لا يظهر وجعه، الصيرفى: المتصرف فى الأمور المجرب لها، يتصرف كيفما شاء، كحسام السيف: حده وطرفه القاطع.

(٢) الفضليات ص ١٠٠.

المنديات: المخزيات، التى يندى لها الوجه ويعرق، العضائل: الشدائد، يهزون: يقطعون كما فسرهما ابن الأثير، القرم: الأكل بمقدم الفم، أنبح منى: صبرته إلى أن ينبح كالكلب، العادل: المقوم، أو المساوى المائل، المعن: المعترض فى الخصومة والمناظرة، الجراء: الجرى، النابل: الحاذق فى أموره، يقول: إذا جرت الخصومة ففى فضل أعترض به على الناس.

زعيم لمن قاذفته بأوابد يغنى بها السارى وتحدى الرواحل
مذكرة تلقى كثيراً روايتها ضواح لها فى كل أرض أزامل
تكر فلا تزداد إلا استنارة إذا رازت الشعر الشفاه العوامل
فمن أرمه منها ببیت يلح به كشامة وجه ليس للشام غاسل
كذاك جزائى فى الهدى وإن أقل فلا البحر منزوح ولا الصوت ساحل
فعد قريض الشعر إن كنت مغزرا فإن غزير الشعر ما شاء قائل (١)

* * *

وقال جرير:

لسانى وسيفى صارمان كلاهما ولل سيف أشوى وقعة من لسانيا (٢)

* * *

(١) الزعيم: الكفيل، الأوابد: الغرائب من الكلام، وأراد هنا ما يهجوهم به، مذكرة: شديدة قوة، صفة للأوابد، ضواح: بارزة ظاهرة، لكثرة ما يرددها الرواة، أزامل: كل صوت مختلط، تكر: تعاد كرة بعد كرة، رازت: جريت، تنتظر كيف هو، العوامل: النواطق بالشعر، يلح يظهر من لاح، الشام: جمع شامة، الهدى: المهادة، وأصله ما يهدى، والمراد: التهادى بالشعر، وهو المهاجة، ساحل: من الصحل، بفتح الحاء - وهو بحة الصوت.

(٢) جمهرة أشعار العرب ص ١٠٩.

أشوى: أيسر وأهون، يقول: لسانى أمضى من سيفى، فالسيف أسلم موقعاً من لسانى وأهون.

وقال الحصين المرى:

جزى الله عنا عبد عمرو ملامة وعدوان سهم ما أدق وألما
وحى مناف قد رأينا مكانهم وقران إذ أجرى إلينا وألجما
وآل لقيط إننى لن أسوءهم إذا لكسوت العم بردا مسهما^(١)

وقال راشد بن شهاب اليشكري:

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد

أموف بأدراع ابن طيبة أم تدم

بئذ يغشى المرء خزيًا ورهظه

لدى السرحة العشاء فى ظلها الأدم^(٢)

(١) المفضليات ص ٦٨، ٦٩.

عدوان سهم: يعنى عدوان بن سهم بن مرة، أضاف الابن إلى الأب، الدقة: الحسة، قران: قبيلة أو رجل، أجرى الخيل، وألجمها، العم: الجماعات، البرد المسهم: المخطط الذى يشبه وشيه بنقش السهام، والمعنى: لهجوتهم جميعاً هجاء يبقى أثره، ويشتهرون به شهرة البرد المسعم، ويتسامع الناس به.

(٢) المفضليات ص ٣٠٩.

السرحة: واحدة السرح، هو شجر كبار عظام لا ترعى، وإنما يستظل فيه، العشاء - بتشديد الشين - الخفيفة، وهذه السرحة كانت بعكاظ، يجتمع الناس إليها، ويضربون قباب الأدم.

وقال عقال بن هاشم:

لئن كان في قيس وخندف ألسن طوال وشعر سائر ليس يقدح

وقال ثابت قطنة يهجو حاجب المازني الشاعر:

أحاجب لولا أن أصلك زيف وأنك مطبوع على اللؤم والكفر
وأني لو أكثرت قبك مقصر رميتك رميا لا يبيد يد الدهر

وقال الأعشى:

ساق شعري لهم قافية وعليهم صار شعري دمدمه (١)

وقال أيضاً:

ليأتينه منطق قاذع مستوسق للمسمع الأثر (٢)

(١) جمهرة أشعار العرب ص ١٩. دمدمة: أي تدميرا، كقوله تعالى: قدمدم عليهم ربهم بذنبيهم فسراهما، الشمس ١٤، أي دمر.

(٢) جمهرة أشعار العرب ص ٢٠، ديوان الأعشى ص ١٤٣. الأثر: الراوية، كقوله تعالى: إن هو إلا سحر يوثر، المدثر ٢٤، أي يروى، قاذع، ويروى سائر، المسمع بصيغة اسم الفاعل، أي القائل.

وقال زيان بن سيار:

ألم ينه أولاد اللقيطة علمهم بزبان إذ يهجونه وهو نائم
يطوفون بالأعشى وصب عليهم لسان كصدر الهند واني صارم^(١)

وكذلك قصائد المدح السائرة

قال سلامة بن جندل

دع ذا وقل لبى سعد لفضلهم مدحا يسير به غادى الأراكيب^(٢)

وقال المسبب بن علس

فلأهدب مع الرياح قصده مى مغلغة إلى القعقاع

ترد المياه فلا نزال عريبه فى القوم بين غثل وسماع^(٣)

(١) الأصمعيات ص ٢١١ اولاد اللقيطة بنو حديفة بن بدر الفزاري، واللقيطة: لقب أمهم، وهى نضيرة الفزاريه، يقون يهجونه وهو لا يعبا بهم، ولا يلتفت إليهم.

(٢) الفضليات ص ١٢

الأراكيب: جمع أركوب - ضم الهمزة - وهو أكثر عدداً من الركب الذى هو جمع راكب.
(٣) الفضليات ص ٩٢. مع الرياح: يعنى تذهب كل مذهب، مغلغة: يتفلغل بها الناس لحسنها، ويسلكون بها كل غامض، غريبة: لا تزال تأتى قوماً على مياهم، ليست من قول شعرائهم، فهى غريبة لذلك.

وقال الشاعر:

مصون الشعر تحفظه فيبقى وحشو الشعر يورثك الملالا^(١)

أما قول ذي الرمة:

فما لهم في العلا راكب ولا لهم في الوغى فارس

ممرطلة في حياض الملام كما دعس الأدم الداعس

إذا طمع الناس للمكرمات فطرفهم المطرق الناعس

هذه المعاني وردت كثيراً في الشعر القديم.

وقال الفرزدق في هجاء جرير:

وإن تهج آل الزبرقان فإنما هجوت الطوال الشم من هضب يذبل

وقد ينبح الكلب النجوم ودونها فراسخ تضنى القين للمتأمل

(١) جمهرة أشعار العرب ص ٤٤.

وقال البعيث في هجاء جرير:

كليب لئيم الناس قد تعلمونه وأنت إذا عدت كليب لئيمها
أترجو كليب أن يجنى حديثها بخير وقد أعيا كليبها قديمها

وقال جرير يهجو الأخطل:

ولو ان تغلب جمعت أنسابها يوم التفاضل لم تزن مثقالا

قال الأخطل في هجاء الفرزدق:

ولقد شددت على المراغة سرجها حتى سزعت وأنت غير مجيد
وعصرت نطفتها لتدرك دارما هيهات من مهل عليك بعيد
وإذا تعاظمت الأمور لدارم طأطأت رأسك عن قبائل صيد^(١)

(١) جمهرة أشعار العرب ص ١٠٢.

وقال سويد بن أبي كاهل اليكشري:

ثم ولي وهو لا يحمي طائر الإتراف عنه قد وقع
ساجد المتخثر لا يرفعه خاشع الطرف أصم المستمع^(١)

وقال الفرزدق في هجاء الأخطل:

يا ابن المراغة والهجان إذا التقت أعناقها وتماحل الخصمان
لو يسمعون بأكلة أو شربة بعمان أصبح جمعهم بعمان
إن الأرقام لن ينال قديمها كلب عوى متهتهم الأسنان^(٢)

وقال في هجاء جرير:

ولو ترمى بلؤم بنى كليب نجوم الليل ما وضحت لसार
ولو يرمى بلؤمهم نهار لدنس لؤمهم وضح النهار
وما يغدو عزيز بنى كليب ليطلب حاجة إلا بجار^(٣)

(١) المفضليات ص ٢٠١، الإتراف: الترف والتنعم، قد وقع: يريد أنه ذهب عنه تنعمه.

(٢) جمهرة أشعار العرب ص ١٠١، الهجان: جمع هجين.

(٣) الساري: السائر في الليل، بجار: يريد أنهم أذلاء جبناء لا تقضي حوائجهم إلا في حماية قوى، يجيرهم من الأذى.

وقال نابغة بنى جعدة:

إذا اقتخر الأزدي يوما فقل له تأخر فلن يجعل لك الله مفخرا
فإن ترد العليا فلست بأهلها وإن تبسط الكفين بالمجد تقصرا^(١)

والتصوير بالحجر ورد في الشعر القديم:

قال العباس بن الأحنف:

أيا زهر الملاحه والجمال فؤادك من سقام الحب خالى
ولم أر مثل من يشكو هواه إلى من لا يرق ولا يبالى
وأنت كأن قلبك حين أشكو براه الله من صم الجبال^(٢)

(١) جمهرة أشعار العرب ص ٦٣٠، ٦٣١.

(٢) سقام: مرض، الملاحه: غير الجمال، لأن الملاحه معنى يمكن إدراكه، ولا يمكن وصفه، بخلاف الجمال، فإنه يمكن أن يوصف، براه: خلقه، صم الجبال: يقال حجر أصم وصخرة صماء أى صلب مصمت.

الفصل الحادي عشر

الألفاظ والمعاني في المقامة النيلانية
وعلاقتها بالشعر القديم

خصم: يقال للمفرد والجمع والمذكر والمؤنث.

قال ثعلبة بن صعيبر:

ولرب خصم جاهدين ذوى شذا تقذى صدورهم بهتر هاتر^(١)

وقال متمم بن نويرة فى أخيه مالك:

ويوما إذا ما كظك الخصم إن يكن

نصيرك منهم لا تكن أنت أضيعا^(٢)

النجيبة: الكريمة من الإبل المختارة.

قال الراهب زهرة بن سرحان:

يصرخ فى عشيرة مجيبه فيركب النجيب والنجيبه^(٣)

الكريم والكريمة.

(١) الفضليات ص ١٣١، الخصم: بفتح الحاء وسكون الصاد، الشذا: الأذى، تقذى: تقذف بالقذى، الهتر الهاتر: الكلام القبيح.

(٢) الفضليات ص ٢٦٤. كظك: بلغ منك غابة الغم، حتى يقطعك عن الكلام، الخصم: بفتح الحاء يقال للمفرد والجمع والمذكر والمؤنث، يكن: الضمير لأخيه مالك.

(٣) الوحشيات ص ٩٦.

وقال أوس بن حجر:

برأس النجبية والعبد والد وليدة كالجوذر الكاعب^(١)

أى الناقة الكريمة.

وقال عنتره:

صبر أعدوا كل أجرد سابح ونجبية ذبلت وخف حشاها^(٢)

أى الجواد والناقة الضامرة، وهى من صفات المدح فى الإبل.

* * *

والنجبية: ما تستصحبه من المراكب لتراوح بينها وبين ما تركب،
إذا تعبت إحداها ركبت الأخرى، والمذكر منه جنيب.

قال أبو سلمى فى خاله أسعد المري، وابنه كعب، وكان حمل أمه
وفارقهما:

لتصرفن إبل مجنبة من عند أعد وابنه كعب

الأكلين صريح قومهما أكل الحبارى برعم الرطب^(٣)

المجنبة أى النجبية.

(١) ديوان أوس بن حجر ص ١١. (٢) ديوان عنتره ص ٧٤.

(٣) الشعر والشعراء ١/١٤٣، شرح ديوان زهير ص ٢.

مجنبة: مجنوبة، من قولهم: جنب الفرس: قاده إلى جنبه، وشدد للتكثير، الحبارى: طائر، البرعم: كم ثمر الشجر والنور، هوج منيبة: أى راجعة، قدر مهوى: حيث يهوى منه.

وقال آخر:

تعارض مجرى الريح هوج منيبة إذا نصبت أعناقها للجنانب
فما زال كالموقوذ حتى غشيته وكان قريبا قدر مهوى الموائب^(١)
الجنانب: جمع جنيبة.

وقال المعرى:

تسرى إذا هفت الجنوب لعلنا نخفى حسيس جاناب ورواحل^(٢)
وقال زهير:

القائد الخيل منكوبا دوابرها قد أحكمت حكمت القد والأبقا
غزت سمانا فأبت ضمرا خدجا من بعد ما جنبوها بدنا عققا
حتى يؤوب بها شعنا معطلة تشكو الدوابر والأنساء والصفقا^(٣)
جنبوها: أى قادوا الخيل إلى جانبها.

(١) مجالس ثعلب ٥٠٧/٢.

(٢) شروح سقط الزند ٧٣١/٢.

هفت الجنوب: أى خفت فى هبوبها، الرواحل: جمع راحلة، وهى الناقة التى تتركب فى السفر، السرى: سير الليل، الجنوب: الريح القيلية، والجنانب: الخيل المقودة، واحده جنيب، وتكون فى موضع آخر الإبل المقودة، الحسيس: الصوت الخفى، يقول: كنا فى الطريق نخاف فلا نسرى إلا إذا هبت الرياح لندس بين صخبها نباءة الرواحل، فنخفى سرانا.

(٣) شرح ديوان زهير ص ٤٩ - ٥١

أى قادها فى الغزو فأبعد بها حتى نكبت دوابرها، أحكمت: جعل لها القد حكمت، والحكمة: حديدة فى اللجام تكون على أنف القرس وحشكه تمنعه عن مخالفة وركبه، =

وقال امرؤ القيس:

وتنوفة جرداء مهلكة جاوزتها بنجائب قتل

فبيتن ينهسن الجيوب بها وأبيت مرتفقا على رحلى^(١)

النجائب: جمع نجيبة.

وكانت العرب تتخذها من القد والأبق، لأن قصدهم الشجاعة لا الزينة، وسميت حكمة لذلك، يقال حكمت الفرس: إذا قدعته وكففته، الأبق: شبه الكتان، أو جبال القنب، الدواير: مآخير الحوافر، أى أكلت الأرض دوايرها، قيل: قد أحكمت هذه الخيل فى الصنعة كما أحكمت هذه الحكومات، وكأحكام الأبق، خدجت: إذا وضعت قبل وقته، وأخدجت: إذا جاءت به ناقصاً وإن كان لتمام، أى رجعت ضمرا مهازيل قد ألقت بأولادها لغير تمام من التعب مفردا خدوج، جنبوها: من الجنبية، أى قادوها، وكانوا يركبون الإبل، ويقودون الخيل، فهى جنبية ومجنوبة، بدنا: عظام الأبدان، مفردا بادن، العقق: جمع عقوق، وهى التى عظمت بطونها، أو التى استبان حملها، فيقول: وضعت ما فى بطونها من شدة السير، وخص ذكر العقق ليخبر بجهد جميعها، وشدة عنائها وتعبها، يؤوب: يرجع مع الليل، معطلة: لا أرسان عليها من الإعياء والجهد، فتمشى بلا أرسان، والنسا: عرق فى الفخذ، والصفاق: الجلد الذى دون الجلد الأعلى مما يلى البطن، حيث ينقب البيطار.

(١) ديوان امرؤ القيس ص ٢٣٧.

التنوفة: الأرض الخالية الواسعة التى لا شئ فيها، الجرداء: التى لا نبت ولا شجر فيها، المهلكة: التى يهلك فيها الناس لبعدها، النجائب: الكرام من الإبل المختارة، والذكر نجيب، والأنثى نجيبة، والقتل من الإبل: التى فى مرافقها وأيديها بعد عن مناكبها، وذلك أكرم لها، ويقال للذكر أقتل، والأنثى فتلاء، ينهسن: أى يأكلن، الجيوب: الأرض ذات المدر الغليظ، أبيت مرتفقا: أى واضعا مرفقي.

وقال امرؤ القيس فى وصف بيد:

وقد محّا الجذب عنها كل ساكنها فما بأجوازها عجم ولا عرب
ما يأنس القوم فيها من مخافتها والهول فيها ولا المهرة النجب^(١)
النجب: جمع نجبية أى المختارة.

وقال امرؤ القيس:

مطوت بهم حتى تكل مطيهم وحتى الجياد ما يقدن بأرسان^(٢)
أى الجياد المجنبة أو الجنبية.
وقال امرؤ القيس يصف ناقة:

كأن بها هرا جنيبا تحره بكل طريق صادفته ومأزق^(٣)
أى مجنوبا.

(١) ديوان امرؤ القيس ص ٣٠٤. الجذب: القحط، أجوازها: أى أوساطها، المهرة: الإبل المنسوبة إلى مهرة بن حيدان، من اليمن، النجب: المختارة.

(٢) ديوان امرؤ القيس ص ٩٢، يقول: ركبت أنا وهم المطى، ومددت بهم فى السير حتى كلفت وأعيت حتى لا تحتاج الجياد من الإعياء والتعب إلى أرسان تقادبها، وكانوا يركبون المطى، ويقودون الخيل، والجياد: جمع جواد؛ وهو اللاحق الضامر الكشح، الكريم.

(٣) ديوان امرؤ القيس ص ١٧٠.

كأن بها هرا: أى هى من سرعتها كأن إلى جنبها هرا يخذشها، فهى لا تستقر، ومعنى جنيب: أى مجنوب، صادفته: أى مرت به، والمأزق: الطريق الضيق، وأكثر ما يقال ذلك فى الدرب بين الصنين.

وقال عنتره:

هر جنيب كلما عطف له غصبي اتقاها باليدين وبالفم^(١)

أى مجنوب.

وقال المثقب العبدى فى وصف ناقة:

كأن جنيبا عند معقد غرزها تزاوله عن نفسه ويريدها

تهالك منها فى الرخاء تهالكا تهالك إحدى الجون حان ورودها^(٢)

جعل الجنيب هرا.

وقال الممزق فى لكيز بن أقصى زعيم قبيلة لكيز:

قضى لجميع الناس إذ جاء أمرهم بأن يجنبوا أفراسهم ثم يلحقوا

يؤم بهن الجزم خرق سميدع أخذ كصدر الهندوانى مخفق^(٣)

(١) شرح المعلقات السبع ص ١٨٧، هامش صفحة ١٧٠، ديوان امرئ القيس.

(٢) المفضليات ص ١٥٠ - ١٥١، الشعر والشعراء ٧٥٦/٢.

الجنيب: الدابة تقاد إلى جنب أخرى، أراد به هرا، يقول: كأنها لسرعتها ينهسها هر عند معقد غرزها، وهو حزامها، تزاوله: تخاتله وتعالجه، يريد: يقصدها بالأذى، التهالك: شدة السير والاجتهاد فيه، الرخاء: الاسترخاء، يقول: استرخاؤها فى سيرها تهالك، فكيف باعتمادها، الجون - بالضم - القطا، وأصله جمع جون بالفتح، وهو الأسود، شبهها بقطاة حين ورودها عطشى، فهى لا تألو طيرانا.

(٣) المفضليات ص ٣٠١ - ٣٠٢.

قضى: أى لكيز، اسم أبى القبيلة، تجنبوا أفراسهم: يتقودون أفراساً بجانب إبلهم =

أى يقودون أفراسهم بجانب إبلهم ليركبوها عند الحرب.

الأورق من الإبل: الآدم، أو ما فى لونه بياض وسواد، أو على لون
الرماد، والورق من الأم الإبل، ومن أطيب الإبل لحماً، لا سيرا وعملاً.
قال ثعلبة العبدى يصف فرسه:

وتعطيك قبل السوط ملء عنانها وإحضار ظبى أخطأته المجادف
بللت بها يوم الصراخ وبعضهم يخب به فى الحى أورق شارف^(١)
أى جمل على لون الرماد.

وقال زهير:

إذا ما سمعنا صارخاً معجت بنا إلى صوته ورق المراكل ضم^(٢)

= ليركبوها عند الحرب، والمعنى: أوجب عليهم أن يركبوا الإبل، ويجهتوا الخيل متوجهين إلى
الغارة، يؤم بهن على حزم من أمره، أو الحزم: الحزن من الأرض، وهو الغليظ، المحرق: المتخرق
فى فنون الخير والمعروف، السميع: الجميل الشجاع، الأخذ: الخفيف، الهندوائى: السيف،
المحقق: الضروب.

(١) المفضليات ص ٢٨٢. ملء عنانها: أى عدوا ملء عنانها، الإحضار: العدو،
المجادف: ما يجدف به، أى يرمى به، بللت بها: ملكتها وكانت فى قبضتى، الصراخ: إجابة
المستصرخ، ويقال أيضاً للاستعانة. يخب: من الخب، وهو ضرب من العدو، الأورق: على
لون الرماد، والورق الأم الإبل، الشارف: الهرم الكبير.

(٢) شرح ديوان زهير ص ٢١٥

الصارخ والصريخ: المغيب والمستغيث ضد، معجت: مرت مرا سريعاً سهلاً، وأصل =

ورق المراكل: قد اسودت مواضع أرجل الفرسان.

وقال النابغة الذبياني:

فيهم بنات العسجدى ولاحق ورق مراكلها من المضمار^(١)

ومنه الورقاء للحمامة.

قال المارار بن منبذ:

ما أنا الدهر بناس ذكرها ما غدت ورقاء تدعو ساق حر^(٢)

أى الحمامة بلون الرماد.

=المعج: سرعة المر، ومعج الفرس: اعتمد على إحدى عضادتي العنان، مرة فى الشق الأيمن، ومرة فى الشق الأيسر، ورق المراكل: قد اسودت مواضع أرجل الفرسان، لأن الشعر تحات عتها، فاسود موضعه لكثرة الركوب فى الحرب، والأورق: لون الرماد، ومراكل الدابة: حيث يركله القارس برجله إذا حركه للركض، وهما مركلان، وإنما جمعه بما حوله.
(١) ديوان النابغة الذبياني ص ٩٥.

فيهم بنات العسجدى: يعنى أنهم أهل خيل وحروب، والعسجد، ولاحق: فرسان كانا فى الجاهلية من فحول الخيل المنجبة، ورق مراكلها من المضمار: كانت خيلا ترعى فركبها الوبر، فلما دخلت المضمار، وركبها الغلمان ضربوا مراكلها بأعقابهم، فذهب الوبر، وبذل منه الشعر، ومراكلها: موضع أعقاب الغلمان حيث يحركونها، والورق: جمع أورق، وهو الذى لونه يضرب إلى السواد مثل لون الرماد، وإذا تحات وبر المركل وشعرها لم ينبت شعرهن الذى سقط منهن، فلذلك وصفها بالورقة، لأنها تضرب إلى السواد.

(٢) المفضليات ص ٩٣. الورقاء: الحمامة، ساق حر: ذكر الحمام القمارى، سقى بذلك أخذاً من صوته، ويسمى صوته أيضاً ساق حر.

قال العدیل بن الفرخ فی الإبل:

قوارب الماء سوامی الأبصار

وهن ينهضن بدكداك هار

أورق من ترب العراق خوار^(١)

جعد اللغام: أى متراكمه، فكأنه جعد بعضه فوق بعض كالشعر
المجعد، فيه تقبض.

قال المرار بن منقذ:

راقه منها بياض ناصع يؤثق العين وضاف مسيكر

تهلك المدراة فى أفنائه فإذا ما أرسلته ينعفر

جعدة فرعاء فى جمجمة ضخمة تفرق عنها كالضفر^(٢)

(١) الشعر والشعراء ٤١٤/١. قوارب الماء: طوالب الماء، الدكداك: الرمل يتلبد بعضه على بعض بالأرض ولا يرتفع كثيراً، الأورق: الذى لونه بين السواد والغبرة، ومنه قيل للرماد أورق، يريد أن لون الدكداك كلون الرماد.
(٢) الفضليات ص ٨٩ - ٩٠.

يؤثق: يعجب، ضاف: سابغ طويل، عنى شعرها، مسيكر: منبسط مسترسل، المدراة: المشط، هلاكها: غوصها فلا تظهر فيه، أفنائه: ذوائبه، وأصل الفن: الغصن، ينعفر: يصيبه العفر - بفتح حين، أى التراب، من طوله، جعدة: جعدة الشعر: فيه تقبض، فرعاء: طويلة الشعر، الضفر: جمع صغير.

أى جعدة الشعر فيه تقبض، ليس بسبط.

وقال المخيل السعدى

وتضل مدرها المواشط فى جعد أغم كأنه كرم^(١)

أى الشعر المتقبض ليس بالسبط.

وقال الراعى:

تضم على مضمومة فارسية ضفائر لا ضاحى القرون ولا جعد^(٢)

على المعنى نفسه.

وقال أبو النجم:

كأنه حين تدمى مسحله

وابتل ماء نحره وكفله

جعد طوال ظل دجن يغسله^(٣)

(١) الفضليات ص ١١٦.

المدرى: المشط، الجعد: الشعر المتقبض ليس بالسبط، الأغم: الشعر الكثير، وأصله من الغم، وهو أن يسيل الشعر من كثرتة فى الوجه والقفا، الكرم: شجر العنب، شبهه به لكثرتة، والجعد لا يكون إلا قليلاً، فإن كان كثيراً فهو غابة مدحه.

(٢) لسان العرب ١٧/١٣١.

(٣) شرح ديوان زهير ص ٧١.

المسحل هنا: اللجام أو الحديدة التى لا تكون على طرفى شكيم اللجام، وهى التى تجعل فى قم الفرس ليخضع، جعد: متقبض مجتمع شديد.

أى متقبض متجمع شديد.

وقال ابن ميادة:

ألم يبلغك أن الحى كلبا أرادوا فى عطيتك ارتدادا
أرادوا لى بها لونين شتى وقد أعطيتها دهما جعادا^(١)

أو الجعد: المندى، أو المبتل.

قال النابغة الذبياني يصف مواضع دمن:

تأبد لا ترى إلا صوارا بمرقوم عليه العهد خال
تعاورها السوارى والغوادى وما تذى الرياح من الرمال
أثيث نبتة جعد ثراه به عوذ المطافل والمتالى^(٢)
أى ترابه ند.

(١) الشعر والشعراء ٧٧٣/٢.

يقصد إبلاً دهما جعاداً، والذهم من الدهمة، وأصلها السواد، وهى فى ألوان الإبل أن تشتد الورقة حتى يذهب البياض، جعاد: جمع جعد، وهو من جعودة الشعر، ولعل هذا عندهم من محاسن الإبل.

(٢) ديوان النابغة الذبياني ص ١٤٩ - ١٥٠.

تأبد: أى توحش موضع هذه الدمن، الأوبد: الوحش، الصرار: قطيع البقر، بمرقوم: =

وقال نابغة بنى جعدة:

من رمل عرنان أو من رمل أسنمة

جعد الثرى بات فى الأمطار مدجوناً^(١)

أى مبتل، أو مندى، فإن ابتل صار جعداً، فإن تجاوز ذلك صار طينا.

وقال امرؤ القيس يصف فرسا يطارده نعاجا:

ولى كشويوب العشى بوابل ويخرجن من جعد ثراه منصب^(٢)

أى الشديد الندواة، أو المتراكب بعضه على بعض.

=يعنى يرسم، العهد: أراد به المطر، أى على هذا الرسم أثر العهد وتغييره، خال: من نعت المرقوم، أى لا أنيس به، تعاورها: أى تعاقب على هذه الدمن أمطار الليل والنهار، فمحت آثارها، وغبرت رسومها، جعد ثراه: أى تراه ند، وما كان فيه ندى فهو جعد، العود: الحديشات النتاج، المطافل: التى معها أولادها، التالى: التى نتج بعضها، فما بقى فهو التالى، وقيل: التالى: هى التى تتلوها أولادها.

(١) جمهرة أشعار العرب ص ٦٨٩. عرنان: اسم نقا، وأسنمة: اسم مكان.

(٢) ديوان امرؤ القيس ص ٥٠.

ولى كشويوب العشى: شبه شدة دفع الفرس فى الجرى بدفعة المطر، وخص شويوب العشى، لأنه أغزر من غيره وأشد، والجعد: الشديد الندواة، المنصب: المرتفع المنصب، وصفه بذلك لشدة وقع حوافره، فيثرن ما لا يكاد يثور، وقيل: الجعد: المتراكب بعضه على بعض، وهو من صفة الغبار، والتقيرير: يخرجن من غبار جعد ثراه، والأفضل: ويخرجن من مكان مخصب ند قد تجعد ثراه لندوته، وريت أرضه وتنصبت لريها، وثراها، فعلت، =

وقال امرؤ القيس يصف آتنا وفحلاً.

ويأكلن بهمي جعدة حبشية ويشرين برد الماء في السبرات^(١)
أي مبتلة أو مندأة، أو متراكبة بعضها فوق بعض.

أو الجعد بمعنى الخفيف

قال سلامة بن جندل:

فبت كأن الكأس طال اعتيادها على بصاف من رحيق مروق
كريح ذكي المسك بالليل ريحه يصفق في إبريق جعد منطق^(٢)
أي الساقى الخفيف.

=المعنى أن هذه النعاج كانت في خصب فهو أسرع لها وأقوى على العدو، والفرس مع ذلك لاحق بهن.

(١) ديوان امرؤ القيس ص ٨٠.

يصف الأتن والفحل، يأكلن بهمي: أي هي في خصب، والبهمي: نبت له شوك تكلف به الحمير، وتصلح عليه، حبشية: أي شديدة الخضرة تضرب إلى السواد لريها ونعمتها، ويشرين برد الماء: أي لقوتهن وجلدهن، وتمكن سمنهن يشرين بارد الماء في الغدوات الباردة، ولا يبالينه، والسبرات: جمع سبرة، وهي الغداة الباردة.

(٢) الأصمعيات ص ١٣٣.

اعتيادها: معاودتها، المروق: المصفى بالراوق، وهو المصفاة، يصف ذهوله لما نابه من الحزن، كالمكسر من الشراب، يصفق: يمح، أو يحول من إناء إلى إناء، الجعد: الخفيف من الرجال، عني به الساقى، المنطق: المشدود على وسطه النطاق.

أو الجعد بمعنى القصير.

قال دريد بن الصمة:

وأنت امرؤ جعد القفا متعكس من الأقط الحولى شبعان كانب^(١)

أى قصير القفا.

وقال ذو الرمة:

سوى وطأة فى الأرض من غير جعدة

ثنى أختها فى غرز عوجاء ضامر^(٢)

وقال حميد بن ثور فى صفة الوطب:

فعضت تراقيه بصفراء جعدة فعنها تصاديه وعنها تراود^(٣)

(١) الأصمعيات ص ١١٣.

الجعد: القصير، المتعكس: المتثنى غضون القفا، أو المجتمع، الكانب: الغليظ، وقيل أى أنت سمين وأنت صاحب غنم.

(٢) الشعر والشعراء ١/١٤٨.

سوى وطأة: يعنى نفسه عند نزوله، من غير جعدة: من رجل غيره كبيرة ليست قصيرة.
(٣) التراقي: جمع ترقوة، وأصلها العظمة المشرفة بين ثغرة النحر والعاتق، وأراد بتراقى الوطب هنا أعاليه، والوطب: سقاء اللبن خاصة، وهو جلد المجذع فما فوقه، وأراد بالصفراء الجعدة سنّها، ووصفها بالجعودة على معنى أنها قصيرة شديدة.

وهو وُصف للناقة كثيراً ما يكون فى الشعر القديم، أى إن زيدها
كثير.

قال الحكم الخضرى:

إذا غضبت أن يزجر العيس خلفها

كست خطمها من كسوة لم تهدب^(١)

أى الزيد الذى يعلو قم الناقة.

واللغام: زيد الجمل يقذفه من فيه.

قال ذو الرمة:

ولم ينقضوا التوريك عن كل ناعج وروعاء تعمى باللغام سناد^(٢)

أى بالزيد.

(١) الأصمعيات ص ٣٢.

العيس: الإبل الخالصة البياض، الخطم: مقدم الأنف، لم تهدب: من هدبة الثوب، وهى طرفه الذى لم ينسج، وأراد بالكسوة ما يعلو قم الناقة من الزيد، فهى تغضب إذا حاول غيرها أن يلحقها.

(٢) شرح ديوان ذى الرمة ص ٢٦.

وقال كعب بن زهير:

تنفى اللغام بمثل السبت خصره حاذ يمان إذا ما أرقلت خفقا^(١)

أى تنفى الزيد

وقال المعرى

والعيس نعلن بالحنين 'ليكم ولغامها كالبرس طار نديفه^(٢)

وقال آخر

كان لغامها برس مديف^(٣)

وقال المعرى.

يراقب ضوء الصبح من كل مطلع ولا ضوء إلا ما بدا من لغامه^(٤)

* * *

والتلغيم: من اللغام.

(١) شرح ديوان كعب بن زهير ص ٢٣٦.

(٢) شروح سقط الزيد ١١٠٨/٣ - ١١٠٩.

العيس: الإبل البيضاء، لغامها: ما ترميه من الزيد من فيها إذا سارت، البرس: القطن.

(٣) شروح سقط الزيد ١١٠٩/٣.

(٤) شروح سقط الزيد ٤٩٥/٢.

جعل لغامه، وهو زيد، لما كان أبيض، صبحا، وهو تصوير للغام الجمل.

قال علقمة بن عبدة يصف ناقة:

كأن غسلة خطمى بمشفرها فى الخد منها وفى اللحيين تلغيم^(١)

تلغيم: من اللغام، وهو الزيد.

* * *

وهذا المعنى يدل على كثرة اللغام.

قال المعرى:

على عشر كالنخل أبدى لغامها

جنى عشر مثل السبيخ الموضع^(٢)

أى زيدها.

(١) المفضليات ص ٣٩٩.

الغسلة: ما غسل به الرأس، الخطمى: نيات يغسل به، التلغيم: تفعيل من اللغام، وهو زيد تخلطه خضره مما رعت، وهذا المشتق لم يذكر فى المعاجم، يقول: قد رعت البقل وكأن بمشفرها خطيما من خضرته.

(٢) شروح سقط الزند ١٥٠٧/٤.

العشر من الإبل: التى أظماؤها العشر، وهو ورود الماء فى كل عشرة أيام، واحدها عشر، ويقال لها العواشر، والعشر أطول الأظماء، وشبهها بالنخل فى ارتفاع خلقها، اللغام: لعاب الإبل، شبهه فى بياضه بجنى العشر، لأنه أبيض، والعشر: ضرب من الشجر لا قوة له، أو نوع من العضاة، وجناه: ما يجنى منه، وهو شئ يظهر منه أبيض، يشبه القطن، يقال له: الفوف، ويشبه به لغام الإبل، والسبيخ: جمع سبيخة، وهى القطعة المستطيلة من القطن،=

وقال ذو الرمة:

كأن اللغام الهيّبان تطيره جنى عشر تنفيه أشداقها الهدل^(١)
أى الزيد.

وقال الراجز:

كأن ما تنفيه من لغامها
سبائح القطن على زمامها^(٢)
أى زيدها.

وقال النابغة:

وإذا يلوث لغامه بسديسه ثنى فهب هبابه وتزيدا^(٣)
أى زيده.

* * *

= الموضع: الموضوع فوق الثوب أو غيره، الخياط يوضع القطن على الثوب توضيماً، يقول:
أراك جفئك منعطف الوادى، وأنت على إبل ضوady.

(١) شروح سقط الزند ١٥٠٨/٤، شرح ديوان ذى الرمة ص ٧٥.

يروى: تطير اللغام الهيّبان كأنه.

(٢) شروح سقط الزند ١٥٠٨/٤.

(٣) ديوان الأعشى الكبير ص ٥٣.

وقال حبيب أبو تمام:

فالرزق لا تكمد عليه فإنه يأتي ولم تبعث إليه رسولا

وقال أبو ذؤيب:

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع

وقال محمود الوراق:

يا عائب الفقر ألا تزدر عيب الغنى أكثر لو تعتبر

من شرف الفقر ومن فضله على الغنى إن صح منك النظر

أنك تعصى كي تنال الغنى وليس تعصى الله كي تفتقر^(١)

قال أعرابي بعد أن نال بغيته وهو ابن سبيل:

لا والذي أنا عبد في عبادته لولا شماتة أعداء ذوى إحن

ما سرنى أن أبلى في مباركتها وإن أمرا قضاء الله لم يكن

أخذ هذا المعنى بعض المحدثين فقال:

(١) العقد الفريد ٢/١٤٤

لولا شماتة أعداء ذوى حسد وإن أنال بنفعى من يرجينى
لما خطبت إلى الدنيا مطالبها ولا بذلت لها عرضى ولا دينى
لكن منافسة الأكفاء تحملتنى على أمور أراها سوف تردىنى
وقد خشيت بأن أبقى بمنزلة لا دين عندى ولا ديناً أتواتينى

دخل أعرابى على خالد بن عبد الله القسرى، فلما مثل بين يديه
أنشأ يقول:

أصلحك الله قل ما بيدي فيما أطيق العيال إذ كثروا
أناخ دهر ألقى بكل كليله فأرسلونى إليك وانتظروا

قال: أرسلوك وانتظروا، والله لا تجلس حتى تعود إليهم بما يسرهم،
فأمر له بأربعة أبعرة موقورة براً وعمراً وخلع عليه.

أقبل أعرابى إلى مالك بن طوق، فأقام بالرحبة خيناً، وكان الأعرابى
من بنى أسد صعلوكاً فى عباءة صوف وشملة شعر، فكلمه أراد الدخول
منعه الحجاب. وشتمه العبيد وضرته الأشراف، فلما كان فى بعض الأيام
خرج مالك بن طوق يريد التنزه حول الرحبة، فعارضه الأعرابى، فضربوه

ومنعوه، فلم يشنه ذلك حتى أخذ بعنان فرسه، ثم قال: أيها الأمير إنني عائد بالله من أشراطك هؤلاء، فقال: مالك، دعوا الأعرابي، هل من حاجة يا أعرابي؟ قال أصلح الله الأمير أن تصغى إلى بسمعك، وتنظر إلى بطرفك وتقبل إلى بوجهك، قال: نعم، فأنشأ الأعرابي يقول:

بيابك دون الناس أنزلت حاجتي وأقبلت أسعى حوله وأطوف
ويمنعني الحجاب والستر مسبل وأنت بعيد والشروط صفوف
يدورون حولي في الجلوس كأنهم ذئاب جياع بينهن خروف
فأما وقد أبصرت وجهك مقبلا فأصرف عنه إنني لضعيف
ومالي من الدنيا سواك ولا لمن تركت ورائي مريع ومصيف
وقد علم الحيان قيس وخندف ومن هو فيها نازل وحليف
تخطى أعناق الملوك ورحلتي إليك وقد حنت إليك صروف
فجئتكم أبغى اليسر منك فمر بي بيابك من ضرب العبيد صنوف
فلا تجعلن نحو بابك عودة فقلبي من ضرب الشروط مخوف
فاستضحك مالك حتى كاد أن يسقط عن فرسه. ثم قال لمن حوله:
من يعطيه درهماً بدرهمين وثوباً بثوبين، فوقع عليه الثياب والدراهم

من كل جانب حتى تحير الأعرابي، ثم قال له: هل بقيت لك حاجة يا أعرابي؟ قال: أما إليك فلا، قال: فإلى من؟ قال: إلى الله أن يبقيك للعرب، فإنها لاتزال بخير ما بقيت لها^(١).

وقفت أعرابية على عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما، فقالت: إني أتيت من أرض شاسعة، تهيبضنى هائضتة وترفعنى رافعة فى بواديرى لحمى، وهضن عظمى، وتركتنى والهة قد ضاق بى البلد، بعد الأهل والولد، وكثرة من العدد لا قرابة تؤوينى، ولا عشيرة تحمينى، فسألت: أحياء العرب من المرتجى سيبه، المأمون عيبه، الكثير نائله، المكفى سائله فدللت عليك، وأنا امرأة من هوازن فقدت الولد والوالد فاصنع فى أمرى واحدة من ثلاث إما أن تحسن صفدى، وإما أن تقيم أودى، وإما أن تردنى إلى بلدى، قال: بل أجمعهن لك ففعل ذلك بها. وقال أعرابي:

يا عامل الخير رزقت الجنة اكس بنياتى وأمهنه

وكن لنا من الزمان جنه واردد علينا إن إن إنه^(٢)

(١) العقد الفريد ٢/٢٨٢.

(٢) العقد الفريد ٢/١٨٣.

وقف أعرابى يقوم فقال: أشكو إليكم أيها الملأ زماناً كلح فى وجهه، وأناخ على كلكله، بعد نعمة من المال، وثروة من المال وغبطة من الحال، اعتورتنى جدائده، ينبل مصائبه عن قسى نوائبه، فما تركا لى ثاغية أجتدى ضرعها، ولا راغبة أرتجى نفعها، فهل فيكم من معين على صرفه، أو معد على حتفه؟ فرد القوم عليه ولم ينيلوه شيئاً فأنشأ يقول:

قد ضاع من يأكل من أمثالكم
جودا وليس الجواد من فعالكم
لا يارك الله فى لكم مالكم
ولا أزاح السوء عن عيالكم
فالفقر خير من صلاح حالكم

سأل أعرابى، فلم يعط شيئاً، فرفع يديه إلى السماء وقال:

يا رب أنت ثقتى وذخرى
لصبية مثل صغار الذر
جاءهم البرد وهم يشتر

بغير لحف وبغير أزر
كأنهم خنافس في حجر
تراهم بعد صلاة العصر
وكلهم ملتصق لصدرى
فاسمع دعائى وتول أجرى

سأل أعرابى ومعه ابنتان له، فلم يعط، فأنشأ يقول:
أيا ابنتى صابرا أباكما
إنكما بعين من يراكما
الله مولاي وهو مولاكما
فاخلصا لله من نجاكما
تضرعا لا تدخرا بكاكما
لعله يرحم من أواكما
إن تبكيا فالدهر قد أبكاكما^(١)

(١) العقد الفرید ٢/٢٨٤.

وقف أعرابى غنوى على قوم، فقال بعد التسليم: أيها الناس ذهب
النيل، وعجف الخيل، وبخس الكيل، فمن يرحم نضر سيف وقل سنة،
ويقرض الله قرضاً حسناً لا يستقرض الله من عدم ولكن ليبلوكم فيما
آتاكم، ثم أنشأ يقول:

هل من فتى مقتدر معين على فقير بئس مسكين
أبى بنات وأبى بنين جزاه ربي بالذى يعطينى
أفضل ما يجزى به ذو الدين

وقال أعرابى للمأمون:

قل للإمام الذى ترجى فضائله رأس الأنام وما الأذنان كالرأس
أنى أعوذ بهرون وحفرته وبابن عم رسول الله عباس
من أن تشد رحال العيس راجعة إلى اليمامة بالحرمان والياس

أصاب الأعراب مجاعة، فمرت برجل منهم قاعد مع زوجته بقارعة
الطريق وهو يقول:

يا رب إنى قاعد كما ترى
وزوجتى قاعده كما ترى
والبطن منى جائع كما ترى
فما ترى يا ربنا فيما ترى

حدث بعض الأعراب قال: أصابتنا سنة وعندنا رجل غنى وله كلب،
فجعل كلبه يعوى جوعاً فأنشأ، يقول:

تشكى إلى الكلب شدة جوعه وبى مثل ما بالكلب أو بى أكثر
فقلت لعل الله يأتى بغيثه فيضحى كلانا قاعدا يتذمر
كأنى أمير المؤمنين من الغنى وأنت من النعم كأنك جعفر

سأل أعرابى رجلاً يقال له عمرو، فأعطاه درهمين فردهما عليه وقال:
تركت لعمرو درهميه ولم يكن ليغنى عنى فاقتى درهمما عمرو
وقلت لعمرو خذهما فاصطرفهما سريعين فى نقض المودة والأجر^(١)

(١) العقد الفريد ٢/٢٨٥.

وقال حبيب أبو تمام:

ذل السؤال شجى فى الحلق معترض من دونه شرق من خلفه حرض
ما مال كفك إن جادت وإن بخلت من ماء وجهى إن أفسدته عوض
وقال الشاعر:

ما نال باذل وجهه بسؤاله عوضاً ولو نال الغنى بسؤال
وإذا التوال مع السؤال وزنته رجع السؤال وشال كل نوال

وقال مسلم بن الوليد:

سل الناس إنى سائل الله وحده وصائن عرضى عن فلان وعن فلا
وقال عبيد بن الأبرص:

من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخيب
وقال ابن أبى حازم:

لطفى يوم وليلتين ولبس ثوبين باليين
أهون من منة لقوم أغض منها جفون عيني

إنى وإن كنت ذا عيال قليل مال كثير دين

لأحمد الله حين صارت حوائجى بينه وبينى

وقال ابن عبد ربه:

سؤال الناس مفتاح عتيد لباب الفقر فاكلف بالسؤال^(١)

وقال حبيب أبو تمام:

لم يخلق الرحمن أحق لحية من سائل يرجو الغنى من سائل

- الشيب والشباب:

قال حبيب الطائي:

غدا الشيب مختطاً بفردى خطة طريق الردى منها إلى النفس ضيع

هو الزور يخفى والمعاشر يحتوى وذو الإلف يبلى والجديد يرقع

له منظر فى العين أبيض ناصع ولكنه فى القلب أسود أسفع^(٢)

(١) العقد الفريد ٤٦/٢.

(٢) العقد الفريد ٤٧/٢.

وقال محمود الوراق:

بكيت لقرب الأجل وبعد فوات الأمل
ووافد شيب طراً بعقب شباب رحل
شباب كأن لم يكن وشيبة كأن لم يزل

وقال أيضاً:

لا تطلبن أثراً بعين فالشيب إحدى الميتين
أبدى مقابح كل شين ومحاسن كل زين
فإذا رأيت الغانيا ترائين منك غراب بين
ورعاً نافسني فيه لك وكن طوعاً وليدين
أيام غنمك الشبا ب وأنت سهل الغارضين
حتى إذا نزل المشيد ب وصرت بين عمامتين
سوداء حالكه وبيضاء المناشر كاللجين
مزج الصدود وصالهن فكن أمراً بين بين
وصبرن ما صبر السواد على مصانعة ودين

حتى إذا شمل المشيد ب فجاز قطر الحاجبين
فتقين شراً تقية وأخذن منك الأطيبين
فاقن الحيا أو سل نف سك أو فناء الفرقدين
ولئن أصابتك الخطو ب بكل مكروه وشين
فلقد أمنت بأن يصي بك ناظر أبدا بعين

وقال حبيب الطائي:

نظرت إلى بعين من لم يعدل لما تمكن حيهما من مقتلى
لما رأت وضع المشيب بلمتى صدت صدود مجانب متحمل
فجعلت أطلب وصلها بتلطف والشيب يغمزها بأن لا تفعل
وقال آخر:

صدت أمانة لما جئت زائرها عنى بمطروفة إنسانها غرق
وراعها الشيب فى رأسى فقلت لها كذاك يصفر بعد الخضرة الورق

وقال محمد بن أمية:

رأين الغوانى الشيب لاح بعارضى فأعرضن عني بالحدود النواضر
وكن إذا أبصرتنى أو سمعن بى دنين فرفعن الكرا بالمحاجر

وقال العلوى:

عيرتنى بشيب رأسى نوار يا ابنة العم ليس فى الشيب عار
إنما العار فى الفرار من الزح ف إذا قيل أين أين الفرار

وقال ابن عبد ربه فى الشيب:

بدا وضح المشيب على عذارى وهل ليل يكون بلا بهار
شريت سواد ذا بياض هذا فبدلت العمامة بالخممار
وألبسنى النهى ثوباً جديداً وجردنى من الثوب المعار
وما بعث الهوى بيعاً بشرط ولا استثنيت فيه بالخيار^(١)

وقال أيضاً:

قالوا شبابك قد ولى فقلت لهم هل من جديد على كرا الجديدين

(١) العقد الفريد ٤٨/٢.

صل من هويت وإن أبدى معاتبه فاطيب العيش وصل بين إلفين
واقطع حبائل خدن لا تلاتمه فربما ضاقت الدنيا على اثنين
وقال ابن عبد ربه:

جار المشيب على رأسى فغيره لما رأى عندنا الحكام قد جاروا
كأنما جن ليل فى مفارقه فاعتاقه من بياض الصبح أسفار
وقال أيضاً:

سواد المرء تنفذه الليالى وإن كانت تصير إلى نفاذ
فاسوده يعود إلى بياض وأبيضه يعود إلى سواد
ومن قوله أيضاً:

أطلال لهوك قد أقوت مغانيها لم يبق من عهدا إلا أثافيها
هذى المفارق قد قامت شواهدا على فنائك والدنيا تزكيها
الشب سفتجة فيها معنونة لم يبق للموت إلا أن يسجيها
ومن قوله أيضاً:

نجوم فى المفارق ما تغور ولا يجرى بها فلك يدور

كَانَ سَوَادُ لَمْتِهِ ظِلَامٌ أَغَارَ مِنَ الْمَشِيبِ عَلَيْهِ نَوْرٌ
أَلَا إِنَّ الْقَتِيرَ وَعِيدَ صَدَقَ لَنَا لَوْ كَانَ يَزْجُرُنَا الْقَتِيرُ
نَذِيرَ الْمَوْتِ أَرْسَلَهُ إِلَيْنَا فَكَذَبْنَا بِمَا جَاءَ النَّذِيرُ
وَقَلْنَا لِلنَّفُوسِ لَعَلَّ عَمْرًا يَطُولُ بِنَا وَأَطْوَلُهُ قَصِيرُ
مَتَى كَذَبْتَ مَوَاعِدَهَا وَخَانَتْ فَأُولَهَا وَآخِرَهَا غُرُورُ
لَقَدْ كَادَ السُّلُومِيَّتُ شَوْقِي وَلَكِنْ قَلِمَا فَطَنَ الْكَبِيرُ
كَأَنِّي لَمْ أَرْقُ بَلْ لَمْ يَرْقِنِي شَمُوسٌ فِي الْأَهْلَةِ أَوْ بِدُورِ
وَلَمْ أَلْقِ الْمَنَى فِي ظِلِّ لَهْوٍ بِأَقْمَارِ سَحَابِهَا السُّتُورِ^(١)

* * *

وقال محمود الوراق:

أَلَيْسَ عَجِيبًا بِأَنَّ الْفَتَى يَصَابُ بِبَعْضِ الَّذِي فِي يَدَيْهِ
فَمَنْ بَيْنَ بَاكِ لَهُ مَوْجِعٌ وَبَيْنَ مَعَزِ مَفْدٍ إِلَيْهِ
وَيَسْلُبُهُ الشَّيْبُ شَرَّ الشَّبَابِ فَلَيْسَ يَعْزِيهِ خَلْقٌ عَلَيْهِ

(١) العقد الفريد ٤٩/٢.

وقال ابن أبى حازم:

ولى الشباب فخلى الدمع ينهمل فقد الشباب يفقد الروح متصل
لا تكذبن فما الدنيا بأجمعها من الشباب بيوم واحد بدل
وقال جرير:

ولى الشباب حميدة أيامه لو كان ذلك يشتري أو يرجع
وقال صريع الغواني:

واها لأيام الصبا وزمانه لو كان أسعف بالمقام قليلا
سل عيش دهر قد مضت أيامه هل يستطيع إلى الرجوع سبيلا

وقال الحسن:

ولذاتى إذ ذاك فى طاعة الجهم — ل قوتى من الصبا امراء
ترب عيش لريطتى فضل ذيل ولرأسى ذؤابة فرعاء
بقناع من الشباب جديد لم ترقعه بالخضاب النساء
قبل أن يلبس المشيب عذارى وتبلى عمامتى السوداء

وقال أعرابي:

لله أيام الشباب وعصره لم يستعار جديده فيعار
ما كان أقصر ليله ونهاره وكذاك أيام السرور قصار

وقال ابن عبد ربه في الشباب:

ولى الشباب وكنت تسكن ظله فانظر لنفسك أى ظل تسكن
ونهى المشيب عن الصبا لو أنه يدلى بحجته إلى من يلقن
ومن قوله فيه:

قالوا شبابك قد مضت أيامه بالعيش قلت وقد مضت أيامى
لله أية نعمة كان الصبا لو أنها وصلت بطول دوام
حسر المشيب قناعه عن وجهه وصحا العواذل بعد طول ملام
فكان ذاك العيس ظل غمامة وكان ذاك اللهو طيف منام^(١)
وقال آخر:

إن شرخ الشباب والشعر الأس ود ما لم يعاض كان جنونا

(١) العقد الفريد ٥٠/٢.

وقال آخر:

قالت عهدتك مجنوننا فقلت لها إن الشباب جنون برؤه الكبير

وقال ابن عبد ربه في الشباب:

كنت إلف الصبا فودعني وداع من بان غير منصرف

أيام لهوى كظل أسحلة وذا شبابي كروضة أنف

ومن قوله في الشباب:

شبابي كيف جرت إلى نفاذ وبدلت البياض من السواد

وما أبقى الحوادث منك إلا كما أبقى من القمر الدآدى

فراقك عرف الأحزان قلبي وفرق بين جفني والرقاد

فيا لنعيم عيش قد تولى وبالغليل حزن مستفاد

كأنى منك لم أربع بربع ولم أرتد به أحلى مراد

سقى ذاك الثرى وبل الثريا وغادى نبتة صوب الغواذى

فكم لى من غليل فيه خاف وكم لى من عويل فيه باد

زمان كان فيه الرشد غيا وكان الغى فيه من الرشاد
يقبلنى بدل من قبول ويسعدنى بوصل من سعاد
وأجنبه فيعطينى قيادا ويجنبنى فاعطيه قيادى^(١)

* * *

وقال مالك بن أسماء:

غيرتنى خلقا أبليت جدته وهل رأيت جديداً لم يعد خلقاً

وقال أبو الأسود:

أفنى الشباب الذى فارقت بهجته من الجديدين من آت ومنطلق

لم يبقيا لى فى طول أختلافهما شيئاً يخاف عليه لدعة الحدق

* * *

وغنت جارية أمام معاوية:

أليس عندك شكر للتى جعلت ما ابيض من قادمات الريش كالحمم

وجدت منك ما قد كان أخلقه رب الزمان وصرف الدهر والقدم

(١) العقد الفريد ٥١/٢.

وقال محمود الوراق فى الخطاب:

للضيف أن يقرى ويعرف حقه والشيب ضيفك فاقره بخطاب
وافى بالكذب شاهد ولريما وافى المشيب بشاهد كذاب
فازح شهادته عليك بخضبه تنفى الظنون به عن المرتاب
فإذا دنا وقت المشيب فخله والشيب يذهب فيه كل ذهاب
وقال آخر:

وقائلة تقول وقد رأتنى أرقع عارضى من القتير
عليك الخطر هل لك أن تدنى إلى بيض ترائبهن حور
فقلت لها المشيب نذير عمرى ولست مسودا وجه النذير
وقال غيره:

إن شيباً صلاحه بخطاب لعذاب موكل بعذاب
فوحق الشباب لولاه والبيض وأن تشمئز نفس الكعاب
لأرحت الخدين من ضر الخطر وأذنت بانقضاء الشباب

وقال غيره:

بكرت تحسن لى سواد خضابى لكان ذاك يعيدنى لشبابى
وإذا أديم الوجه أخلقه البلا لم ينتفع فيه بحسن خضاب
ماذا ترى يجدى عليك سواده وخلاف ما يرضيك تحت ثيابى
ما الشيب عندى والخضاب لن أصف إلا كشمس جللت بسحاب
تخفى قليلاً ثم يقشعها الصبا فيصير ما سترت به لذهاب

وقال ابن عبد ربه:

أصمم فى الغوية أم أنابا وشيب الرأس قد أنضى الشبابا
إذا نصل الخضاب بكى عليه ويضحك كلما نصل الخضابا
كان حمامة بيضاء ظلت تقاتل فى مفارقة غرابا^(١)

قال أبو نواس فى الشيب:

يقولون فى الشيب الوقار لأهله وشيبي بحمد الله غير وقارى

(١) العقد الفريد ٥٢/٢.

وقال غيره:

يقولون هل بعد الثلاثين ملعب فقلت وهل قبل الثلاثين ملعب
لقد جل قدر الشيب إن كان كلما بدت شيبة يعرى من اللهو مركب

وقال أبو دلف:

تهزأت أن رأيت شيبى فقلت لها لا تهزئى من يطل عمر به يشب
شيب الرجال لهم زين ومكرمة وشيبكن له الويل فاكتئبى
فينا لكن وإن شيب بدا أرب وليس فيكن بعد الشيب من أرب

وقال محمود الوراق:

وعائب عابنى بشيب لم يعد لما أَلَم وقته
فقلت للعائى بشيبى يا عائب الشيب لا بلغته

وقال محمود بن منذر:

لا سلام على الشباب ولا حياء إلاله الشباب من معهود
قد لبست الجديد من كل شئ فوجدت الشباب شر جديد

صاحب ما يزال يدعو إلى العيب وما من دعا له برشيد
ولنعم المشيب والوازع الشيب ونعم المفاد للمستفيد^(١)

وقال أعرابي:

سلنى أنبئك بآيات الكبر
نوم العشاء وسعال بالسحر
وقلة الزاد إذا الزاد حضر
وتركك الحساء من قبل الظهر
والناس يبلون كما يبلى الشجر

وقال أعرابي:

أشكو إلى الله وجعاً بركبتى
وهدجاناً لم يكن فى مشيتى
كهدجان الزحلف المبقعة

(١) العقد الفريد ٥٣/٢.

وقال آخر:

وللكبير رأيان أربع الركبتان والنسا والأخدع

وقال جرير:

تحیی العظام الراجفات من البلا وليس لداء الركبتين دواء
وقال أعرابی فی امرأة:

یا بكر حواء من الأولاد وأقدم العالم فی الميلاد
عمرك ممدود إلى التناد فحدثنا بحدث عساد
ومبتدا فرعون ذی الأوتاد وكيف جاء السيل بالأطواد
وقال آخر:

إذا عاش الفتى سبعین عاما فقد ذهب المسرة والغناء^(١)

وقال محمد بن منذر فی رجل من المعمرین:

إن معاذ بن مسلم رجل قد ضج من طول عمره الأبد

(١) العقد الفريد ٥٤/٢.

قد شاب رأس الزمان واكتهل الدهر وأثواب عمره جدد
يانسر لقمان كيف تعيش وكم تسحب ذيل الحياة يا لبد
قد أصبحت دار آدم خريت وأنت فيها كأنك الورد
تسأل غربانها إذا جلست كيف يكون الصداق والرمد

ودخل الشعبي على عبد الملك بن مروان، فوجده قد كبا مهتما،
فقال: ما بال أمير المؤمنين؟ قال: يا شعبي ذكرت قول زهير:

كأنى وقد جاوزت تسعين حجة خلعت بها عنى عذار لجامي
رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى فكيف بمن يرمى وليس برام
فلو أننى أرمى بنبل رأيتها ولكننى أرمى بغير سهام
على راحتين تارة وعلى العصا أنوء ثلاثا بعدهن قيامي
قال له الشعبي: ليس كذلك يا أمير المؤمنين، ولكن كما قال لبيد
بن ربيعة، وقد بلغ سبعين سنة:

كأنى وقد جاوزت سبعين حجة خلعت بها عن منكبي ردائيا
فلما بلغ سبعا وسبعين قال:

باتت تشكى إلى النفس مجهشة وقد حملتك سبعا بعد سبعينا
فان تزدى ثلاثا تبلغى أملا وفى الثلاث وفاء للثمانينا
فلما بلغ مائة سنة قال:

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الخلق كيف لبى
فلما بلغ مائة سنة وعشرا قال:

أليس فى مائة قد عاشها رجل وفى تكامل عشر بعدها عمر
فلما بلغ ثلاثين ومائة وقد حضرته الوفاة قال:

تمنى بناتى أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
فقوما وقولا بالذى تعلمانه ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذى لا صديقه أضاع ولا خان الخليل ولا عذر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكمما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

قال الشعبي: فقد رأيت السرور فى وجه عبد الملك طمعا أن
يعيشها. وقال لبى أيضاً: (١)

(١) العقد الفريد ٥٥/٢.

أليس ورائي أن تراخت منيتي لزوم العصا تحنى عليها الأصابع
أخبر أخبار القرون التي مضت أدب كأنى كلما قمت رакع
فأصبحت مثل السيف أخلق جفنه تقادم عهد الجفن والنصل قاطع
وقال الشاعر:

من عاش أخلقت الأيام جدته وخانه ثقتاه السمع والبصر
قالت عهدتك مجنونا فقلت لها إن الشباب جنون برؤه الكبر

وقال حميد بن ثور الهلالي:

أرى بصرى قد رابنى بعد صحة وحسبك داء أن تصح وتسلما
وقال آخر:

كانت قناتى لا تلين لغامز فألأنها الإصباح والامساء
ودعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحنى فإذا السلامة داء
وقال بعض المحدثين:

يحيفنى عضوا فعضوا فلم يدع صحيحا سوى اسمى وحده ولسانى

ولو كانت الأسماء يدخلها البلى إذا بلى اسمى لامتداد زمانى
ومالى لا أبلى لسبعين حجة وسبع أتت من دونها سنتان
إذا عن لى شئ تخيل دونه شبيه ضباب أو شبيه دخان

وقال الغزالى:

أصبحت والله محمودا على أمد من الحياة قصير غير ممتد
حتى بقيت بحمد الله فى خلف كأتنى بينهم من وحشة وحدى
وما أفارق يوما من أفارقه إلا حسبت فراقى آخر العهد^(١)

وقال آخر:

يا من لشيخ قد تخدر لحمه أفنى ثلاث عمائم ألوانا
سوداء حالكة ويرد مفوف وأجد لونا بعد ذاك هجانا
قصر الليالى خطوه فتدانى وحنون قائم صلبه فتحانا
والموت يأتى بعد ذلك كله وكأئنا يعنى بذاك سوانا^(١)

(١) العقد الفريد ٥٦/٢.

(٢) العقد الفريد ٥٧/٢.

أوهام الكهنة

قال صاحب نهاية الأرب:

وكانت كهنة العرب^(١) لهم أتباع من الشياطين يسترقون السمع ويأتونهم بالأخبار، فيلقونها لمن يتبعهم، ويسألهم عن خفيات الأمور حتى جاء الإسلام، فمنعت الشياطين من استراق السمع، كما أخبر الله تعالى عنهم في كتابه العزيز (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً) فعند ذلك انقطعت الكهانة فلم يسمع في الإسلام بكاهن، وهذا من معجزات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوال الإشكال في الوحي، فمن أخبار الكهنة، خبر سطيح الكاهن حين ورد عليه ابن أخته عبد المسيح وهو يعالج الموت، فأخبره خبر ما جاء لأجله، وذلك أنه لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجس إيوان كسرى، وسقط منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس، ولم تكن قد خمدت قبل ذلك بألف عام، وغارت بحيرة ساوة، ورأى المويذان إبلا صعبا تقود خيلا عربا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلاد فارس، فلما أصبح كسرى تصبر تشجعا ثم رأى أن لا يكتم ذلك عن وزرائه ومرزيتيه، فلبس تاجه،

(١) العقد الفريد ١٢٨/٢.

وقعد على سريريه، وجمعهم وأخبرهم الخبر فيبيناهم كذلك إذ ورد عليهم
كتاب بخرمود النار فازداد غمّاً وسأل المويزان وكان أعلمهم فقال:
حادث يكون من قبل العرب، فكتب كسرى إلى النعمان بن المنذر: أن
وجه إلى رجلاً عالماً بما أريد أن أسأله عنه فوجد إليه عبد المسيح بن
حسان بن نفيلة الغساني فقال له كسرى: أعندك علم بما أريد أن
أسألك عنه؟ قال: ليخبرني الملك فإن كان عندي منه علم، وإلا أخبرته
بمن يعلمه، فأخبره بما رآه فقال: علم ذلك عند خال لي يسكن مشارق
الشام يقال له: سطيح، فأرسله كسرى إليه فورد على سطيح وقد
أشفي على الموت فسلم عليه وحيّاه فلم يحمر سطيح جواباً فأنشد يقول:

أصم أم يسمع غطريف اليمن

أم فاز فازلم به شأو العنن؟

يا فاصل الخطّة أعيت من ومن

وكاشف الكربة عن وجه الغضن

أتاك شيخ الحى من آل ستن

وأمه من آل ذئب بن حجن

أزرق ممهى الناب صرار الأذن

أبيض فضفاض الرداء

رسول قيل العجم يسرى بالوسن
لا يرهب الرعد ولا ريب الزمن
يجوب فى الأرض على ذات شجن
ترفعنى وجنا وتهوى بى وجن
حتى أتى عارى المجاجى والقطن
تلفه فى الريح بوغاء الدمن
كأنما حثحث من حضنى ثكن^(١)

ففتح سطيح عينيه ثم قال: عبد المسيح، على جمل مشيح، أتى إلى سطيح، وقد أوفى على الضريح، بعثك ملك بنى ساسان، لارتجاس الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا المويذان؛ رأى إبلاً صعباً، تقود خيلاً عرباً، قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلاد فارس، يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة، وبعث صاحب الهراوة، وفاض وادى السماوة، وغاصت بحيرة ساوه، وخمدت نار فارس؛ فليس الشام لسطيح شاما، ولا بابل للفرس مقاما، يملك فيهم ملوك وملكات، بعدد الشرفات، وكل ما هو آت آت، ثم قضى سطيح لوقته، فثار عبد المسيح إلى رحله وهو يقول:

(١) نهاية الأرب ١٢٩/٣.

شمر فإنك ماضى العزم شمير لا يفزعنك تفريق وتغيير
إن كان ملك بنى ساسان أفرطهم فإن ذا الدهر أطوار دهارير
فريما ربما أضحوا بمنزلة تهاب صولهم الأسد المهاصير
منهم أخو الصرح بهرام وإخوته والهرمزان وسابور وشابور
والناس أولاد علات فمن علموا أن قد أقل فمحذور ومهجور
وهم بنو الأم أما أن رأوا نشبا فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
والخير والشر مقرونان فى قرن فالخير متبع والشر محذور
فلما قص الخبر على كسرى قال: إلى أن يملك منا أربعة عشر تكون
أمور؛ فملك منهم عشرة فى أربع سنين، وملك الباقيون إلى زمن
عثمان رضى الله عنه^(١).

ومن أخبارهم: أن سعدى بنت كرىز بن ربيعة كانت قد تطرقت
وتكهننت وهى خالة عثمان بن عفان رضى الله عنه، روى عنه أنه قال:
لما زوج النبى صلى الله عليه وسلم ابنته رقية من عتبة بن أبى لهب
وكانت ذات جمال رائع، دخلتنى الحسرة أو كالحسرة أن لا أكون سبقت

(١) نهاية الأرب ٣/ ١٣٠.

إليها ثم لم ألبث أن انصرفت إلى منزلي فألفيت خالتي فلما رأتني قالت:

أبشر وحييت ثلاثا تترى
ثم ثلاثا وثلاثا أخرى
ثم بأخرى كي تتم عشرة
أتاك خير ووقيت شرا
نكحت والله حصانا زهرا
وأنت بكر ولقيت بكرا
وافيتها بنت نفيس قدرا
بنت نبي قد أشاد ذكرا

قال عثمان: فعجبت من قولها، وقلت: ماذا تقولين: فقالت:

عثمان يا ابن أخت يا عثمان
لك الجمال ولك البيان
هذا نبي معه البرهان
أرسله بحقه الديان

وجاء التنزيل والفرقان

فاتبعه لا تحتالك الأوثان

فقلت: يا خالة! إنك لتذكرين ما قد وقع ذكره في بلدتنا فأثبتيه لى، فقالت: إن محمد بن عبد الله رسول من عند الله، جاء بتنزيل الله، يدعو إلى الله، مصباحه مصباح، وقوله صلاح، ودينه فلاح، وأمره نجاح، وقرنه نطاح، ذلت له البطاح، ما ينفع الصياح، لو وقع الذباح، وسلت الصفاح، ومدت الرماح، قال: ثم قامت فانصرفت ووقع كلامها فى قلبى، وجعلت أفكر فيه، وذكر بعد ذلك إسلامه وتزويجه رقية؛ فكان يقال: إنهما أحسن زوجين اتفاقاً وجمالاً^(١).

ومنها أن هنداً بنت عتبة بن ربيعة كانت عند الفاكه بن المغيرة، وكان من فتيان قريش، وكان له بيت الضيافة، خارجاً من البيوت، تغشاه الناس من غير إذن؛ فخلا البيت ذات يوم واضطجع هو وهند فيه، ثم نهض لبعض حاجته، وأقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولوجه، فلما رآها ولى هارباً وأبصره الفاكه فأقبل اليها فضر بها برجله وقال لها: من هذا الذى خرج من عندك؟ قالت: ما رأيت أحداً، ولا انتبهت حتى أنبهتنى! فقال لها: ارجعى إلى أبيك، وتكلم الناس فيها، فقال

(١) نهاية الأرب ١٣١/٣.

لها أبوها: يا بنية! إن الناس قد أكثروا فيك، فأنبئيني نبأك، فإن يكن الرجل عليك صادقاً دسست عليه من يقتله، فتنقطع عنك المقالة، وإن يك كاذباً حاكمته إلى بعض الكهان، فقالت: لا والله! ما هو على بصادق! فقال له: يا فاكه! إنك قد رميت ابنتي بأمر عظيم، فحاكمنى إلى بعض كهان اليمن! فخرج الفاكه فى جماعة من بنى مخزوم، وخرج عتبة فى جماعة من بنى عبد مناف، ومعهم هند ونسوة، فلما شارفوا البلاد، وقالوا: غدا نرد على الرجل، تنكرت حال هند، فقال لها عتبة: إنى أرى ما بك من تنكر الحال، وما ذاك إلا لمكروه عندك، فهلا كان هذا قبل أن يشتهر عند الناس مسيرنا؟ فقالت: لا والله! ولكنى أعرف أنكم تأتون بشراً يخطئ ويصيب ولا آمنة أن يسمنى ميسماً يكون على سبة فقال: إنى سوف أختبره لك، فصفر لفرسه حتى أدلى ثم أدخل فى إحليله حبة حنطة وأوكأ عليها بسير، فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم، فلما تغدوا قال له عتبة: قد جئناك فى أمر وقد خبأنا لك خبيثاً أختبرك به، فانظر ما هو؟ فقال ثمرة، فى كمره. قال إنى أريد أبين من هذا، قال: حبة، فى إحليل مهر، قال: انظر فى أمر هؤلاء النسوة، فجعل يدنو من إحداهن فيضرب بيده على كتفها ويقول لها، انهضى، حتى دنا من هند فقال لها: انهضى غير رسحاء ولا زانية، ولتلدن ملكاً اسمه معاوية؛ فنهض اليها الفاكه فأخذ بيدها فجذبت يدها من يده وقالت: إليك عنى فوالله لأحرصن أن يكون من غيرك؛ فتزوجها أبو سفيان^(١).

(١) نهاية الأرب ١٣٢/٣

ومنها. أن أمية بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف إلى المنافرة، فقال هاشم: إني أنافرك على خمسين ناقة سود الحديق، تنحرها بمكة أو الجلاء عن مكة عشر سنين، فرضى أمية وجعلا بينهما الخزاعي الكاهن وخرجا إليه ومعهما جماعة من قومهما فقالوا: نخباً له خبئاً فإن أصابه تحاكمنا إليه، وإن لم يصبه تحاكمنا إلى غيره، فوجدا أبا همهمة وكان معهم أطباق جمجمة، فأمسكها معه ثم أتوا الكاهن فأنأخوا ببابه وكان منزله بعسفان: فقالوا: إنا قد خبأنا لك خبئاً فأنبئنا عنه. قال: أحلف بالضوء والظلمة، وما بتهمامة من تهممه، وما بنجد من أكمه، لقد خبأتم لى أطباق جمجمة، مع الفلندج أبى همهمه؛ فقالوا: صدقت احكم بين هاشم بن عبد مناف وبين أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أيهما أشرف بيتاً ونفساً، قال: والقمر الباهر، والكوكب الزاهر، والغمام الماطر، وما بالجو من طائر، وما اهتدى بعلم مسافر، من منجد وغائر، لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر، أولاً منه وآخر؛ فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها من حضر وخرج أمية إلى الشام فأقام بها عشر سنين؛ فيقال: إنها أول عداوة وقعت بين بنى هاشم وبين بنى أمية.

ومنها: أن بنى كلاب وبنى نضر خاصموا عبد المطلب فى مال قريب من الطائف فقال عبد المطلب: المال مالى فسلونى أعطكم، قالوا: لا،

قال: فاختاروا حاكماً قالوا: ربيعة بن حذار الأسدي، فتراصوا به وعقلوا مائة ناقة في الوادي وقالوا: الإبل والمال لمن حكم له، وخرجوا وخرج مع عبد المطلب حرب بن أمية فلما نزلوا بربيعة بعث إليهم بجزائر فنحروها عبد المطلب، وأمر فصنع جزرا وأطعم من أتاه، ونحر الكلابيون والنضريون ووشقوا فقيلاً لربيعة فقال: إن عبد المطلب امرؤ من ولد خزيمة فمتى يلقى يصله بنو عمه وأرسل إليهم أن اخبأوا لي خبيئاً فقال: عبد المطلب: قد خبأت كلباً اسمه سوار في عنقه قلادة، في خرزة مزادة، وضممتها بعين جرادة، فقال الآخرون: قد رضينا ما خبأت وأرسلوا إلى ربيعة فقال: خبأ ثم خبيئاً حياً، قالوا: زد، قال: ذو برثن أغبر، ويطن أحمر، وظهر أغمر قرمت؛ قال: سما فسطع، ثم هبط فلطع، فترك الأرض يلقع، قالوا: قرمت فطبق قال: عين جرادة، في خرزة مزادة، في عنق سوار ذي القلادة، قالوا: زه زه أصبت فاحكم لأشدنا طعناً وأوسعنا مكاناً، قال عبد المطلب: احكم لأولانا بالخيرات، وأبعدنا عن السوات وأكرمنا أمهات، فقال ربيعة: والغسق والشفق، والخلق المتفق، ما لبنى كلاب وبنى رباب من حق، فأنصرف يا عبد المطلب على الصواب، ولك فصل الخطاب، فوهب عبد المطلب المال لحرب بن أمية^(١).

* * *

(١) نهاية الأرب ١٣٣/٣

- سحر البيان:

روى عن عبد الله بن عباس رضوان الله عليهما قال: وقد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم، فقال الزبرقان: يا رسول الله: أنا سيد قميم، والمطاع فيهم، والمجاب منهم، آخذ له بحقهم، وأمنعهم من الظلم، وهذا يعلم ذلك - يعنى عمراً - فقال عمرو: أبخل يا رسول الله، إنه مانع لحوزته، مطاع فى عشيرته، شديد العارضة فيهم.

فقال الزبرقان: أيها إنه والله قد علم أكثر مما قال، ولكنه حسدنى شرفى! فقال عمرو، أما لئن قال ما قال، فوالله ما علمته إلا ضيق العطن زمن المروءة أحقق الأب لثيم الخال، حديث الغنى؛ فرأى الكراهة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله، فقال: يا رسول الله، رضيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت: فقلت أقبح ما علمت، وما كذبت فى الأولى، وقد صدقت فى الثانية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من البيان لسحراً. وإن من الشعر لحكمة) ويروى لحكما، والأول أصح. والذي روى أهل الثبت من هذا الحديث أنه قدم رجلان من أهل المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من البيان سحراً، أو من بعض البيان لسحراً^(١).

(١) جوزه الرجل: ما يجوزه ويملكه، العارضة: البديهة وقوة الكلام، العطن: المناخ حول الورد، وضيق العطن كناية عن البخل، زمن: بالى. زهر الآداب وثمر الألباب ٣٨/١.

وهذا تعليق رائع يدل على تذوق الرسول صلى الله عليه وسلم
العالي فى كلام العرب.

وعمرو بن الأهتم هو عمرو بن سنان بن تميم، وسمى الأهتم لأن
قيس بن عاصم المنقرى سيد أهل الوبر ضربه بقوسه فهتم فاه. هذا قول
ابن قتيبة. وقال غيره بل هتم فوه يوم الكلاب الثانى، وهو يوم كان
لبنى تميم على أهل اليمن، وكان عمرو يلقب المكحل لجماله، وينو
الأهتم أهل بيت بلاغة فى الجاهلية والاسلام، وكان يقال: الخطابة فى
آل عمرو بن الأهتم وكان شعر عبد الله ابنه حلا منشرة عند الملوك
تأخذ منه ما شاءت، وهو القائل:

ذرينى فإن البخل يا أم مالك لصالح أخلاق الرجال سروق
لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق^(١)

والزبرقان اسمه حصن بن بدر، وسمى الزبرقان لجماله، والزبرقان

(١) هذا البيت ورد أيضاً فى أبيات بشار التى مطلعها:
خليلى إن العسر سوف يفيق وإن يسارا فى غد خلّيق
وفى القاموس مادة زبرق (زبرق ثوبه) صبغه بصفرة أو حمرة والزبرقان بالكسر: القمر،
والخفيف اللحية، ولقب حصن بن بدر الصحابى، لجماله أو لصفرة عمامته.

القمر، وقيل لأنه كان يزيق عمامته، أى يصغرها فى الحرب؛ وكانوا يسمون الكلام الغريب السحر الحلال ويقولون: اللفظ الجميل من إحدى النفثات فى العقد.

وهذان البيستان غاية فى الروعة فى المعانى، والألفاظ، والتناول والسهولة فى اللفظ والنظم.

وذكر بعض الرواة أنه لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قدم عليه وفود أهل كل بلد، فتقدم إليه وفد أهل الحجاز، فاشرب منهم غلام للكلام، فقال عمر: يا غلام! ليتكلم من هو أسن منك! فقال الغلام: يا أمير المؤمنين! إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا منح الله عبده لساناً لافظاً، وقلباً حافظاً، فقد أجاد له الاختيار، ولو أن الأمور بالسن لكان ها هنا من هو أحق بجلستك منك! فقال عمر: صدقت، تكلم فهذا السحر الحلال. فقال يا أمير المؤمنين! نحن وفد التهئية، لا وفد المرزئة، ولم تقدمنا إليك رغبة ولا رهبة، لأننا قد أمنا فى أيامك ما خفنا، وأدركنا ما طلبنا.

فسأل عمر عن سن الغلام فقبل عشر سنين.

المصادر والمراجع

- البخلاء الجاحظ، تحقيق دكتور طه الحاجري، الطبعة السابعة، القاهرة، ١٩٩٠ م.
- بهجة المجالس وأتس المجالس، وشهد الذاهن والهاجس، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى القرطبي، تحقيق محمد مرسى الخولى، مراجعة دكتور عبد القادر القط، القاهرة.
- البیان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، حققه وشرحه حسن السندوبى، القاهرة ١٣٦٦ هـ، ١٩٤٧ م.
- ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابورى، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٨٥ م.
- تجريد الأغنى، ابن واصل الحموى، تحقيق دكتور طه حسين، إبراهيم الإبيارى، القاهرة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.
- مجالس ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٨٠ م.
- مجموع الأمثال، الميدانى، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٣١٠ هـ.
- جهمرة أشعار العرب فى الجاهلية والإسلام، أبو زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى، تحقيق على محمد البجاوى، القاهرة، ١٩٨١ م.
- الحماسة الشجرية، ابن الشجرى هبة الله بن على بن حمزة العلوى الحسنى، تحقيق عبد المعين الملوحي، دمشق، ١٩٧٠ م.
- الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٨٧ هـ، ١٩٦٨ م.
- خزنة الأدب وغاية الأرب، تقى الدين أبو بكر على المعروف بابن حجة الحموى الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٠٤ هـ.
- خزنة الأدب ولب لبان لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، القاهرة، ١٣٤٧ هـ.
- مختارات الشعر الجاهلى، عبد المتعال الصعيدى الطبعة الثانية، ١٣٧٤ هـ، ١٩٥٥ م القاهرة.
- مختارات أشعار العرب، ابن الشجرى.
- مختار العقد الفريد، مراجعة محمد محمود القاهرة.

- مختار الأغاني في الأخبار والتهاني، ابن منظور محمد بن مكرم، تحقيق إبراهيم الإياري، عبد العزيز محمد، دكتور حسين نصار، القاهرة، ١٣٨٥، ١٩٦٥ م.
- اختيار الممتع في علم الشعر وعمله، أبو محمد عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي، تحقيق دكتور محمود شاكر القطان، الطبعة الأولى، ١٩٨٣ م، ١٩٨٥ م، القاهرة.
- المختار من كتاب محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، أبو القاسم حسين بن محمد المعروف، بالراغب الأصبهاني، اختيار أنور الجندی، مراجعة علي الجندی، القاهرة، ١٩٦٠ م.
- ديوان إبراهيم بن هرمة، تحقيق محمد جبار المعبيد، بغداد ١٩٦٩ م.
- ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، الطبعات الثالثة، الرابعة الخامسة، القاهرة، سنة ٨٢، ٨٣، ١٩٨٧ م.
- ديوان أبي دلالة الأسدي، إعداد دكتور علي حسن، عمان، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٥ م.
- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري، المسمى بالبيان في شرح الديوان، ضبط مصطفى السقا، إبراهيم الإياري، عبد الحفيظ شلي، القاهرة، ١٣٩١ هـ، ١٩٧١ م.
- ديوان أبي العتاهية، بيروت، ١٣٨٤ هـ، ١٩٦٤.
- ديوان أبي نواس، الحسن بن هاني، أشرف على التحقيق عزيز أباطة، القاهرة، ١٩٥٣ م.
- ديوان أمية بن أبي الصلت، تحقيق دكتور عبد الحفيظ السطلي، دمشق، ١٩٧٧ م.
- ديوان أوس بن حجر، تحقيق دكتور محمد يوسف نجم، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩ م.
- ديوان البحري، تحقيق حسن كامل الصيرفي، الطبعات الأولى، الثانية، الثالثة، القاهرة، ١٩٧٧ م.
- ديوان بدیع الزمان الهمداني، تحقيق يسري عبد الغني عبد الله، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م.
- ديوان ابن الدمينة، صنعة أبي العباس ثعلب، ومحمد بن حبيب، تحقيق أحمد إتب النفاخ، تصدير محمود محمد شاكر، القاهرة، ١٣٧٨ هـ، ١٩٥٩ م.
- ديوان ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس بن جريج، تحقيق دكتور حسين نصار، القاهرة، ١٣٩٣، ٧٣-١٩٧٩ م.
- ديوان جرير، شرح محمد بن حبيب، تحقيق دكتور نعمان محمد أمين طه، القاهرة، ١٩٦٩ م.
- ديوان جميل بثينة، تعليق دكتور حسين نصار، القاهرة.
- ديوان حاتم الطائي، بيروت.

- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق دكتور سيد حنفي حسنين، القاهرة، ١٩٨٣ م.
- ديوان الحطيئة، شرح ابن السكيت، والسكري، تحقيق نعمان أمين طه.
- ديوان حميد بن ثور الهلالي، شرح عبد العزيز الميمنى، القاهرة، ١٣٧١ هـ، ١٩٥١ م.
- ديوان الحماسة، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، شرح دكتور محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، ١٣٧٤ هـ، ١٩٥٥ م.
- ديوان الأخطل، شرح مهدي محمد ناصر الدين، بيروت، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م.
- ديوان دريد بن الصمة، تحقيق دكتور عمر عبد الرسول، القاهرة، ١٩٨٥ م.
- ديوان دعلج بن علي الخزاعي، تحقيق عبد الصاحب عمران الدجيلي، بيروت، ١٩٧٢ م.
- ديوان ذى الرمة، تحقيق دكتور عبد القدوس أبو صالح، دمشق، ١٩٧٢.
- ديوان الراعي التميمي، بيروت، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٠ م.
- ديوان زهير بن أبي سلمى، كرم البستاني، بيروت، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩ م.
- ديوان السموءل، بيروت.
- ديوان سحيم، عبد بنى الحسحاس، تحقيق عبد العزيز الميمنى، القاهرة، ١٣٨٤ هـ، ١٩٦٥ م.
- ديوان أشعار الأمير أبي العباس، عبد الله بن محمد بن المعتز بالله، تحقيق دكتور محمد بدیع شريف، القاهرة، ١٩٧٧ م، ١٩٧٨ م.
- ديوان شعر بشار بن برد، جمع وتحقيق السيد بدر الدين العلوى، بيروت.
- ديوان شعر الخوارج، جمع وتحقيق دكتور إحسان عباس، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢، ١٩٨٢ م، بيروت.
- ديوان الشماخ بن ضرار الديباني، تحقيق صلاح الدين الهادى، القاهرة، ١٩٧٧ م.
- ديوان طرفة بن العبد، شرح مهدي محمد ناصر الدين، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م.
- ديوان عبيد بن الأبرص، بيروت، ١٩٥٨ م.
- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق دكتور محمد يوسف بنجم، بيروت، ١٣٧٨ هـ، ١٩٥٨ م.
- ديوان العباس بن مرداس السلمى، تحقيق دكتور يحيى الحبورى، بغداد، ١٣٨٨ هـ، ١٩٦٨ م.
- ديوان العرجي، تحقيق خضر الطائي، رشيد العبيدي، بغداد، ١٣٧٥ هـ، ١٩٥٦ م.
- ديوان عروة بن الورد، شرح كرم البستاني، بيروت، ١٩٥٣ م.

- ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، شرح مهدي محمد ناصر الدين، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
- ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى، ١٣٧١هـ، ١٩٥٢م.
- ديوان عنتره، بيروت، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.
- ديوان المعاني، أبو هلال العسكري، القاهرة، ١٣٥٢هـ.
- ديوان الفرزدق، شرح على قاعود، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٩٧هـ، ١٩٨٧م.
- ديوان القطامي، تحقيق دكتور إبراهيم السامرائي، بيروت، ١٩٦٠م.
- ديوان قيس بن الخطيم عن ابن السكيت وغيره، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد، ١٩٦٢م، الطبعة الأولى.
- ديوان قيس بن الملوح العامري، جمع الامام أبي بكر الوالبي.
- ديوان كثير عزة، جمع دكتور إحسان عباس، بيروت، ١٣٩١، ١٩٧١م.
- ديوان الكميث بن زيد الأسدي، تقديم محمد شاكر النابلسي.
- ديوان لبيد ربيعة العامري، بيروت.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٨٤م.
- ديوان مروان بن أبي حفصة، تحقيق دكتور حسين نصار، القاهرة.
- ديوان المتنبي، شرح عبد الرحمن البرقوقي، بيروت.
- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٥م.
- ديوان الهذليين، القاهرة، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م.
- والرمة شاعر الحب والصحراء، دكتور يوسف خليف، القاهرة، ١٩٧٠.
- بل الأمانى، أبو على القالى، القاهرة، ١٣٢٤هـ.
- مراجعات فى الآداب والفنون، عباس محمود العقاد، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٦٦.
- رسائل بديع الزماني الهمداني، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٣٤٦هـ، ١٩٢٨م.
- رسائل الجاحظ، جمع حسن السندوي، القاهرة، ١٩٣٣.
- رسالة الصاهل والشاحج، أبو العلاء المعري، تحقيق د. عائشة عبد الرحمن، بنت الشاطئ، ثانية، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
- رسالة الغفران، أبو العلاء المعري، تحقيق د. عائشة عبد الرحمن، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٤م.

- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، معجم البلدان، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرؤمى، القاهرة، ١٩٣٦ م.
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، محمد عبد الرزاق جمعة، محمد حامد الفقى، القاهرة، ١٣٦٨ هـ، ١٩٤٩ م.
- الروائع من الأدب العربى، الجزء الأول، العصر الجاهلى، إشراف ومراجعة د. يوسف خليف، القاهرة، ١٩٨٣ م.
- زهر الآداب وثمر الألباب، أبو إسحق الحضرى القيروانى، شرح الدكتور زكى مبارك، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٥٠ هـ، ١٩٣١ م.
- شرح ديوان أبى الطيب المتنبى، أبو العلاء المعرى، معجز أحمد، تحقيق د. عبد الحميد دياب، القاهرة، ١٩٨٦ م.
- شرح ديوان أبى نواس، إيليا الحاوى، بيروت، ١٩٨٧ م.
- شرح ديوان جرير، محمد إسماعيل عبد الله الصاوى، مضافاً إليه تفسيرات أبى جعفر محمد بن حبيب، دمشق، بيروت.
- شرح ديوان جميل بثينة، سيف الدين الكاتب، أحمد عصام الكاتب، بيروت.
- شرح ديوان الحماسة، أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى، تحقيق أحمد أمين، عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٧١ هـ، ١٩٥١ م.
- شرح ديوان الأختل، إيليا سليم الحاوى، بيروت، ١٩٧٩ م.
- شرح ديوان الخنساء، بيروت.
- شرح ديوان ذى الرمة، غيلان ابن عقبة العدوى، تعليق سيف الدين الكاتب، أحمد عثمان الكاتب، بيروت.
- شرح ديوان زهير بن أبى سلمى، صنعة الإمام أبى العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيبانى، نعلب، القاهرة ١٣٨٤ هـ، ١٩٦٤ م.
- شرح ديوان صريح الغوانى، مسلم بن الوليد الأنصارى، تحقيق د. سامى الدهان، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٨٥ م.
- شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة المخزومى، محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٨٤ هـ، ١٩٦٥ م.
- شرح ديوان الفرزدق، شرح إيليا الحاوى، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٧ م.
- شرح ديوان كعب بن زهير، أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله السكرى، القاهرة، ١٣٦٩ هـ، ١٩٥٠ م.

- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق د. إحسان عباس، الكويت، ١٩٦٢ م.
- شرح ديوان امرئ القيس، حسن السندوي، القاهرة.
- شروح سقط الزند، تحقيق مصطفى السقا، عبد الرحيم محمود، عبد السلام هارون، إبراهيم الإياري، حامد عبد المجيد، إشراف الدكتور طه حسين، القاهرة، ١٣٨٣ هـ، ١٩٦٤ م.
- شرح المشكل من شعر المتنبي، على بن إسماعيل بن سيدة، تحقيق مصطفى السقا، دكتور حامد عبد المجيد، القاهرة، ١٩٧٦ م، ١٩٨٠ م.
- شرح المعلقات السبع، الإمام القاضي أبو عبد الله الحسين بن أحمد الحسين الزوزني، القاهرة، ١٣٩٠ هـ، ١٩٧١ م.
- شرح المفضليات، أبو زكريا يحيى بن علي الشيباني التبريزي، تحقيق علي محمد البخاوي، القاهرة، ١٣٩٧ هـ، ١٩٧٧ م.
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠ هـ، ١٩٨٠ م.
- شرح القصائد العشر، أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي، تصحيح عبد السلام الحوفي، بيروت ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م.
- شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني، أبي الفضل أحمد بن الحسين، بديع الزمان الهمذاني، محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت.
- شعر الأحوص الأنصاري، حققه عادل سليمان جمال، قدم له دكتور شوقي ضيف، القاهرة، ١٣٩٠ هـ، ١٩٧٠ م.
- الشعراء المخضرمون، دكتور عبد الحلیم حفي، القاهرة، ١٩٨٣ م.
- شعر خفاف بن ندية، جمع وتحقيق دكتور نوري حمودي القيسي، بغداد، ١٩٦٧ م.
- الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، دكتور عبده بدوي، القاهرة، ١٩٨٨ م.
- الشعراء الصعاليك، في العصر الأموي، دكتور حسين عطوان، القاهرة ١٩٧٠ م.
- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دكتور يوسف خليف، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٨٦ م.
- شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، دكتور عبد الحلیم حفي، القاهرة، ١٩٧٩ م.
- الشعر العربي من الجاهلية حتى نهاية القرن الأول الهجري، دكتور محمد مصطفى هدارة، القاهرة، ١٤٠١ هـ، ١٩٨١ م.
- شعر علي بن جبلة، الملقب بالعكوك، حققه دكتور حسين عطوان، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٨٢ م.
- شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي، جمع وتحقيق مطاع الطرايشي، دمشق، ١٣٩٤ هـ، ١٩٧٣ م.


- شعر الفتوح الإسلامية فى صدر الإسلام، دكتور النعمان عد المتعال القاضى، القاهرة، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م.
- شعر مروان بن أبى حفصة، حققه دكتور حسين عطوان، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٨٢م.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة، ١٩٨٢م.
- الشعر والغناء فى المدينة ومكة لعصري بنى أمية، دكتور شوقى ضيف، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٧٩م.
- شعر الهذليين فى العصرين الجاهلى والإسلامى، دكتور أحمد كمال دكى، القاهرة، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.
- شياطين الشعراء، دكتور عبد الرزاق حميدة، القاهرة، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٦م.
- الأصمعيات، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأصمعى، تحقيق أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٧٦م.
- المصون فى الأدب، أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكرى، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، القاهرة.
- المصون فى سر الهوى المكنون، أبو إسحق إبراهيم بن على الحصرى القيروانى، تحقيق دكتور محمد عارف محمود حسين، الطبعة الأولى القاهرة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.
- طبقات الشعراء، ابن المعتز. تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٨١م.
- طبقات النحويين واللفويين، أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدى الأندلسى، تحقيق محمد أ. الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٤م.
- التطور والتجديد فى الشعر الأموى، دكتور شوقى ضيف، الطبعة الثامنة، القاهرة، ١٩٨٧م.
- معجم الشعراء، عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزبانى تحقيق عبد الستار أحمد فراج، القاهرة ١٣٧٩هـ، ١٩٦٠م.
- عصر المأمون، دكتور أحمد فريد رفاعى، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٣٤٦هـ، ١٩٢٨م.
- العقد الفريد، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى، تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الإيبارى، القاهرة، ١٣٥٩هـ، ١٩٤٠م.
- العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو على الحسن بن رشيق القيروانى الأزدى، تحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م.
- عيوان الأخيار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى، القاهرة، ١٩١٤م.

- الأغاني، أبو الفرج الاصفهاني، إعداد لجنة نشر كتاب الأغاني، إشراف محمد أبي الفضل إبراهيم القاهرة.
- الفاخر، أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم، تحقيق عبد العليم الطهطاوى، مراجعة محمد على النجار، القاهرة، ١٩٧٤م.
- المفصل فى تاريخ الأدب العربى، أحمد الإسكندري، أحمد أمين، على الجارم، عبد العزيز البشري، أحمد ضيف الجزء الثانى، القاهرة، ١٩٣٦.
- الفاضل، المبرد، القاهرة، ١٩٥٦م.
- المفضليات، المفضل بن محمد بن يعلى الضبي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، الطبعة السابعة، القاهرة، ١٩٨٣م.
- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب لفيروزباده، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٥٢م.
- مقامات أبى الفضل بديع الزمان الهمذاني وشرحها، الشيخ محمد عبده، تقديم جمال الفيضاني، القاهرة ١٩٨٨م.
- كتاب البخلاء، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، نصحيح أحمد العوامى، على الجارم، القاهرة، ١٩٤٠م.
- كتاب شرح أشعار الهذليين، صنعة أبى سعيد الحمير بن الحسين السكري، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، راجعة محمود محمد شاكر القاهرة، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م.
- كتاب العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب، ناصيف اليازجى، بيروت، ١٣٠٥هـ.
- كتاب الأمالى، أبو على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٢٤هـ.
- كتاب الوحشيات وهو الحماسة الصغرى، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، تحقيق عبد العزيز الميمنى الراجكوتى، زاده فى حواشيه محمود محمد شاكر، القاهرة، ١٩٦٣م.
- الكامل فى اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، القاهرة، ١٣٥٥هـ. تحقيق لجنة من العلماء، ونسخة أخرى تحقيق دكتور زكى مبارك، القاهرة، ١٩٣٦م.
- الممتع فى صنعة الشعر، عبد الكريم النهشلى القيروانى، تحقيق دكتور محمد زغلول سلام، الإسكندرية، ١٩٨٠م.
- المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين نصر بن محمد بن عبد الكريم، ابن الأثير الموصلى، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٣٥٨، ١٩٣٩م.
- من غاب عنه المطرب، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثالبى النيسابورى، تحقيق دكتور النبوى عبد الواحد شعلان، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م.

- المنتخب من أدب العرب، الجزء الثاني، جمعة وشرحه طه حسين، أحمد الإسكندري، أحمد أمين، علي الجارم، عبد العزيز البشري، أحمد ضيف، القاهرة، ١٩٣٤ م.
- نقائص جرير والأخطل، أبو تمام، تعليق الأب أنطون صالحاني اليسوعي، بيروت، ١٩٢٢ م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، تصحيح أحمد الزين، القاهرة، ١٩٨٥ م.
- مهذب الأغاني، محمد الخضري، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٢٦ م.
- تهذيب الكامل في اللغة والأدب السباعي يومي، القاهرة، ١٣٤١ هـ، ١٩٢٣ م.
- الموازنة بين أبي تمام والبحتري، أبو القاسم حسن بن بشريحي الأمدى البصري، محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، ١٩٤٤ م ونسخة أخرى تحقيق السيد أحمد صقر، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٨٢ م.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه، علي بن عبد العزيز الحرجاني، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، القاهرة، ١٩٦٦ م.
- لسان العرب، ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، القاهرة.
- يثيمة، الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٣٧٧ .

محتوى الدراسة

رقم الصفحة	الموضوع
١١	الفصل الأول المقامة القريضية
٣١	الفصل الثاني امرؤ القيس
١٢٣	الفصل الثالث النابغة الذبياني
١٧٣	الفصل الرابع زهير بن أبي سلمى
٢٠٣	الفصل الخامس طرفة بن العبد
٢٢٣	الفصل السادس جرير والفرزدق
٢٢٥	جرير
٢٤٨	الفرزدق
٢٩١	الفصل السابع القدماء والمحدثون
٣١٣	الفصل الثامن الألفاظ والمعاني في المقامة القريضية وعلاقتها بالشعر القديم
٣٦١	الفصل التاسع المقامة الغيلانية تحليل ونقد
٣٧١	الفصل العاشر الصلتان، البعيث، ذو الرمة
٣٧٣	الصلتان العبدى
٣٧٧	البعيث
٣٧٩	ذو الرمة
٣٩٠	الهكاء على الأطلال في الشعر العربي
٣٩٩	قصائد الهجاء السائرة
	الفصل الحادى عشر الألفاظ والمعاني في المقامة الغيلانية وعلاقتها بالشعر
٤١١	القديم

 Bibliotheca Alexandrina



0352881